

معتز شرباش

حُسَين

رواية

الحلم للنشر والتوزيع

حُسن سَیر

(1)

ليل الثُلاثاء 11 يناير سنة 2005

ليلة ممطرة من ليالي شتاء القاهرة. كانت تلمع أضواء باهتة لبعض أعمدة الإنارة على الأسفلت، بعد انطفاء مُعظمها، لتأخر الصيانة، أو انعدامها. صوت ارتطام حبّات المطر بالأرض يملأ فراغ صمت الشتاء الكئيب.

فتاة في أوائل العشرينات، كانت تسير في خطوات أقرب إلى الجري، في محاولة للوصول للشارع الرئيسي، على أمل أن تجد ما يقلّها لمنزلها، الذي بدا لها كحلم بعيد المنال.

تركت الرصيف الضيق، الممتلئ بالوحل، غير الصالح للمشي حتى في الظروف العادية. سارت بمحاذاة السيارات المتراصة على جانبي الطريق في نظام وكأنها حرس شرف في استقبال ملكي.

سمعت صوت احتكاك عجلات سيارة مُسرِعة بالأرض، في محاولة يائسة للتمسُك بالأسفلت المُبتل، لتوقف اندفاع السيارة في اتجاه الفتاة، التي لم تستوّعب ما يحدُث.

هدُر الرعد في اللحظة التي صدمت السيارة جسد الفتاة في تواطؤٍ مُخزٍ، ليُغطي على صوت الاصطدام، والصرخة المذعورة التي أطلقتها. سكن كل شيء

للحظات ما عدا المطر، وهدُر الرعد مُجددًا بصوتٍ أعلى من صوت صرخته السابقة، وكأنه كان يعترف نادمًا على فعلته، ويبكي الضحية.

غادر السائق السيارة، وخطواته المُترنحة تفضح مدى سُكره، سار في اتجاه الجثة التي كانت قد همدت تمامًا، على عكس أنفاسه المتسارعة. نظر حوله في كل اتجاه مفزوعًا ليتأكد من أن أحدًا لم يلحظ ما حدث. وقف بجوار الجثة لثوانٍ بدَت له كساعاتٍ طويلة، وتأكد أنها لا تراه، لم يجرؤ على لمسها للتأكد من موتها. نظر حوله مُجددًا، ولما تأكد من أن إضاءة الطريق لن تسمح لأي شاهد من أي نافذة برؤية أرقام السيارة. ركب سيارته وغادر المكان، تاركًا الجثة مكانها في وسط الطريق.

(2)

ليل الأثنين 9 ديسمبر سنة 2013

كعادة أي مسرح جريمة لم يُكتشف بعد، من قِبل جارة متطفلة، أو مُحصّل كهرباء سيء الحظ؛ السكون والهدوء يملئن المكان. وكأن الزمن قد وقف مأخوذًا بقُدرة البشر على خلق مثل هذه البشاعة.

الموت حاضرًا بوضوح، يكاد أن يكون مرئيًا. هل يتمكن حقًا الشخص الذي انتهى عمره من أن يرى الموت قبل أن يعيشه؟ هل يترك الموت أثرًا منه في المكان الذي تحدث فيه عملية قتل بشِعة؟ أو موت بطريقة مؤلمة؟ هل هو ذلك الشعور الذي ينتاب كل من يخطو في مكانٍ يعلم أنه شهد جريمة قتل أو انتحار؟ وكأن الموت ترك بصمته فيه؟ وهل كان سيشعُر بنفس الانقباض لو مرّ من نفس المكان، دون أن يعلم بالجريمة؟

كان كل شيء في مكانه، ماعدا داليا بالطبع. ففي هذا الوقت من كل يوم، تكون داليا في السرير، تقرأ، إن لم تكن نامت والكتاب قد سقط على صدرها مفتوحًا على آخر صفحة رأتها عيناها، ولم تصل كلماتها لوعيها الغافي. ولكن الليلة داليا كانت مجرد جثة هامدة، الدم مُتجلط على بعض الكدمات والجروح في وجهها، مُلقاة دون عناية على ظهرها، في صالة شقتها المؤجرة، التي تعيش فيها

وحيدة، بعد وفاة كل من يمكنها تحمُّل العيش معه.

(3)

قبل منتصف ليل الإثنين 9 ديسمبر سنة 2013

أسرع الرائد عصام ناجي رئيس مباحث قسم حدائق القبة، يغلق صوت هاتفه المحمول، للتخلص من رنينه المُزعج، قبل أن تستيقظ زوجته. باب غرفة النوم المُغلق بسبب البرد منعه من ملاحظة رنين هاتف المنزل الأرضي - الموجود في الصالة - عِدة مرات بإصرار. ولكن سكون ليل الشتاء ساعد في أن يصل له صوت الرنين بعد عدة مرات، انتفض من السرير مسرعًا ليلحق بالمكالمة، التي كان واثقًا من أنها تحمل له حالة طارئة خاصة بالعمل.

خرج عصام مُسرعًا على ضوء صاعق الحشرات الطائرة المُعلق أعلى باب الشقة، التقط سماعة الهاتف اللاسلكية التي تركتها زوجته في الخارج لتشحن بطاريتها، وقال وهو يجاهد حتى لا يظهر على صوته النُعاس الذي بدأ بالفعل في التبخُر:

- دلوقت؟! ليه فيه إيه؟!

ثم قال بعصبية وهو يعود في اتجاه الغرفة:

- هات العنوان طيب.

ثم قال بنفادِ صبر قبل أن يغلق الخط:

- خلاص.. عارف العنوان فين.. جاي حالًا.

ألقى سماعة الهاتف بإهمال على كنبة قريبة. وعاد عصام للغرفة هادئًا، وكأنه لم يكن يصيح منذ لحظات، سحب منشفة كبيرة، وغطى بها نصفه السفلي، وهو ينظر لزوجته التي استيقظت عندما غادر السرير كعادتها، وملامحه تنطق بالأسف لاضطراره للنزول في مثل هذا الوقت. كانت رضوى هي أول من قطع الصمت، قالت بصوتٍ مبحوح:

- عصام.. ما تقولش نازل.

التفت لها وهو يتجه للحمام المُلحق بالغرفة وقال وهو يرفع كتفيه:

- إنتي اللي إتجوزتي ظابط.. في واحدة عاقلة تعمل كده في نفسها؟

- ماشي يا عصام.. اللي يشوفك وانت بتتحايل عليّ زمان ما يشوفكش النهاردة. وابتسمت بحُب.

نظر إليها وعلامات الذهول المُصطنع على ملامحه:

- مالك يا رضوى؟ ما إنتي عارفة.. كنت بجيب رجلك وطمعان في فلوس أبوكي.

ضحكت بدلال وقالت:

- وأنا كنت واثقة من كده.

ضحك بصوتٍ عالٍ في طريقه للحمام وقال:

- بحبك.

ثم أضاف من الحمام بصوتٍ عالٍ لتسمعه:

- إبقي إتطمني على مَلَك، زمانها طَلّعت عين أمك الغلبانة.

- زمانها نامت أصلًا.

خرج من الحمام ليجد زوجته جالسة على طرف السرير تلف جسدها بمنشفة كبيرة استعدادًا للاستحمام، وتتحدث عبر الهاتف، وقد جهّزت له ملابسه:

- حاضر يا ماما.. لو محتاجة حاجة تانية وانا جاية بُكرة.. كلميني الصبح.. وأنا كده كده هكلمك قبل ما أنزل.. تصبحي على خير.

ثم قالت لعصام:

- ما تنساش بُكرة عيد ميلاد ريم.. أنا بقولك علشان بتقول فاجئتيني.

قال وهو يرتدي ملابسه:

- إن شاء الله هكون موجود.

على باب الشقة، وقفت رضوى، تُقَبّل زوجها قبل خروجه، غمزت بدلال وقالت:

- هستناك.

- لأ.. نامي إنتي يا رضوى.. ما أعتقدش هاجي على طول.. ده لو جيت الليلة دي.

- لولا عندك شغل.. ما كنتش سيبتك تنزل الليلة دي.. إلا على جُثتي.

فقال وهو يفتح باب الشقة:

- ما بلاش سيرة الجُثث.. مش كفاية الجُثة اللي رايح أشوفها دلوقتي؟

ضربته في كتفه بقسوة مُصطنعة وقالت:

- فصلتني.

ضحك وأغلق الباب خلفه واتجه للمصعد.

عصام ناجي هو واحد من أصغر رؤساء المباحث في الوزارة، كان يعلم منذ أن كان عمره عشرة سنوات أنه سيكون ضابط مباحث مثل عمه الشهيد اللواء البطل مصطفى عزيز حلمي الذي توفي قبل عامٍ واحد، في تبادل لإطلاق النار مع مُلثمين، هاجموه غدرًا كعادتهم. ذكاء عصام ساعده كثيرًا في تحقيق أحلامه، حيث تميّز باتخاذ أقصر الطُرق لتحقيق طموحاته منذ أن كان طفلًا. استعان بعمه مُستغِلًا حبه الشديد له كثيرًا في الكلية، ثم استعان به مُجددًا لمساعدته أن يتم تعيينه في المباحث، ثم استعان بكل السحر الذي استطاع تسخيره، ليتمكن من الزواج من رضوى التي عشقها منذ أن وقعت عليها عيناه. على الرغم من أنها ابنه رجل الأعمال الملياردير الشهير راشد غريب، وبالرغم من معارضة أمها لزواجها منه في البداية، إلا أنه استطاع أن يملك قلبها ويسحرها.

نظر عصام لنفسه في مرآة المصعد، بطوله الفارع، وجسده الرياضي، وملامحه الوسيمة، التي لا تخلو من الجدية، وشعره الأسود. كانت نظرته لنفسه تحمل بعض القلق مما ينتظره في حدائق القبة، وكان مُحِقًّا دون أن يدري.

(4)

ساعات الثُلاثاء الأولى 10 ديسمبر سنة 2013

خرج عصام من باب العمارة، واضعًا يداه في جيوب سترته الجلدية، شعر بلفحة برد بمجرد خروجه من الباب، وبدأت السماء تُمطر، فجأة، وبقوة، وكأنها ربة منزل تحتفي بضيفٍ عزيز، فتُخرج كل ما لديها لإسعاده.

شوارع القاهرة بعد منتصف الليل في شهر ديسمبر لها سحرها الخاص. يحاول عصام الاستمتاع بالطريق برغم البرد والمطر وبِرك المياه التي بدأت تتكون على الأسفلت غير المُستوي، فلطالما أحب القاهرة في ليل الشتاء.

كان يقود عصام سيارته متمهلًا، بعد اتخاذه طريق جسر السويس بدلًا من صلاح سالم. يستمع لمحمد منير يُغني بصوت خفيض، وكأنه يخشى أن يوقِظ صوته القاهرة النائمة، يتفرج على الناس في الشوارع، فهُم برغم قلة عددهم يملأون الشوارع بالحياة، على عكس هؤلاء الذين يملأون الشوارع طوال ساعات النهار، فهُم كالموتى الأحياء، يشعر وكأنهم أجساد بلا أرواح.

وصل للعنوان في وقتٍ قصير، وتجنب الدخول للشارع الضيق، لعلمه استحالة وجود مكان ليترك فيه سيارته، كعادة أحياء القاهرة كلها تقريبًا. ترك سيارته - صفّ ثاني - على الشارع الرئيسي، وأسرع الخُطى نحو باب المنزل المقصود. لاحظ وقوف سيارة شرطة تسدّ الطريق بوقاحة، وبعض الأهالي تبدو عليهم أمارات الفضول والبرد والانزعاج.

كان المنزل داخل حارة من حارات حدائق القبة، تلك الحارات التي تشعر فيها كأنك تسير داخل منزل واحد كبير. واحدة من تلك المناطق التي يمكن لأي ساكن فيها أن يعرف ما يحدث في المنازل المجاورة دون اضطراره لخفض صوت التلفزيون. لا أحد غريب، لا أحد غير معروف أصله وفصله وتفاصيل حياته الخاصة للكل. المنازل كلها متراصة بجوار بعضها البعض، وكأنها تحاول التماس بعض الدفء وسط البرد والمطر.

صعد عصام للدور الأول، وقف على باب الشقة المقصودة، اقترب منه الأمين رأفت من داخل الشقة. سأله عصام وهو يُشعل سيجارته:

- حد لَمس حاجة؟

- لأ يا عصام بيه.

- محدش من القسم وصل يعني!!

- أنا بلّغت النقيب رامي والنقيب هشام.. رامي بيه هيفوت على هشام بيه علشان عربيته بتتصلح لسه.

- شايفك من تحت بتشرب سيجارة في الشباك.. إنت اللي فتحته؟ ولا كان مفتوح لما جيت؟

- كان مفتوح.

نظر له عصام مُشكِكًا، فقال رأفت مؤكدًا:

- قسمًا بالله كان مفتوح.. دي الشقة كانت تلج لما دخلنا.

- وقعت منك طافية؟ ولا تلاقيك طفيت السيجارة جوّا.

- عيب عليك يا عصام بيه.. دا أنا تربيتك. قالها وضحك ببلاهة.

نظر له عصام بجدية وأخفى شبح ابتسامة جاهدت لتظهر على ملامحه، وقال بجدّية:

- ما ترغيش.. مين اللي اكتشف الجثة؟

أشار رأفت للشقة الوحيدة بخلاف شقة القتيلة في الدور الضيق، وقال:

- عم نجيب.

نظر عصام للشقة المقابلة بدون اهتمام، لمح بابها مفتوحًا ورجل شبه منهار يجلس قرب الباب لا يتحرك. التفت لرأفت وقال:

- خليك معاه.. ما ينامش.. وطلّع كل اللي في الشقة برة على ما أخلص السيجارة.. عايز أَلِفّ فيها لفة.

- مش عايز تعرف معلومات عن القتيلة يا عصام بيه؟

قال له عصام وهو يلقي سيجارته بجوار الحائط:

- لما أخلّص

وقف عصام عند باب الشقة يدور بعينه في كل مكان فيها. بدا وكأنه يبحث عن شيءٍ يعلم أنه موجود، أي شيء في غير موضعه، غلطة تساعده في تحديد القاتل. يرى الجثة في المساحة الوحيدة الفارغة في صالة المنزل الضيقة، مُغطاة بملاءة بيضاء. الشباك الوحيد في الصالة على يسار عصام. في مواجهة عصام، وعند رأس الجثة، مائدة طعام. أمام الشباك وعلى يسار عصام كنبة كبيرة قديمة، وكرسي بجوار باب الشقة مباشرة. على يمينه في مواجهة الكنبة، توجد مكتبة خشبية صغيرة، عليها جهاز تلفزيون، وجهاز استقبال، وبعض الكتب. بجوار المكتبة، وعلى يمين عصام، بين المكتبة الصغيرة

وبين باب الشقة، خلف ستارة خفيفة لا تخفي ما ورائها يوجد ممر ضيق به بابان الى اليسار، وباب الحمام في آخره، والمطبخ بدون باب إلى اليمين. إحدى غُرف النوم بلا أثاث ولا إضاءة، ولاحظ على الضوء القادم من الخارج أنها لم تحظى بالنظافة منذ زمن.

الغرفة الثانية الأقرب للحمام مُرتبة بعناية، ولا يبدو أنه قد دار فيها أي عراك، أو أن الضحية حتى دخلتها اليوم.

استمر عصام لعدة دقائق يدور في الشقة، وراعى استخدام منديله عند اضطراره لمس أي شيء. ثم خرج من الشقة، أشار لرأفت أن يأتي وسأله:

- الملاية البيضاء اللي جوا دي مين اللي غطى بيها الجثة؟ وجابها منين؟

- عم نجيب.. قبل ما نيجي.. بس فاتتني أسأل جابها منين.

- طب إحكي لي بسرعة إيه حكاية البنت دي.

يفرد رأفت ورقة كانت في يده، ويبدأ سرد المعلومات التي تحصّل عليها في الدقائق الماضية:

- داليا محمود الجندي.. 26 سنة.. عازبة.. معاها ليسانس آداب جامعة المنصورة.. كل اللي قدرت أعرفه عنها إنها بتشتغل سكرتيرة في مستشفى في مصر الجديدة.. وإنها قاعدة لوحدها من ساعة ما جت من البلد. قلب الصفحة وأكمل:

- الطب الشرعي بيقول غالبًا ماتت مخنوقة النهاردة الصُبح.

أنصت له عصام باهتمام ثم وقال:

- تمام.. إتصرف لي في كوباية شاي تقيلة.. وهاتها لي عند عم نجيب.

التفت عصام وهو في طريقه لشقة عم نجيب، يلقي نظرة على رجال المعمل

الجنائي، والطب الشرعي، وهُم يرفعون البصمات، ويلتقطون الصور لمسرح الجريمة، قبل نقل الجثة للمشرحة، وتشميع الشقة.

وقف على باب شقة عم نجيب، وطرق عليه بهدوء، ودخل دون أن ينتظر الإذن بالدخول:

- بعد إذنك يا عم نجيب محتاجك في كلمتين.. ومش هطوّل عليك.. تسمح لي أدخل؟

- يا ابني بيتك.. إتفضل.

- إنت اللي لقيت داليا يا عم نجيب.. مش كده؟ قولي بقى.. إيه اللي دخّلك شقتها متأخر كده؟

نظر له عم نجيب نظرة سريعة تحمل لوم واضح، ثم نظر إلى الأرض، وأشاح بيده وقال بصوتٍ حزين:

- ولا دخلت ولا حاجة يا حضرة الظابط.. باب الشقة كان متوارب.. و دي مش عادتها.. ناديت عليها من ورا الباب محدش رد.. خبّطت على الباب محدش رد.. قِلقت وقلت يكون جرالها حاجة.. زقيت الباب شوية شوفتها زي ما لقيتوها كده.

بدا على صوته وكأنه يجاهد ألا يبكي، وأكمل:

- جريت طلبت النجدة.

- والملاية اللي عليها دي.. من عندك؟ ولا جبيتها من عندها؟

- لا.. من عندي.. ما جاليش قلب أدخل.. دا أنا عمري ما دخلت عندها

وهي عايشة.. هدخل وهي... ولم يستطع إكمال الجملة، وكأن عدم اعترافه لفظًا بمقتلها يكفي لعودتها.

نظر عصام لسلم العمارة وهو يأخد الشاي من رأفت:

- مين ساكن تاني في البيت؟

أجاب نجيب بصوتٍ يجاهد حتى لا تبدو عليه محاولات منع البكاء:

- الدور اللي فوق شقتين الحاجة زينب الله يرحمها.. مقفولين من ساعة ما ماتت.. حد من ولادها بييجي كل فين وفين يلم الإيجار.. ما هو البيت بتاعهم.. وانا بدفع لهم فواتيرهم لو جت.. والأوضة اللي فوق السطوح فيها كراكيبها.

سأله عصام وهو يحاول أن ينظر في عينه:

- كنت راجع منين ياعم نجيب لما لقيت داليا؟

أجاب نجيب بتلقائية، وقد بدأ يتقبل فكرة أسئلة الظابط السخيفة:

- أنا بشتغل في محطة مصر.. بخلّص وردية بالليل.. وأقعد ع القهوة شوية آخد حجرين زي كل ليلة.. وأرجع متأخر على 11.. على كده كل ليلة.. أنا قاعد لوحدي زي ما إنت شايف من ساعة ما ماتت المرحومة.. وابني الوحيد عايش في السعودية.. شغال مهندس هناك عُقبال ولادك.

هز عصام رأسه شاكِرًا وابتسم ثم قال بجدية:

- آخر مرة شوفت داليا فيها كانت إمتى؟

- النهاردة الصبح وانا نازل أجيب الجُرنان.. صبّحِت عليا.. ونزلِت في ميعادها بتاع كل يوم.. على 7 الصبح.

قال عصام وهو يشرب آخر رشفة من الشاي:

- آخر سؤال وهسيبك تنام.. تعرف إيه عن داليا.. شغلها.. صحابها.. حد كان بيجيلها؟

قال عم نجيب بصوت أنهكته الليلة التي لن ينساها:

- داليا كانت زي النسمة في البيت.. ولا تسمع لها حِس.. ولا أعرف عن صحابها ولا علاقتها مع حد أي حاجة.. وما فيش بينا غير صباح الخير وصباح النور.. وكلمتين كل فين وفين.. وعمري ما شوفت حد بيزورها ولا بيجيلها هنا.. اللي أعرفه إنها مقطوعة من شجرة بعد ما ماتوا أهلها كلهم في البلد.. وإن واحدة صاحبتها شافت لها شغلانة في المستشفى.

- تعرف صاحبتها إسمها إيه؟ وياريت لو معاك تليفونها.

- ولا دي ولا دي يا بيه.. كل اللي أعرفه إنها هي اللي جابت لها الشغل.

قال عصام وهو ينهض:

- شكرًا يا عم نجيب.. هستناك تعدي عليا بكرة في القسم علشان ناخد أقوالك وتمضي على المحضر.. السلام عليكم. قالها ثم غادر الشقة.

من على باب شقة عم نجيب رأى عصام النقيب رامي فخر الدين، والنقيب هشام عبد النور، يصعدان السلم، وينظران له بملامح أسف باسمة، بسبب تأخُرهما. نظر لهما نظرة لوم واضحة، وإن كانت تحمل الوِد في طياتها، فهُم من أكفأ الضباط الذين عمل معهم منذ فترة.

بدون مقدمات، بدأ يتحدث عن القضية:

البنت مضروبة جامد وغالبًا مخنوقة.. فيه علبة سجاير واقعة تحت مكتبة التلفزيون في الصالة.. تحرّزوها يمكن تلاقوا عليها حاجة.. وشوفت شاحن تليفون في الكهربا.. بس مفيش تليفون.. حاولوا تلاقوه.. وشوفوا لو ليها حد يعرفها قريّب في المنطقة.. علشان نسمع منهم بكرة.. مع إني أستبعد ده.. شكلها في حالها.. وياريت التقرير يكون جاهز بدري شوية الصبح علشان نبعته المديرية.. دي جريمة قتل.. يعني فريق بحث.. والعين هتكون علينا من المديرية.. شدّوا حيلكم.

نادى عصام على رأفت، فوجده في الدور الأرضي، يُدخن ويتحدث مع أحد الأهالي الفضوليين. استوقفه قبل أن يصعد ونزل هو له، ونظر للرجل المدني الواقف مع رأفت دون أن يتحدث، فأدرك رأفت مُراده، طلب من الرجل المُغادرة على وعَد بإعادة كوب الشاي الفارغ له. أعطى عصام كوب الشاي الفارغ لرأفت وهو يقول:

- لو لقيتوا زبالتها افحصوها يمكن تلاقوا فيها حاجة.. وقلّبوا الشقة كويس.. ومحدش يلمس حاجة بإيده.. ولا يحرك حاجة من مكانها.. يمكن نحتاج نيجي تاني.

اتجه ناحية باب العمارة، ثم توقف والتفت لرأفت قائلًا:

- أنا هروّح.. ما تمشيش إلا لما الشقة تتشمّع.. وما تكلمنيش إلا لو فيه مصيبة.

ثم استدرك وقال:

- قصدي غير المصيبة اللي فوق يعني.

(5)

السبت 12 فبراير سنة 2005

«الحاج» المهدي عبد الغفور غانم -كما يُطلقون عليه - يجلس مُنتشيًا أمام معرض غانم للسيارات، الذي يحتل الدور الأرضي كاملًا، في عمارة على ناصية كبيرة في منطقة إمبابة. يتابع حركة العُمال التي تبدو وكأنها لن تنتهي أبدًا، مثل الشيشة التي يُدخنها بشراهة منذ الصباح. أوراق الجرائد التي تُغطي الزجاج الذي يحتل واجهتيّ المعرض، تمنع العيون المُتطفلة من معرفة ما يدور بالداخل، ولكن المشهد يوحي بأن عملية تجديد واسعة النطاق تجري لمعرضه.

التاريخ 26 فبراير سنة 2005

تقرير تحقيق مدني:

بعد الاطلاع والتحقيق في معرفة سبب انهيار العقار محل الدراسة، تبين الآتي:

قيام صاحب معرض السيارات، الذي يحتل الدور الأرضي كاملًا، بإزالة إحدى ركائز المبنى الرئيسية، وهو عامود خرساني مسلح 50 × 120، مما تسبب في تركيز الإجهادات حول مكان الفراغ الذي نتج عن إزالة العامود كليًا، ونتج عنه تشعب الشروخ من هذا المكان لتصل الي الحوائط والبلاطة بأكملها.

وعليه؛ فإن المسؤول جنائيًا عن هذا الانهيار المفاجئ، الذي تسبب في مقتل سِتة أشخاص تحت الأنقاض، هو صاحب معرض السيارات أسفل العقار.

التاريخ 28 فبراير سنة 2005

تقرير مُقدم لوكيل النيابة، من محامي المدعو مهدي عبد الغفور غانم:

نرجو من سيادة وكيل النيابة، أن ينظر بعين الحكمة والعدل، في تقرير الدفاع عن المُتهم ظُلمًا بإزالة عنصر رئيسي من عناصر العقار الرئيسية، وغير القابلة للتعديل أو التدخل، دون موافقة لجنة الاستشاريين المعتمدين، والمسؤولة عن كافة الأمور وتطبيق شروط المواصفات الفنية، والمعتمدة لتطبيق الأمن والسلامة.

سيادة الوكيل، كل ما تم ذكره، وتقديمه، من لجنة المهندسين من توضيح سبب انهيار العقار هو أمر واقعي وتم بالفعل. لكن الخطأ في اتهام موكلي.

لأن الفاعل الحقيقي، ومن يجب اتهامه، هو المالك الأول للمعرض، الذي اشتراه منه موكلي، المدعو تحسين غالي شاهين والذي قام مُتعمدًا بإزالة عامود خرساني، بغرض توسيع المحل قبل بيعه، لزيادة سعره، وتوزيع الأحمال على بعض الأعمدة غير المطابقة للمواصفات، مما أدى لانهيار العقار بعد حين.

وبعد التحري والتحقيق من جانبنا، تبيّن أن المدعو تحسين غالي شاهين، المالك السابق للمحل، سافر خارج البلاد منذ أكثر من سنة، ولم يعد إلى مصر حتى تاريخه، ولم يُستدل على مكان إقامته الحالي.

مرفق طيّه قائمة بأسماء بعض من سُكان العقار، وبياناتهم كاملة، ليؤكدوا في شهادات موثقة، مسؤولية المالك السابق للمعرض عن إزالة العامود، وبراءة موكلي.

(6)

الخميس 12 ديسمبر سنة 2013

قبل موعده اليومي المُعتاد، يصل عصام للقسم، وتبدو عليه ملامح الضيق. يجد الأمين رأفت في انتظاره، وملامحه تحمل ابتسامة المُنتصر، التي تعني غالبًا أنه يحمل خبرًا سعيدًا لعصام. قال عصام وهو يدخل مكتبه:

- إيه يا رأفت؟ مسكتوا القاتل واعترف وانا نايم ولا إيه؟

- تشرب قهوتك الأول يا عصام بيه.. وبعدين أجيبلك الشُغل. وهمّ بمغادرة الغُرفة، ولكن عصام استوقفه قائلًا:

- لا لا لا قول الأول.. إيه الجديد؟

- عرفنا بتشتغل فين يا عصام بيه.

نظر له عصام باهتمام وهو يُعلق سترته الجلدية على الحامل الخشبي في ركن مكتبه، وقال:

- أخيرًا؟ فين؟

- في مستشفى «الكرامة» اللي في مصر الجديدة.

جلس عصام على مقعده، وسأل وهو يُشعل سيجارته:

- وعرفتوا مين صاحبتها اللي جابتلها الشغل هناك؟

- لأ يا عصام بيه.. زمايلها هناك علاقتها معاهم سطحية جدًا.. ومدير الموارد البشرية قال إن زميل في مستشفى تانية اللي كلمه عليها.. ولما كلمه رامي بيه.. قاله إنها قدّمت عنده في المستشفى.. وهو ما عندوش مكان.. فكلّم لها زميله.. وكل حاجة في التقرير قصاد سعادتك.

- طيب شكرًا يا رأفت.

وبدأ يقرأ تقارير البحث التي أمامه.

- أوصّي على القهوة؟ قالها رأفت وهو يهمّ بمغادرة الغُرفة.

استوقفه عصام قائلًا:

- إيه أخبار أهلها في البلد صحيح؟

- المحضر وصل الصبح وعلى مكتب سعادتك.. القسم هناك استدعى خالها.. وهو قريبها الوحيد اللي فاضل.. وعرفنا إنه ما كانش بيطيقها ولا هي بتطيقه.. علشان كده سابت البلد بعد ما خالتها سافرت السعودية لجوزها.. وجت على القاهرة.. وهو ما يعرفش عنها حاجة.

بدأ عصام يُطالع المحضر الذي يحتوي على أقوال خال داليا وتقرير البحث هناك، وسأل دون أن يرفع رأسه:

- سألوه كان فين يوم الإثنين؟

- كان في الشغل هناك لحد آخر النهار.. وكمّل اليوم على القهوة وفي بيته..

ما خرجش من البلد يومها.

هزّ عصام رأسه مُتفهمًا، وأشار له بيده لينصرف، وهو يطفئ سيجارته، وبدأ بمراجعة التقرير قبل إرساله للمديرية.

فتح رأفت الباب، ليجد فتاة في أواخر العشرينات، تحمل ابتسامة عريضة على وجهها، وتنظر بفضول إلى الداخل وتقول:

- عصام بيه فاضي؟

سمعها عصام، فأشار لرأفت - الذي يمنعها من الدخول بجسده انتظارًا لتعليمات رئيسه - أن يسمح لها بالدخول. فتح رأفت لها الباب وتنحى جانبًا ليسمح لها بالدخول، ولم يحرم نفسه من ملاحظة مفاتنها لثوان.

هي فتاة جميلة ذات جاذبية ساحرة، شعرها أسود طويل، ولكنه ملفوف خلف رأسها دون عناية، عيون واسعة بُنية اللون، فم وأنف دقيقان، وجسد متناسق، يجعل منها مع جمال ملامحها، حلم يسير على قدمين. تحمل حقيبة جلدية من النوع المتعدد الأغراض. ملابسها الكاچوال لم تتمكن من إخفاء مفاتنها، بالرغم من أنها كانت غير ضيقة أو مفتوحة.

أشار عصام لها أن تجلس وهو يقول:

- إيه يا غادة؟ إنتي بتراقبي تليفوني؟ ولا في حد بيبلغك باللي بيحصل من القسم؟

- يا عصام بيه أنا بشم ريحة الحوادث من بعيد.. أمال صحفية إزاي بس؟

ابتسم بودٍّ، ثم كست الجدية ملامحه وقال بلهجة من لا يرغب في أي مُعارضة:

- طب إتقلي شوية وتعالي.. ولا أقولك؛ أنا هكلمك.

- يا عصام ما إنت قُلت إن في حاجة.. عايزني أتقل ليه بس؟ مش بحب الأخبار بايتة.

قالتها بملامح شِبه متوسلة.

لاح الضيق على ملامحه، وتنهد وهو يشيح بنظره بعيدًا، ثم عاد لها بنظره وقال:

- هو احنا هنعيد الكلمتين كل مرة يا غادة؟ ما إنتي عارفة إني مش بحب أي قضية تنزل جرايد إلا لما تخلص.. لزومه أيه نخوّف الناس؟ وبعدين أنا إديتك كلمة.. تخلص وهكلمك.

ابتسمت لتتجنب مضايقته، وقالت وهي تنهض:

- ماشي كلامك.. هستنى تليفونك بُكرة.

رفع عينه دون أن يحرك رأسه وهمّ بتذكيرها أنه سيتصل بها، بعد حلّ القضية، «مش بُكرة»، لكنها لاحظت نظرته فأكملت:

- يا عصام بيه.. يا عصام بيه.. قضية إيه دي اللي هتاخد منك يومين؟ أنا هكلمك بُكرة وهتكون القضية خلصانة.. وابقى قول غادة قالت.. عن إذنك.

وقامت مُسرعة قبل أن يعترض.

فتح رأفت باب مكتب عصام ودخل، بعد طرقتين سريعتين، وأسرع يفتح ملف كان يحمله معه ويضعه أمام عصام، لتظهر صورة شخص في منتصف الثلاثينات، يحمل وجهه عدة جروح قديمة، يصلُح ليكون تجسيد للفظ "بلطجي". طالع عصام الملف لثوانٍ، وظهرت على ملامحه علامات التساؤل.

قال رأفت وهو يدور حول مكتب عصام ليقف بجواره:

- جمال عبد الشكور.. الشهير ب "تذاكر".. سوابق.. اتحبس في سرقة بالإكراه.. واتمسك كذا مرة حيازة بلا أزرق.. وساعات إتجار.. وبلطجة.

- إمممم.. والباشا هو صاحب البصمات اللي لقيتوها على علبة السجاير في شقة داليا؟

- تمام يا عصام بيه.

قال عصام وهو ينهض:

- فين رامي وهشام؟

- بيحضّروا القوة سعادتك.. علشان نروح نجيبه.

- طب استنى إنت هنا.. وبلّغني لو حد سأل عليا.

قالها وهو يلتقط سترته من على الحامل في ركن الغرفة، في طريقه للخروج.

(7)

منتصف نهار الخميس 12 ديسمبر سنة 2013

ظهرت قوة عددها غير قليل من أفراد الأمن، عند أول الحارة التي يسكنها "تذاكر"، قوة تليق بسُمعة بلطجي مثله. تسير بالخطوة السريعة، وتكتسي ملامح كل أفرادها بالجدية الواضحة. يتقدمهم عصام، بعد اضطرارهم لترك سيارات الشرطة في الحارة الأكبر نسبيًا التي تتفرع منها حارة "نجيبة" التي يسكُنها "تذاكر"، لاستحالة - بسبب ضيقها - فتح أبواب أي سيارة تتمكن بمُعجزة من دخولها. فالحارة بالكاد تتسع لهيكل سيارة صغيرة الحجم.

أسرع كل من كان في الحارة يفسح الطريق للقوة من الأهالي، حتى الأطفال، كان تحركهم أشبه بنفور طرف المغناطيس الموجب من مثيله. وبرغم الصمت الذي ساد الحارة، عِلم تقريبًا كل أهلها بصعود القوة للبيت الذي يسكن "تذاكر" سطحه. وظهرت السيدات في النوافذ المتقابلة، التي يسمح لهم ضيق الحارة بتبادل العبارات الهامسة، وأحيانًا استعارة الأغراض من خلالها بسهولة، يسألن بعضهن البعض عن سبب الزيارة غير المرغوب فيها.

طلب عصام من رجاله كسر باب الغرفة، بعد عدة طرقات قوية على الباب دون استجابة. وبعد أقل من دقيقة كان عصام يقف أمام جُثة المدعو "تذاكر". ولم يستطع أيًا من سيئوا الحظ - ممن سمحت لهم مساحة الغرفة الضيقة برؤية

الجثة - الكلام. الغرفة تتكون من صالة بالكاد تكفي لكنبة ومائدة طعام صغيرتين، إلى اليمين يوجد حمام ضيق للغاية بدون باب، أمامه ستارة مفتوحة، تحل محل بابه في الغالب. وفي مواجهة باب الغرفة، مدخل غرفة النوم، بها سرير صغير عليه جثة "تذاكر". تسقط الشمس على وجهها، وكأنها مأخوذة بما تراه حالها مثل حال كل من في الغرفة.

كانت جثة "تذاكر" على ظهرها فوق السرير مفتوحة العينان، تحمل ملامحها علامات فزع شديد وشحوب من تعرض للقتل على يد مصاص دماء. على جبهتها العريضة توجد ثلاث جروح قطعية، تجلط الدم عليها لتبدو ككتابة بقلم أحمر قاتم، سالت الدماء منها ولكنها لم تطمس الرسالة التي يبدو وأن القاتل تعمّد توصيلها، وهي تشبه (711). وكان كل ذراع مفرود على امتداده ومربوط في قائم السرير برباط قوي من البلاستيك الليّن. قُطعت شرايين اليدين مما تسبب في تسرب دماء الجثة كلها تقريبًا على السرير والأرض بجوار السرير من الناحيتين، مما يُفسر شحوب الجثة.

لم يقطع الصمت سوى صيحات قادمة من سطح البيت، انتفض كل من كان بالغرفة - تقريبًا - فزعًا، فمعظمهم كان لايزال تحت تأثير مشهد الجثة. التفت عصام لرجاله وقال بقوة:

- محدش يلمس حاجة.. كله يطلع برة الأوضة.. دي بقِت مسرح جريمة.

خرج كل من كان في الغرفة، وكأنهم كانوا ينتظرون هذا الأمر بفارغ الصبر.

خرجوا مندفعين وكأنهم يهربون من الموت ذاته، الذى كان حاضرًا بقوة على جبهة وملامح «تذاكر». لدرجة أنه حاز على تعاطف بعضهم بالفعل برغم سمعته السيئة، وتاريخه الطويل من البلطجة. كان عصام آخر من خرج من الغرفة، وكان يحمل هاتف محمول أحمر اللون بأطراف أصابعه، ملفوفًا في قطعة قماش التقطها مما يشبه المطبخ في ركن صالة غرفة «تذاكر». خرج ليجد أربعة من رجاله الذين كانوا خارج الغرفة يقيّدون شخصًا ويمنعونه من التوجه للغرفة، التي أصبحت لتوها مسرحًا لجريمة بشِعة.

توقف الرجل عن المقاومة عندما رأى عصام قادمًا نحوه، والسبب كان هيبة عصام الواضحة، ولكنها لم تمنعه من الصراخ، قائلًا:

- عملتوا إيه في «تذاكر» يا باشا؟ وليه مش عايزيني أشوفه؟ «تذاكر» عمل إيه علشان كل ده؟

رفع عصام يده وصفعة بقوة وصاح به:

- إنت جاي تحقق معايا يا روح أمك؟

ثم نظر لأحد رجاله الذين يُقيدون الرجل وقال:

- فتّش الحيوان ده.

ثم جذب الرجل من ياقة قميصة بقسوة، وصاح به:

- إنت مين ياض؟

تكلم أحد رجال عصام وقال:

- ده «كربونة» يا عصام بيه.. شهرته كده.. عيل لَبَط.. وشرَّف عندنا في الحجز كتير.

تكلم «كربونة» بصوت أشبه بالنحيب:

- يا باشا أنا إسمي حمدي.. «تذاكر» ده صاحب عمري يا باشا.. أخويا.. راضع عليه.. لما سمعت إن عنده زيارة جيت أشوفه.. بس سمعت حد خارج من الأوضة بيقول قتيل.. مين اللي قتيل يا باشا.. وحياة ولادك يا باشا تقولي «تذاكر» ماله. وسقط على الأرض عند قدمي عصام وانهار يبكي.

همّ أحد الرجال يلتقطه ليمثُل أمام عصام، ولكن عصام استوقفه بيده. ونظر له وقال بصبرٍ نافذ:

- هو ده تليفون «تذاكر»؟ إنت يا بني آدم رُد عليا وبلاش شغل النسوان ده.. ده تليفونه؟ شكله تليفون سِت!!

نظر له «كربونة» بعيون مليئة بالدموع بعدما تيقّن أن كلمة «قتيل» التي سمِعها منذ دقائق، كان المقصود بها صديق عمره بالفعل، وقال:

- لأ يا بيه.. تليفون «تذاكر» سايبه عندي من أول امبارح.

كست علامات الدهشة ملامح عصام لثوانٍ، ثم التفت لرامي وقال:

- خليك إنت يا رامي.. إرفعوا البصمات.. والجثة تروح المشرحة.. إقلبوا المخروبة دي.. عايزين أي حاجة عن القاتل.. دي كده دخلت في الجَدّ.. المديرية هتتقلب.

ثم أشار إلى «كربونة» - الذي كان لايزال يبكي على الأرض - بضيق، وقال لرجاله:

- تعالى معايا يا عفت إنت ومجدي.. كلبشوا الواد ده وهاتوه معانا.

واتجه مُغادرًا سطح البيت وهو ينتفض من الغضب والقلق والتوتر، فهو كان يعلم يقينًا أن القضية تحوّلت لتوّها لقضية من أكبر القضايا التي مرّت على المديرية في تاريخها.

(8)

عصر الخميس 12 ديسمبر سنة 2013

كان القسم مُزدحمًا بالمواطنين، منهم من له حق، ومنهم من يظُن أن له حق، ومنهم من يدّعي هذا زورًا. فالمأمور يصفع سائق أتوبيس سياحي على وجهه، ليسقط أرضًا هو والكرسي الذي كان جالسًا عليه، بعد رفضه تشغيل التكييف - المدفوع ثمنه ضمن ثمن التذكرة - للرُكاب، برغم طلب المأمور ذلك منه - بأدب - عدّة مرات، لينصاع السائق أخيرًا، وكأن التكييف لا يعمل إلا بالصفع، ولكن على وجه سائقه. وفي الممر المؤدي لمكتب رئيس المباحث، سيدة لا تبدو عليها أي إصابة، تتوعد زوجها - الذي أصابته بعاهة مستديمة بالفعل - بقطع كل أطرافه إذا تجرأ و"فكّر يمِدّ إيده عليها تاني"!! أما عند باب غرفة رئيس المباحث، يقف رجل وقور تخطى الستين سُرقت سيارته، وهو يعلم من سرقها، لأنه تحدث معه عبر الهاتف عِدة مرات، ليطلب منه مقابل رجوعها، وكأنه عليه أن يُعيد شراء سيارته، كل مرة ينجح أحدهم في سرقتها. ونصحه أحد أُمناء القسم بدفع الفدية المطلوبة، لأنها "لحُسن حظه" حسب تعبيره، لا تساوي ربع ثمن السيارة، وبقى أن يحاول الأمين إقناعه بمدى رِقة قلب سارقها، ليطلب منه فقط هذا المبلغ البسيط. تخطى عصام كل هذا الزحام، بملامح جامدة، ليصل إلى مكتبه.

جلس على مكتبه ودق الجرس ليحضر له فورًا الأمين رأفت، الذي لم يلحظ وصول رئيسه بسبب الزحام، اندفع رأفت للمكتب قائلًا:

- محدش سَأَل على سعادتك. رفع عصام سمّاعة هاتف مكتبه، وقال لرأفت دون أن ينظر له:

- روح هاتلي علبة سجاير.. ووصّي ع القهوة.. بسرعة.. دقيقة تكون هنا.. وخد التليفون ده إرفع من عليه البصمات وهاته تاني على طول.. محدش يشغّله.. والواد كرتونة ده يفضل برة لحد ما أبعتله.

أخذ رأفت التليفون داخل كيسه البلاستيكي واتجه للباب وقال مُصحّحًا:

كربونة يا عصام بيه.

طلب عصام رقمًا، وانتظر ثوانٍ قبل أن يقول لمُحدثه:

- مساء الخير يافندم.. معاك الرائد عصام ناجي رئيس مباحث قسم حدائق القبة.. كنت محتاج...

قاطعه الصوت الآخر قائلًا:

- عصام ناجي؟ مش إنت إبن أخو اللواء مصطفى الله يرحمه؟

- بالظبط يا فندم.. مظبوط.

- ما شاء الله عليك سمعتك كويسة في الوزارة يا عصام.. مشرّف عمك الله يرحمه.

- الله يخليك يافندم.. يارب نكون عند حُسن الظنّ دايمًا.. كنت محتاج

أكلّم اللواء أشرف من فضلك.. قضية القتل اللي عندي فتحت على قضية قديمة كبيرة.. ومحتاج أبلّغ سعادته.

- إيه؟ خير يا عصام؟

- يا فندم لو تفتكر سعادتك القضية اللي اتقتل فيها تسعة من كام سنة.. كانت الصحافة مسمّياه سفاح الأرقام؟

- فاكره طبعًا.. مش ده اللي عمك الله يرحمه كان ماسك قضيته؟

- تمام يا فندم هو ده.. واضح إنه رجع يشتغل تاني.. لقينا جثة مشتبه فيه في جريمة قتل عندنا.. مقتولة بنفس طريقته.

- يا ساتر.. هي البلد ناقصة؟ طب سيبني أبلغ اللواء أشرف وأكيد هيكلّمك.. وياريت تبعتلي تقرير الجريمة بسرعة.

- تمام يافندم.. في انتظار تليفون سعادته.. وهشتغل على التقرير أول ما توصلني صور مسرح الجريمة.. مع السلامة يا فندم. ويغلق الخط.

يرن هاتفه المحمول ويظهر اسم زوجته على الشاشة، يرد عليها ودون أن ينتظرها تتكلم يقول:

- أيوة يا حبيبتي.. فاكر الحفلة.. ومش هتأخر.

فقالت متفهِمة:

- ماشي.. أنا قلت أفكّرك.. سلام يا عصام.

بعدما أدركت أنه مشغول بحُكم العِشرة.

- سلام.

دخل رأفت المكتب بعلبة السجائر الميريت الزرقاء، التي لا يُدخن غيرها عصام بعد إصرار زوجته أن يتوقف عن التدخين، وموافقتها تغيير المارلبورو الحمراء لميريت كخطوة أولى. قال لرأفت والتوتر بادٍ على ملامحه:

- أول ما الرجالة توصل تجيني.. وهات لي الواد اللي برة.. هوّ اسمه إيه؟

- كربونة.

أجرى عصام اتصالًا من هاتفه المحمول وقال بمجرد سماع صوت الطرف الآخر:

- أيوة يا غادة.. لو عايزة تبقي الصحفية نمرة واحد في مصر من بكرة.. تكوني عندي في القسم في نُص ساعة.. عندي مواعيد مش هقدر أتأخر.

- أيوة بقى.. هوا هكون عندك.

- ماشي.. سلام.

دخل رأفت ومعه "كربونة" الذي بدا أكبر سنًّا مما كان عليه منذ ساعة واحدة. حقًّا يشيخ الشخص الحزين أسرع من غيره. قال عصام لرأفت:

- محدش يدخل عليا ولا يقاطعني إلا رامي وهشام بيه لما يرجعوا.. فُك الكلبشات وابعتلي... ونظر لكربونة سائلًا:

- شاي؟

هز كربونة رأسه أن نعم دون أن يرفع عينه عن سجادة المكتب الكئيبة باهتة اللون. أكمل عصام:

- ابعت شاي مع حسين.. شكرًا يا رأفت.

أشار عصام لكربونة أن يجلس وهو يشعل سيجارته:

- مش هعزم عليك بسجاير النسوان اللي بشربها دي.. مش هتنفعك.. لما حسين يجيب الشاي.. أطلب منه واحدة سوبر لو عايز.

أراح ظهره على الكرسي، ونظر لكربونة متفحصًا، ثم قال محاولًا تحويل تفكير كربونة عن موت صديق عمره:

- إيه حكاية إسم كربونة ده؟ جديد عليا.

ظهر شبح ابتسامة على ملامح كربونة، وتنهد بحُرقة وقال:

- تذاكر الله يرحمه اللي سمّاني كربونة.. عشان وأنا صغير كنت بقلّد الممثلين والمشاهير.

وصل الشاي وطلب كربونة من حسين سيجارة وأشعلها. قال عصام:

- كربونة.. ركز معايا شوية بقى علشان عايز اسألك سؤالين.. لما سألتك عن تليفون تذاكر قولتلي سايبه عندك بقاله يومين.. هو متعوّد يمشي من غيره؟

- لأ يا بيه.. هو بقاله كام يوم مش على بعضه.. ييجي أسبوع كده.. ومن يومين سعادتك لقيته بيقولي هغطس يومين وبعدها هاخدك يا كربونة ونغور من الحارة.. وساب تليفونه مقفول عندي.. وسألته ليه.. قالي دي تعليمات البيه صاحب الشُغلانة.

ظهرت ملامح الاهتمام على عصام:

- ما قالش مين البيه ده؟ ولا إيه هي الشُغلانة؟

قال كربونة بحسرة:

- لا والله يا بيه.. أنا كمان خدت منه جنب ساعتها وما مسكتش فيه عشان يقولي.. أصل عمره ما طلع طلعة من غيري.. آخرتها ييجي يعاملني زي مراته؟ زعلت منه يا بيه.. يا ريتني كنت مسكت فيه ولا كسرت رجله ساعتها وما سيبتوش ينزل.

وبدا وكأنه على وشك البُكاء.

- كانت إمتى آخر مرة قابلته فيها؟

- أول أول امبارح الصبح.. جالي ما قعدش ربع ساعة قال الكلمتين دول ومشي.. وانا عشان زعلان ما سألتش فيه من ساعتها.. لحد ما جالي خبر إن الحكومة طالعة عنده.. جيت جري.

دخل رأفت بعد طرقة سريعة على الباب، ليعلن وصول كلٍّ من النقيب رامي والنقيب هشام من مسرح الجريمة. وأعطى الهاتف المحمول الذي وجده عصام في غرفة تذاكر لعصام داخل كيسه بعد رفع البصمات من عليه وإرسالها للفحص. صرف عصام كربونة من مكتبه وطلب منه الانتظار في القسم لتُثبت أقواله في محضر رسمي.

بمُجرد جلوس عصام مع رامي وهشام، رنّ هاتف مكتبه، فالتقط السماعة بسرعة:

- ألو.. ثم ظهرت الجدية على ملامحه عندما جاءه الرد.

- معاك اللواء أشرف عتمان يا عصام.. مش عصام معايا ؟

- أيوة يا فندم الرائد عصام ناجي مع سعادتك.

- إنت متاكد يا ابني من إن اللي قتل المرة دي هو نفسه الراجل بتاع زمان زي ما وصلني ؟

- أيوة يا فندم متأكد.. كل التفاصيل هي هي.

- طب أنا هستناك السبت الصبح في مكتبي ١٠ الصبح.. ربنا معاكم.

أوما برأسه وهو يقول:

- حاضر يا فندم.. عشرة الصبح هكون عند سعادتك ومعايا فريق البحث هنا. وأغلق الخط.

فتح الكيس الشفاف وأخرج منه الهاتف المحمول الذي حصل عليه من غرفة تذاكر، وفتحه، وقال دون أن يحوّل نظره عن المحمول في يده، وهو يشير لهاتف المكتب:

- اللواء أشرف عتمان رئيس مباحث المُديرية مستنينا السبت الصُبح الساعة ١٠ في مكتبه.. حد فيكم فاكر القضية اللي قلبت مصر كلها من كام سنة؟ اللي كانت مشهورة باسم سفاح الأرقام؟

قال هشام:

- أيوة طبعًا.

أضاف رامي:

- مش دي عمّك اللواء مصطفى الله يرحمه كان ماسكها؟ أسمع ’نها القضية الوحيدة اللي ما عرفش يحلّها في مشواره كله.

قال عصام:

- مظبوط.. حد فيكم يعرف تفاصيل عن القضية دي؟

نظرا لبعضُهم البعض في رد صامت على سؤاله أن لا. وقبل أن يكمل عصام كلامه قال رامي:

- حضرتك شايف ربط بين جريمة النهاردة والقضية دي؟

تنهد عصام وقال:

- جريمة النهاردة تمّت بنفس طريقة القاتل اللي قتل بيها ٩ قبل كده في القضية دي قبل ما يختفي.. أنا حافظ القضية دي.. ياما سهرت مع عمّي وهو بيراجع تفاصيلها وكنت بساعده.. نفس الرباط البلاستيك اللي حوالين الأيدين.. نفس النومة.. قطع الشرايين في نفس المكان.. وأخيرًا التاريخ اللي مكتوب على راس الضحية بالمقلوب.. والمراية المكسورة.

ظهرت علامات الدهشة والانفعال على ملامح كلٍّ من رامي وهشام. نظر عصام في ساعته وهبّ واقفًا، وقال:

- تسهروا الليلة دي.. تطلعوا تفاصيل القضية دي من الجرايد أو الأرشيف.. إتصرّفوا.. تحفظوها.. عايزين السبت نكون جاهزين في الإجتماع مع سيادة اللواء

في المديرية.. ولو اتزنقتوا في حاجة كلّموني.. وقبل ما تمشوا من القسم خلّصوا تقرير جريمة تذاكر دي.. ابعتوا هاتوا جيرانه.. وكربونة صاحبه ده.. وشوفوا البصمات اللي ع التليفون اللي لاقيته في أوضته بتاعة مين.. وحاولوا تجيبوا من على التليفون بيانات صاحبه.. كل ده يكون جاهز السبت.. وياريت نتقابل نُص ساعة بدري علشان أقرا التقارير قبل ما نقابل سيادة اللواء.. سلام علشان عندي مشوار ضروري.. وما تتأخروش بكرة.

ثم أعطى الهاتف المحمول لرامي، وغادر.

فتح عصام باب سيارته ليجد من يُناديه:

- كده يا عصام بيه؟ بتبعتني؟

التفت ليجد غادة الصحفية قادمة من ناحية القسم وقال:

- أنا قُلت نُص ساعة من ييجي ساعة.

قالت وهي تضحك:

- إحنا اللي بيننا أكبر من نُص ساعة تأخير.. إيه الموضوع اللي هيركبني على راس الصحافة في مصر في يوم وليلة؟

نظر في ساعته، ونظر لها، وفكّر ثوانٍ ثم قال:

- عندك اختيار واحد.. تركبي معايا.. أفهّمك الحكاية في السكة.. وترجعي لوحدك في تاكسي.. ها؟

قالت وهي تدور حول السيارة:

- ودي عايزة سؤال.. معاك يا باشا.

(9)

ليل الثُلاثاء 21 مارس سنة 2005

يجلس الشاب محمود شعبان عبد الدايم، على رمال شاطئ أبو قير، يغطي نصف وجهه بشال مُلتف حول رقبته ليقيه من البرد، ينظُر إلى البحر، الذي تحول لونه للأسود تحت غطاء الليل الطويل. يطلق تنهيدة طويلة مُحمّلة بدُخان سيجارته. يكاد يرى نفسه في الجانب الآخر، في صحبة شقراء جميلة، عيناها تنطِق بحبه، يتحدث معها بالإيطالية بطلاقة، التي لا يعرف منها بَعد سوى كلمة صباح الخير، ولا يتذكرها بسهولة. يرى نفسه مُرتديًا ثيابًا فاخرة، ويضحك كما لم يضحك من قبل.

يبتسم دون وعي، وهو يتخيّل حلمه الذي ظَل يراه ليس فقط طوال رحلته من القاهرة للإسكندرية، ولكن منذ أن علِم من صديقٍ له عن عم رفاعي غريب الصياد. لا يعلم أحدًا إن كان لقب الصياد مُكتسب بحُكم مهنته، أم هو لقب عائلته بالفعل.

ينتزعه صديقه من حلمه ليلحق به عند الشط، حيث تنتظرهم (غالية) وهو الاسم الذي اختاره عمّ رفاعي لمركبته، التي لا تصلُح للسفر لإيطاليا على عكس ما أقسم به عم رفاعي مرات، وهو يقبض ثمن رحلة الموت من كل شاب.

الخميس 23 مارس سنة 2005

خبر صغير في صفحة الحوادث:

غرق خمسة شباب ظهرت جُثثهم على شواطئ أبو قير في الإسكندرية بعد رحلة صيد انتهت بمأساة.

(10)

وقت الغروب الخميس 12 ديسمبر سنة 2013

دخلت غادة مكتب مجدي كارم رئيس تحرير جريدة الملامح المصرية، دون استئذان، على غير العادة. نظر لها باستغراب، وأسرع ينهي مكالمته مع أحد العُملاء، لأنه بحُكم معرفته الجيدة بها، كان واثقًا أنها جاءت له بأخبار سعيدة، التي تعني بسبب طبيعة عملها؛ مصيبة.

بمُجرد أن أغلق الخط، قالت له غادة بزهو:

- صفحة أولى.. واسمي ينزل على التحقيق.. ومش هتاخده مني ولو على جُثتي.. قُولت موافق؟

نظر لها باستغراب، وتبسّم، وقبل أن يقول أي شيء، اتجهت ناحية الباب وهي ترفع كتفيها، وتقول مُهدِّدة:

- مش موافق؟ إنت الخسران.. أنا دلوقت ألف جرنال يتمناني.. ها؟ قولت موافق؟

- لأ طالما ألف جرنال يتمناكي.. موافق.. بس والله العظيم الموضوع لو طِلع ما يستاهلش لاخصملك أسبوع.. قولت موافق؟ مُقلدًا إيّاها.

ضحكت ومشيت في اتجاه الحائط المجاور لمكتبه من ناحية اليسار، وقفت أمام مقالة مُعلقة على الحائط داخل إطار خشبي بسيط ويبدو عليها القِدم. تطلّعت إليها لثوانٍ، ثم التفتت له، وأشارت للمقالة وقالت:

- شكلها مش هتكون آخر مقالة تكتبها عنه.

نقل مجدي نظره بين غادة والمقالة عِدة مرات دون فَهم، ثم هزّ رأسه كمن يحاول أن يستفيق من غفوة:

- غادة.. واحدة واحدة عليا.. مش فاهم حاجة.

اقتربت من مكتبه وقالت بحماس:

- الراجل بتاعك رجع يقتل تاني يا مستر مجدي.. وكمان معايا صور مسرح الجريمة.. وأخدت الOK من عصام بيه إني أنزّلها من بكرة.

كسى الذهول ملامح مجدي كارم، وتحركت عيناه تلقائيًا صوب المقالة الوحيدة المُعلقة على الحائط في مكتبه، الحائط المُكتظ بإطارات متعددة تحوي داخلها صور لحظات تكريمه في عدة أماكن مُختلفة، وشهادات تقدير، وجوائز.

قال بصوت بحّه الذهول:

- مش ممكن طبعًا !!

قالت له وهي تُخرج ملف من حقيبتها:

- نفس التكتيفة.. قطع الشرايين.. الكتابة بالمقلوب.

خطف منها الملف بلهفة وانفعال، فتحه، وبمجرد أن وقعت عيناه على أول

صورة لجُثة تذاكر الشاحبة، نظر لغادة وظهرت عليه ملامح تجمع ما بين الذهول والانفعال الشديد. جلس على مكتبه ونظر مرة أخرى للصورة التي كانت لا تزال في يده، ثم رفع عينه للمقالة المُعلقة على الحائط، وكأنه ينظُر لصديقٍ عائدٍ بعد غيبة طالت.

كانت تلك المقالة التي كتبها أثناء عمله في جريدة حكومية كُبري، السبب في طرده من العمل بها، واتهامه بالتحريض على القتل، وخروجه بأعجوبة بحكم مع إيقاف التنفيذ. والسبب في تغيُر حياته كلها. وكانت السبب غير المباشر في النجاح الذي وصل له، بعدما قرر أن يبدأ مشروع جريدة الملامح المصرية. كان ولا يزال يطرح يوميًا على نفسه نفس السؤال، والذي اختاره عنوانًا للمقالة "هل سفاح الأرقام مجرد قاتل؟" ولم يصل لإجابته بعد.

مقالة بتاريخ 6 ديسمبر سنة 2005

هل سفاح الأرقام مُجرد قاتل؟

بقلم: مجدي كارم

نعم، هو ذلك الخيط الرفيع بين ماهو صواب وما هو خطأ. تلك المنطقة الرمادية، التي لن تتمكن مهما كنت واثقًا من نفسك، أن تضُمها بضمير مرتاح للمنطقة البيضاء، أو السوداء.

فهو قاتل، بدم بارد، يهاجم ضحاياه ليلًا، يغدُر بهم، ينتزع أرواحهم، وغالبًا يقف ليشاهد مُستمتعًا بريق الحياة ينطفئ تدريجيًا في عيونهم. الآن عزيزي

القارئ، أنت - وبضميرٍ مرتاح - قد وضعته في دائرة الشر، دون لحظة تفكير.

ولكن، ماذا لو كان ما فعله بهم، كان بالضبط، ما فعلوه هم بأبرياء، لم يملكوا من المال، أو يتمتعوا بالجاه، أو السلطة، التي تسمح لهم أن يدافعوا عن أنفسهم؟ ماذا لو كانوا كل ضحاياه يستحقّون القتل بحكمٍ قضائيٍّ لَم يُنطَق؟ لعدم كفاية الأدلة، أو لثراء الجاني... إلخ. أيًا كان السبب، فالنتيجة واحدة.؛ نجاة المجرم بجريمته، ليعود لحياته الطبيعية، بعد أن حرم منها أبرياء، لم ينصِفهم غير هذا "القاتل".

أكاد أراك عزيزي القارئ وأنت تُعيد الرجُل للدائرة الرُمادية. بل أن البعض قد يقوم بنقله مباشرة للدائرة البيضاء.

سيكرهه البعض، ويحبه آخرون. سيكون بطلًا في نظر البعض، وخارج عن القانون في نظر غيرهم. سيوافق أحدهم على ما يفعله ويختلف على طريقة التنفيذ. سيوافق غيره على كل شيء، وسيرفض غيرهم كل شيء.

ولهذا سيبقى في المنطقة الرمادية، شئتم أم أبيتم.

فهو مُجرد عَرض من أعراض مرض تفشى في جسد الدولة. ومحاربة أعراض المرض، لا تُشفي الجسد، إنما تُزيد من آلامه، وتطيل أمد مُعاناته. حاربوا المرض، لتختفي الأعراض.

أرجوكم لا تُحمّلوا فشلكُم لمن يرفض أن يتحمّل الضعفاء وحدهم نتيجته.

قطع صوت غادة سيل الذكريات الذي هاجم مجدي كارم وفصله لدقائق

عن الواقع، قالت:

- تصدق يا مستر مجدي، أنا ممكن أعمل معاك إنت شخصيًا -Inter
.view

وقبل أن يتمكن من استيعاب الفكرة، أكملت هي بحماسة تدُل على اقتناعها الكامل بالفكرة، وهي تُشير بيدها وكأنها ترسم المانشيت بعرض الغُرفة:

- اقرأ في العدد القادم "حوار مع مجدي كارم.. الذي اتهمته السُلطات أنه على علاقة بالقاتل يتحدث بعد عودة القاتل".

أراح مجدي ظهره على كُرسيه، وظهرت على وجهه علامات التفكير المُتأنّي، ثم قال بعد دقيقة من الصمت:

- أنا مش عارف أفكر دلوقت في موضوع الInterview، ممكن بس ما تستعجليش.. الموضوع مش هيّن.. ما تنسيش إنه قاتل يا غادة.. محتاجة تفكير شوية الحكاية دي. وأكمل قبل أن تعترض:

- إسمعي الكلام يا غادة.. إنزلي بالموضوع زي ما طلبتي.. بس عايز أشوفه الأول قبل ما ينزل المطبعة.. أو Online.. معلش بلاش مناقشة في الموضوع ده بالذات.

غادرت مكتبه وكانت في مُنتهى السعادة لسماحه لها بتولّي الموضوع، ونزوله في الصفحة الأولى.

(11)

ليل الخميس 12 ديسمبر سنة 2013

يتذكر عصام وهو يقود سيارته عائدًا لمنزله، جلساته الطويلة مع عمه التي كان يشاركه فيها بأخبار قضية "سفاح الأرقام"، ويناقشه، ويطلب رأيه. تذكر أول مرة قال لعمه أنه يكاد يؤيد هذا القاتل في بعض جرائمه، وتذكر ثورة الغضب التي ثارها عمه عليه، كانت كلمات عمه تدوي في رأسه:

- لو فعلًا شايف إن من حق أي مريض نفسي يقتل، لمُجرد إنه بيقتل مُجرمين، يبقى إنت اخترت الطريق الغلط، والمفروض تطلع مُحامي، علشان تساعد المُجرم ده لما نقبض عليه وترجّعه الشارع يقتل تاني.

- يا عمو أنا ما قصدتش إن هو صح، أنا قصدت إن فيه ناس من دول يستاهلوا يتقتلوا.

- محدش يستاهل يتقتل يا عصام، إنت هتكون ظابط مباحث، مش قاضي، اللي يستاهلوه فعلًا هو القبض عليهم وتقديمهم للمُحاكمة، القاضي هو اللي يقول يستاهلوا يتقتلوا أو لأ. إفتكر كلامي كويس يا عصام، اللحظة اللي هتبتدي تكره فيها المُشتبه فيه، هي اللحظة اللي هتتحول فيها من ظابط مباحث، لجلّاد، بيسخّر القانون علشان ينتقم من الناس. هتبتدي بإجبار المتهم على الإعتراف، وهتنتهي بتلبيس ناس بريئة قضايا

مش عارف تحلّها. افتكر كلامي ده كويس لو بتخاف من ربنا.

أفاق من ذكرياته عندما قالت زوجته:

- كان لازم يعني تفتح سيرة الكلام في السياسة قصاد ريم وإنت عارف إنها مجنونة ودماغها طاقّة؟

نظر لها و قال بسُخرية:

- مجنون مين ده اللي يفتح سيرة السياسة قصاد أختك؟ هي اللي فتحتها طبعًا.

- وانت استفزيتها يا عصام.. إنت عارف هي أد إيه مُتعصِّبة لرأيها.. كان لازم تخرّجها عن شعورها كده؟

ثم ضحكت كطفل انتهى لتوّه من تنفيذ مقلب في زميل لا يطيقه، وقالت:

- بصراحة.. كنت هموت من الضحك لما علِّت صوتها وقالت "هتفضلوا طول عُمركم عصاية في إيديهم.. إنت عصاية يا عصام" قالها بشكل مسرحي مُقلِداً أختها.

ضحك عصام، وقال:

- وبتقولي عليا أنا اللي شرير؟ دا إنتي شمتانة في أختك.. على فكرة.. تقريبًا كل اللي كانوا في العيد ميلاد بيقولوا عليها مجنونة.. دي لَسعِت خالص يا عيني.

- بس إنت بالراحة عليها بعد كده.. هي بتحبك والله.. وانا عارفة إنك بتحبها.. وإلا ما كنتش كل مرة تتخانق معاك وترجعوا تتصالحوا.

- يا حبيبتي أنا كنت واقف مع أبوكي والدكتور حازم صاحبه.. وهي اللي فجأة لقيتها جاية تسألني عن احتمالية أن تكون الداخلية هي اللي بتفجر مقرّاتها.. لأ بس بنت حلال.. قالتلي قول وانا مش هجيب سيرة. قالها وضحك بصوّتٍ عالٍ.

قالت رضوى وهي تضع يدها على فمّها:

- ششششششش هتصحّي البنت.

ونظرت للمقعد الخلفي لتتأكد من أن مَلَك مازالت نائمة. ثم اعتدلت لعصام وقالت:

- مش بقولك لَسعِت؟ طب وانت قلتلها إيه؟

- قلتلها طبعًا إحنا اللي بنعمل كده.. زي ما حرقنا عربياتنا.. وقتلنا ظُباطنا.. وحرقنا الأقسام.. واقتحمنا السجون.. وهرّبنا الإخوان.. وانتخبناهم.. أصلًا خُرم الأوزون الداخلية هي اللي خرمته.

ضحكت رضوى رُغمًا عنها بصوتٍ عالٍ، وقالت وهي تخفض صوتها وتنظر لمَلَك النائمة في المقعد الخلفي:

- طب ما طبعًا كانت لازم تتجن عليك.. إنت مُشكلة.

أوقف عصام سيارته أمام مدخل العمارة التي يسكن بها، وقال لزوجته:

- حبيبتي أنا هتمشى شوية.. إستني أطلّع معاكي البنت.

- أنا عارفة.. عندك قضية كبيرة.. يبقى لازم تسهر على النيل.. هتكلم شريف؟

- من ساعة ما ساب الداخلية.. مش عارف أتلمّ عليه.

- خلاص روح إنت.. هي هتصحى.. ما تنزلش.. يللا يا مَلَك. ثم نظرت له وهي تغلق باب السيارة:

- يا ريت ما تتأخرش.

تحرك عصام بسيارته في اتجاه وسط البلد، أخرج هاتفه المحمول واتصل بصديق عمره، شريف ناجي، الذي طالما اعتقد زملاؤهم أنهما توأم بسبب تشابه اسم الأب، وبسبب قُربُهم الشديد من بعضهما، برغم اختلاف شخصياتهما تمامًا، إلا أن صداقتهما تمكنت من بناء جسر بينهما، يصعُب هدمه. انتظر حتى توقف الهاتف عن الرنين، مُعلنًا عدم رد شريف، فألقى الهاتف بجواره. ثم فتح درج السيارة وأخرج منه شال صغير لفّه حول رقبته، وقفاز لتدفئة يده، وفتح زجاج السيارة برغم البرودة القارصة. وصل لميدان عبد المنعم رياض، ترك سيارته في ساحة انتظار تحت الكوبري، ونزل منها والشال يخفي نصف ملامحه، يحمل في يده كوبًا من النوع الذي يحتفظ بحرارة ما بداخله. تحرك سيرًا في اتجاه النيل، يسير بخطوات بطيئة، منكمشًا على نفسه من البرد، تتحرك عيناه يمينًا ويسارًا، يتابع حركة السَهَارى في الشوارع. منهم من أجبرته ظروف عمله على التواجد في الشارع إلى الآن رُغمًا عنه، وهؤلاء يراهم يُسرِعون الخُطى وينظرون أمامهم، لا يحاولون الاستمتاع بالشوارع التي تكاد ألا تستطيع أن ترى الأسفلت بها أثناء النهار بسبب الزحام. ويرى السهارى باختيارهم، مثله، معظمهم صغير السن والعقل، وشبه معدوم الوعي، قليل منهم يسير ببطءٍ مثله، يستمتع بما لا يمكن حتى مُجرد رؤيته أثناء النهار. يصل عصام عند السور الأسود ويسير يسارًا ناحية

كوبري قصر النيل، يحمل النسيم البارد له رائحة حُمص الشام الدافئ.

يقف قُرب (فرشة) شاي، ينطلق من خلفها صوت محمد مُنير بأُغنية "شيء من بعيد". يلمحه رجل في مثل سنه يقف خلف (الفرشة) فيبتسم، قصير القامة، مُمتلئ قليلًا، يقف خلف السور الأسود - الذي يمتد في تلك المنطقة على جانبي النيل - ظهره للنيل ووجهه للسور والشارع، أمامه مائدة مُغطاة بأكواب زُجاجية من نفس الحجم، لا يمكنك معرفة عددها من كثرتها، ومن الدُخان المتصاعد منها، ومن البراد الكبير، الذي لا يتوقف شمس عن صبّ الشاي منه بها، فكلما يأخذ مُساعده بعضًا منها للزبائن، ويضع الأكواب الفارغة على المائدة جانبًا داخل بعضها البعض، يقوم شمس بآلية، بإفراغ ما تبقى داخلها من شاي على الأرض تحته، ثم يغسلها سريعًا بماء نظيف من برميل كبير بجواره، ثم رصّها بجوار باقي الأكواب، وتزويدها بالشاي والسكر، ويلتقط البراد الكبير، ويملؤها بالماء المغلي، لتبدأ العملية كلها من جديد، يبتسم له عصام، ويقول:

- إزيّك يا شمس؟

- تمام يا عصام بيه الحمد لله.. وانت؟

نظر له بلوم:

- ما قلنا بلاش بيه دي هنا. قالها وهو يفتح غطاء الكوب ويناوله إيّاه. ثم أكمل:

- الشغل كربس وعايز أفصل.

وضع شمس بعض الشاي والسكر ثم صَبّ الماء المغلي في الكوب وهو يقول:

- وفين شريف بيه صاحبك؟

- مش فاضي يا عم.. من ساعة ما ساب الداخلية وهو مشغول.

- معقول؟ ساب الداخلية؟

- شُفت؟ شغال مدير أمن في شركات راجل أعمال كبير.

قال شمس باسمًا وهو يُعيد الكوب لعصام:

- عُقبالك.

- لا ياعم.. الشغلانة دي كانت معروضة عليا.. وأنا ما رضيتش.. وهو لما عرف.. شبَط.. البلد محتاجة كل واحد فينا النهاردة.. وبعدين أنا طول عمري كنت عايز أكون كده.. فَقَري بعيد عنك.. شوية وجاي.

ثم دار ليُكمل سيره ناحية قصر النيل.

قال شمس:

- هتلِف طبعًا على الكوبري زي كل مرة وترجع.

هزّ عصام رأسه مؤكدًا على كلامه وهو يبتسم، ثم دار وتوجه ناحية كوبري قصر النيل وهو يغلق غطاء الكوب. وصل لمكانه المُفضل، في منتصف الكوبري تمامًا، أخرج سمّاعات هاتفه المحمول، ووضعها في أُذنيه، ولمس زر التشغيل لينطلق صوت موسيقى بصوت يكاد يكفي لمنع صوت الأغاني المُزعجة التي تدخُل أذنه قسرًا، قادمة

من المراكب التي تنشط ليلًا فوق النيل. فمُنذ ظهور تلك النوعية من الأغاني وهو يكرهها ويكره من يُغنيها ومن يسمعها بصوتٍ عال، ليس لاختلاف ذوقه عنهم، ولكن لأنهم اقتحموا عليه مكانه، الذي اعتاد أن يستمتع فيه بهدوء وبرد الشتاء، بعيدًا عن ضوضاء النهار، وموتاه الأحياء.

يُشعل سيجارته بصعوبة بسبب قُفازه الذي يقيه من البرد، ويسند مرفقيه على سور الكوبري، ويغرق في تفكير عميق في القضية التي لم تكن في حُسبانه بتاتًا، يسترجع كل تفاصيل القضية كعادته، ومحادثة نفسه كما علّمه عمه، الذي تعوّد أن يسأل نفسه بصوتٍ مسموع عن القضية ويُجيب، لأن سماع السؤال يجعل العقل في حالة انتباه، على عكس التفكير الصامت، الذي يسمح للعقل أن يسرح أحيانًا، كما علّمه عمّه، ولذلك استعان به كثيرًا عندما كان يزوره في منزله، ليتحدث معه حول القضية. لم ينس عصام أنه ساعد عمه بحواره معه، على حل لُغز الأرقام، التي كان يكتبها القاتل على جبهات ضحاياه. وتذكر يومها كيف كان في قمة الفخر عندما تنبأ له عمّه أن يُصبح ضابط مباحث عبقري. ولكنه لم يتوقع أبدًا أن يأتي عليه اليوم ليكون مُطالب بتحقيق ما عجز عنه عمه شخصيًا. ابتسم عندما تذكر تلك الليلة، وشعوره يومها، وحماسته.

غادر عصام مكانه مُتجهًا للفرشة مرة أخرى، وصوت محمد مُنير في أذنيه:

بالظبط الشعر اللي بحبه.. الطول واللون والحرية..

ده مهفهف على وشك لعبه.. أوصف لك إيه يُغمى عليا..

مش عايز احبك مش عايز.. مش داخل سجنك مش جايز..

استوقفه مشهد غريب عليه، مع أنه دائم الحضور لتلك البقعة ولكنه لم يصادفه من قبل. رجل عجوز يبدو عليه الفقر ولكنه نظيف الملبس، يتكئ على عصاه التي تبدو وأنها لن تحتمل ثُقله كثيرًا، يسير وحيدًا ببطءٍ على رصيف الكوبري قادمًا من ناحية ميدان التحرير. كان الرجل يتحدث بصوتٍ واضح دون توجيه الكلام لشخص بعينه. نزع عصام السمّاعة اليمنى واقترب من الرجل بفضول ليسمع ما يقول. سمع صوتًا قويًا مليئًا بالعِزة لا يتناسب مع هيئته الفقيرة، وظهره المحني، يقول:

ولا حد هَمّه غيره حاله إيه..

كله يهمّه هوّ هيهبش إيه..

سفينة معيوبة وليها ١٠٠ قبطان..

عايزينها توصل بالسلامة بأمارة إيه؟

أعجب الكلام عصام فاقترب من العجوز، وسار خلفه ببطءٍ على بُعد ذراع منه ليسمع كلامه مُجددًا. ولكن العجوز لم يُكَرر كلامه، ولكنه قال بنفس الصوت ولكن مع لمسة حُزن ملحوظة:

ولا ربنا غفلان ولا حكمته غايبة..

لكل حاجة أوان الدنيا مش سايبة..

إعمل لربّك وانسى الدنيا زايلة معاك..

واللي متبّت فيها ماسك حبال دايبة.

توقف الرجل فجأة حتى كاد عصام أن يصطدم به وتوجه الرجل لسور الكوبري ووقف في نفس المكان الذي كان يقف فيه عصام تقريبًا ينظُر للنيل. وقف عصام على بعد خطوات منه، ونظر لملامحه الطيّبة، فلمح نظرة أسى وكأنه يقف في عزاء أعزّ الناس إلى قلبه.

بعد دقائق من الصمت، غادر عصام مكانه وعاد في اتجاه الفرشة التي قابل فيها شمس. ما أن لمحه شمس قادمًا نحوه من ناحية كوبري قصر النيل، حتى مسح يده بفوطة، وذهب لجهاز تشغيل الأغاني الموصّل بسماعات كبيرة، واختار أغنية "عينيكي تحت القمر" التي يطلُبها عصام دائمًا كلما يأتي هنا. ابتسم عصام وهو يسمع صوت محمد مُنير بمُجرد أن خلع سمّاعات هاتفه وهو يقترب:

عنيكي تحت القمر.. كيف الكلام والخوف..

فيهم كلام للقدر.. متداري مش مكشوف..

بودّي أزرع شجرة.. شجرة حنان وضِل..

ترخي عليكي يا سمرة.. تلمّ شمل الكُل..

نظر لشمس وهزّ له رأسه شاكرًا، وقفز فوق السور الأسود برشاقة، وجلس على أحد الكراسي المرصوصة خلف السور في المساحة الضيّقة بينه وبين المنحدر المؤدي لمياه النيل. أطلق تنهيدة طويلة وكأنه يحاول أن يُخرج التوتر والقلق من داخله مع هواء صدره الدافئ، الذي تحوّل لدُخان أبيض بفعل البرد. ينظُر للنيل وكأنه يبحث فيه عن إجابات للأسئلة التي تؤرِقه. هل سيتمكن من القبض على السفاح

وفِعل ما عجز عنه عمه؟ لماذا توقف السفاح عن القتل؟ ولماذا عاد؟ ومن أين يبدأ؟

الكون أصُرّه بحاله.. واجيبه ليكي يا غالية..

ده انتي جماله ودلاله.. يا نخلة بكرية عالية..

أسند رأسه على السور خلفه ونظُر للسماء، كأنه يطالبها بما بَخِل به النيل من إجابات. أغمض عينه وترك نفسه لبرودة الهواء التي يعشقها، والهواء النقي، وصوت مُنير.

مفيش كسوف في المحبة.. ولا للمحبة شروط..

عمرك ما تشعر بغُربة.. إلا في حنين مكبوت..

وانتي يا سامعة وشايفة.. أحلامي فوق الوصف..

من غير ما اقول إنتي عارفة.. فاهمة اللي فيه بالحرف..

(12)

صباح الجمعة 13 ديسمبر سنة 2013

يخرج حسن الشريف من العمارة التي يسكُن بها، تخطى الخامسة والثلاثين ولكنه يبدو أصغر سِنًا، يرتدي بنطلون من الچينز الأزرق الباهت، وتيشيرت أبيض، وسترة جلدية تبدو غالية الثمن. جسده رياضي قوي، ملامحه بشوشة، برغم الحزن الواضح عليها. العمارة لها باب كبير من الحديد، مفتوح على مصراعيه، ويبدو أنه لا يُغلق أبدًا. خارج الباب، ممر واسع مرصوف ببلاط أحمر باهت، تبدو فيه تشقُّقات كتجاعيد الشيخوخة، يمر بين حديقتين صغيرتين، في نهايته بوابة صغيرة وسط سور خرساني، يحيط بالعمارة، بطول متر واحد.

وقف حسن أمام كنبة خشبية تجلس عليها راضية، زوجة بواب العمارة، التي ورثت بوابة المهنة عن والدها الذي توفى منذ سبعة سنوات، تتحدث مع أمل مثيلتها في العمارة المجاورة. يبتسم ويقول بوِدّ:

- صباح الخير يا راضية.

تقوم راضية وتحمل الجرائد التي تشتريها خصيصًا له يوميًا، وتناولها له:

- صباح الخير يا باشمهندس.

- الولاد في المدرسة؟

- يوووه يا سعادة البيه.. ما خلاص.. كانت وزّة شيطان وراحت لحالها.. والله ماحد منهم هيقعد من المدرسة تاني.. الهي يعمر بيتك يارب ويكرم أصلك.. لولا دفعت مصاريف المدرسة كانت راحت عليهم السنة.

- خلي بالك منهم يا راضية.. يالا.. السلام عليكم.

وتحرك سيرًا في اتجاه النادي الذي يقضي فيه النهار كله تقريبًا بشكل يومي.

جلست راضية وهي تنظر له بامتنان، وتقول لأمل:

- الراجل ده جواه خير.. يكفي مصر بحالها.. ربنا يبارك له.

- مش ده يا بت يا راضية اللي السفاح قتل مراته؟

كسى الحُزن ملامح راضية، وقالت:

- هو يا حبّة عيني.. الراجل أخته ماتت في حادثة.. وبعدها مراته جالها المرض الوحش عشان أخته كانت زي بنتها.. وما سابتش عيّل يواسيه.. ومن ساعتها عايش لوحده.. قتلها السفاح الله يحرقه مطرح ما هو مرمي.. ما استناش أجلها ييجي لوحده ربك رحمها من العذاب.. زي أول امبارح كانت السنوية بتاعتها.. اليوم الوحيد اللي ما بينزلش فيه من البيت.

- بيقولوا إنه بيدوّر على اللي قتل مراته من ساعتها.. ساب بيته اللي كان فيه وجه هنا وقعد من الشغل وبيدوّر عليه.

شهقت راضية في استنكار:

- الراجل في حاله.. كل يوم من النادي للبيت ومن البيت للنادي.. حتى

عربيته مش بتتعتع من مكانها غير كل فين وفين.. هما بس ولاد الحرام اللي لسانهم ما بيسكتش.. قومي يا بت شوفي اللي وراكي.. وانا هدخل عشان ورايا همّ ما يتلمّ.

وصل حسن للنادي القريب من منزله، مسافة ربع ساعة سيرًا، يقطعها كل يوم بنشاط منذ ترك عمله. يجلس في مكانه المُفضل، وهو حديقة النادي التي تطل على ملاعب التنس. حيث تعرّف أول مرة على زوجته نادية يوم 21 من يوليو سنة 1996 وحيث كان يجلس في أيام الإجازة معها، قبل مقتلها على يد سفاح الأرقام منذ ثمان سنوات.

بعد مقتل أخته الوحيدة، التي كانت بمثابة ابنته - حيث لم يُرزق بأطفال - سنة 2003 في حادثة سير، ومقتل زوجته على يد القاتل المُلقب بسفاح الأرقام سنة 2005. ترك عمله، وباع شقته التي شهدت أسوء ذكرياته، وعاد لأول شقة سكنها مع زوجته.

جاء النادل "عم عِفت" بالقهوة مباشرة، لعِلمه بطلب "حسن بيه" كما يناديه. شكره حسن باسمًا وبدأ يقرأ الجرائد في روتين يومي لا يتغيّر إلا نادرًا.

كعادته، يبدأ بقراءة مقال مجدي كارم اليومي في جريدة الملامح المصرية، ولكنه اليوم بمجرد أن وقعت عينه على المانشيت الرئيس أعلى الصفحة الأولى، اهتز كيانه كله، وكأن صاعقة أصابته. تسارعت أنفاسه وهو يقرأ المانشيت مرارًا ليتأكد مما يراه، وبعد التأكُد من أنه لا يتخيّل، بدأ يقرأ الموضوع:

"عودة سفاح الأرقام بعد اختفاء ثمان سنوات"

تحقيق بقلم: غادة عثمان

بعد حل لُغز مقتل الفتاة د. م. التي عُثر على جُثتها يوم الإثنين الماضي، عاد لُغز قديم مُجددًا للظهور. حيث عثرت قوة مباحث قسم حدائق القبة، وعلى رأسها الرائد عصام ناجي، على جُثة قاتل الفتاة، عندما توجهت لمنزله للقبض عليه. في حادثة شهدت عودة "سفاح الأرقام" لممارسة هواية القتل بعد ثمانية أعوام من الاختفاء غير المُبرر. حيث تخلّص من قاتل الضحية الأولى، بنفس طريقته المُعتادة في القتل. التفاصيل في الصفحة 12.

انتقل للصفحة ١٢ لمتابعة القراءة، ولكنه بمجرد رؤيته لصورة جثة تذاكر، بالقطع الواضح على جبهته، الذي يكتب الرقم (112) منعكِسًا، أغلق الجريدة، وترك حساب القهوة تحت فنجانها الذي لم يلمسه، وقام مُسرعًا وكأنه لاعب في غرفة خلع الملابس استدعاه مدربه فجأة لإجراء تغيير اضطراري لم يكن في الحسبان.

فتح حسن باب شقته، واتجه مُسرعًا لغرفة النوم الصغيرة غير المُستعملة. تلك الغُرفة التي لم يدخُلها غيره منذ أن عاد ليسكن تلك الشقة، المُغلقة دومًا بالمُفتاح. ولا يسمح حتى لراضية التي تقوم إسبوعيًا بتنظيف الشقة كلها أن تدخُلها، تحت ادعاء أنها مليئة بالكراكيب وغير مُستخدمة. ويقوم هو شخصيًا بتنظيفها. يضيء النور، تظهر إضاءة قوية ولكن كلها موجّهة ناحية الحائط يسار الداخل من الباب، حيث ملاءة كبيرة تُغطي مُعظم الحائط، خطى نحوها ورفع الملاءة بحذر. ظهرت لوحة كتابة كبيرة

لونها أبيض، كالتي تُستخدم في المدارس، مُقسّمة بالطول بقلم أسود، لثمانية أجزاء، مكتوب في أعلى كل عامود رقم، ثم تحتها صورة مُقتطعة من الجريدة لجُثة، ثم تحتها كُتبت تفاصيل كثيرة عن صاحب الجثة. كانت كل الصور تحمل نفس القطع الواضح على الجبهة، وإن اختلفت الأرقام المكتوبة بالمقلوب، وكان الرقم المكتوب في أعلى كل عامود، هو نفس الرقم المنقوش انعكاسه على رأس الضحية في الصورة المُلصقة تحته.

فرد جريدة الملامح المصرية، وذهب لركن الغرفة المقابل للسبورة، حيث مكتب صغير به دُرج واحد، وضع الجريدة على المكتب، فتح الدرج وأخرج منه مقص، وبدأ في قص تحقيق غادة عن جريمة مقتل تذاكر، ثم التقط قلم أسود من الدرج، وذهب للسبورة وكتب على يسار آخر جريمة ارتكبها السفاح، (112) ثم لصق تحتها الصور المُرفقة بالتحقيق، ثم التحقيق نفسه. نظر للتحقيق في صمتٍ غاضِب عِدة دقائق، ثم كتب بالقلم تحته:

غادة عثمان؟

عصام ناجي؟

مجدي عبد الشكور أو "تذاكر"؟

د. م.؟؟؟؟

!!!!!!!!!!!!

ثم رجع للوراء خطوة واحدة ووقف مكانه، لا يتحرك كالتمثال، يتأمل اللوحة وملامحه تنطِق بالغضب.

(13)

الخميس 13 أبريل سنة 2005

مقالة بعنوان: "المدعو إهمال يقتل أولادنا"

بقلم: مجدي كارم

لن تعرف أبدًا من المسؤول عن قتل الطفل مازن السمري تحت عجلات القطار، مهما تحرّيت أو بحثت في الأمر. ببساطة لأن الحقيقة غائبة، والمُتهمين هم الشهود، والبصير وسطهم أعمى.

لن تعرف أبدًا مدى صدق عامل المزلقان، الذى ادّعى أن وسيلة اتصاله الوحيدة لا تعمل منذ فترة. أو إن كان قد قدّم شكوى بالفعل كما قال أنه فعل أم لا. ولن تعلم لماذا لم يُنظر لهذه الشكوى - الذي قيل أنها لم تصِل للهيئة - بعين الاعتبار. ولن تعرف إذا كانت وسيلة اتصاله لا تعمل منذ فترة كما يدّعي، فكيف لا تحدث تلك المأساة يوميًا.

أين الحقيقة؟ لن تصل مهما بحثت غير لحقيقة واحدة، لأن كل ما نعرفه يقينًا، هو أن الطفل مازن السمري قُتِل تحت عجلات قِطار وهو يعبر المزلقان المجاور لمنزله، منذ يومين. ولكن كل شيء آخر ستجد من يؤكده، وآخر ينفيه. ولو استطاعوا، لأنكروا وجود طفل بهذا الاسم في كشوف الأحياء من الأساس.

لن أتساءل عما كان سيحدث لو كان مازن هو ابن سيادة وزير النقل، لأن الطبيعي ألا يحتاج ابن سيادة الوزير لعبور مزلقان الموت هذا سيرًا طوال حياته، أو إن كان يعلم معنى كلمة مزلقان. ولكن ساسأل سؤالًا أعتقده من حقي: إلى متى سينجو الفاعل بفعلته لعدم وجود رقابة؟ إلى متى سننتظر حتى يتحقق الحد الأدنى من الرقابة؟

أرجوكم، نحن لا نطلب أكثر من القصاص العادل من المدعو "إهمال". إن لم يكن قريب أحد كِبار المسؤولين في الدولة بالطبع.

الثُلاثاء 18 إبريل سنة 2005

خبر في نفس الجريدة:

الإفراج عن سيد شعيب السيد عامل المزلقان.

(14)

ليل الجمعة 13 ديسمبر 2013

يخرج شريف ناجي من الحمام المُلحق بغُرفة نومه، يلف النصف الأسفل من جسده الرياضي القوي بمنشفة كبيرة، يقف أمام المرآة، وينظُر لنفسه بإعجابٍ شديد، وكأنه يرى نفسه لأول مرة. يعيش شريف في شقته الجديدة، التي تبدو عليها مظاهر الثراء، والعزوبية، والتي اشتراها ليعيش فيها بمفرده، بعد استقالته من الداخلية، وعمله كمسؤول أمني في مجموعة شركات كُبرى مِلك رجل الأعمال الدكتور حازم البدري.

تخرج ميار من الحمام بعده بدقائق، تلف جسدها الرشيق بمنشفة بيضاء، زادت جسدها الخمري جمالًا وإثارة. أزاحته بدلال من أمام المرآة، وجلست أمامها. وبدأت تصفف شعرها الأصفر المصبوغ خُصلات منه بغير انتظام باللون البُني. رفعت عينها لتنظر لشريف الواقف خلفها، الذي كان قد بدأ يرتدي ملابسه، وقالت:

- إنت مجرم يا شريف.. إيه يا ابني؟ إنت ما شوفتش بنات قبل كده؟

نظر لها في ثقة، وقد أعجبه تعليقها، وقال:

- إنتي لسة شوفتي حاجة؟ دا أنا لولا عايز أروح مشوار مهم.. كنت طبّقت

معاكي للصبح.

ضحكت بدلال، وقالت:

- أنا كنت مبسوطة.. بس مش هكدب عليك.. إنت ناشف قوي.. واحدة واحدة بعد كده عشان أحبك.

قال وهو يقفل أزرار قميصه:

- ومين اللي قالك إن هيبقى في بعد كده؟

توقفت عن تصفيف شعرها، ورفعت حاجبيها ونظرت له في المرآة بغضب، فقال باسمًا:

- إتقلي يا بت مش كده.

ثم اقترب منها، ومد يده والتقط زجاجة عطر من أمامها، وأغرق بها قميصه. قبّل ميار على جانب رقبتها وهو يُعيد زجاجة العطر، وقال هامسًا:

- أنا مش نازل من البيت بكرة.. تعالي نتغدى سوا.

ثم غمز لها بعينه في المرآة، فابتسمت في غنج. توجه لباب غرفة النوم، وقال قبل أن يخرج:

- أنا نازل.. براحتك خالص بس اقفلي الباب وانتي نازلة.. سلام.

- باي يا حبيبي.

خرج شريف من باب عمارته، التي تقع في شارع من شوارع مصر الجديدة

العريقة، وأخرج هاتفه المحمول واتصل بعصام صديق عمره:

- أيوة يا صاصا.. معلش إمبارح كنت غرقان.. ما شوفتش التليفون غير الصبح.. المهم أنا في الشارع وعايز أشوفك.

- الدنيا برد ياعم ومش قادر أنزل.. وبعدين إنت تغطس وتطلع فجأة كده وعايزني جاهز؟ إنسى.

- لا ماليش فيه.. لو ما نزلتش هاجيلك البيت.. كلها نُص ساعة وابقى عندك.

- يا ابن المجنونة.. طب أجيلك فين؟

- لا لا أنا هجيلك آخدك وأرجّعك.. عايز أفرجك على العربية الجديدة.

- يا سيدي يا سيدي.. ماشي ياعم المستشار الأمني.

- إنت شكلك جاي تقُر؟ ما قلتلك خد إنت الشُغلانة.. محدش يرفُس النعمة.. عملتلي فيها رأفت الهجان.

- غور يا زفت علشان الحق أجهز.. قال رأفت الهجان قال.

- خلاص إجهز على ما أجيلك.. سلام.

خرج عصام من عمارته، ليجد شريف منتظرًا خارجها بجوار سيارته، سلّم عليه بشوق، واحتضنه وقال:

- شهرين يا جزمة مش عارف أتلم عليك.. بس إيه ياض العربية دي؟ إنت بتقبض كام يخرب بيتك؟

ضحك شريف وفتح لعصام باب السيارة، وقال:

- أمال لو شوفت الشقة الجديدة هتعمل إيه؟ إركب إركب.. دا أنا هندّمك على شبابك.

انطلق شريف بالسيارة، وقال:

- أنا علاقتي حلوة جدًا بالدكتور حازم صاحب حماك.. والراجل طلبت منه سُلفة أسددها من مُرتبي ما إتأخرش.. قمت جايب شقة وعربية بالقسط تبع البنك بتاع حماك.. والضامن كان دكتور حازم شخصيًا.. بس كل ده كوم.. والسكرتيرة بتاعتي كوم تاني يا صاصا.

ضحك عصام، وقال:

- وسكرتيرة كمان؟

- صاروووووخ.. اسمها ميار.. كانت بايتة معايا امبارح.. أصلًا قبل ما تكمّل شهر في الشغل كنت شاقطها.

خبط عصام كف على كف، وقال:

- يا ابني إنت مفيش فايدة فيك؟ هتفضل كده لحد ما تلاقي نفسك عجّزت بطولك.. إتجوّز يا ابني علشان تلحق تشوف عيالك وانت بصحّتك.

- بقولك إيه؟ إنت هتعمل فيها أمي؟ أنا مودي مظبوط بلاش عكننة على المسا.. بس إنت صورتك كانت منوّرة في الجرنان النهاردة.. إيه يا ابني اللي حصل ده؟

تنهد عصام، وقد تذكر المسؤولية التي تحمّلها:

- شوفت يا عم؟ مين يصدق إن الراجل ده يرجع تاني؟

- حاجة فعلًا غريبة.. وكان فين بروح أمه كل ده؟ محترف في برشلونة؟

ضحك عصام، وقال:

- بس مبروك ياض يا شريف.. شكلك مبسوط.. وده المهم.

- الله يبارك فيك يا صديقي.. بس تفتكر هتعرف تمسك الراجل ده يا صُصّ؟

- بيني وبينك.. الحكاية صعبة جدًا.. وبعدين إنت عارف القضية دي كويس.. موضوع إنه مالوش علاقة بالمقتولين ده يخليك بتدوّر عِمياني.. على أمل يغلط.. بس للأسف لازم يقتل تاني وتالت علشان يكون في أمل نمسكه.. إنما لو غطِس تاني.. هتبقى صعبة جدًا.

قال شريف وهو يتوقف بالسيارة:

- بس إنتوا استعجلتوا ليه كده ونزّلتوا الحكاية في الجرايد؟

- أنا اللي كلّمت الجرنال.. الحكاية كده كده هتنزل.. الوضع مابقاش زي الأول.. أيام ما كنا نقول مفيش نشر يبقى مفيش نشر.. فمن مصلحتنا إننا اللي نسرّبها.. علشان نختار إيه اللي يتقال.. بدل ما المواقع تفتي.. وتبقى مش عارف تشتغل ولا تنفي الإشاعات.

- طب يللا بينا. قالها شريف وفتح باب سيارته لينزل.

فقال عصام:

- إيه ده؟ رايح فين؟

- تعالى نقعد نشرب حاجة.. الكافية ده فشيخ.. كله ناس من دنيا تانية.

- لا يا عم.. تعالى نروح عند شمس.

قال شريف مُستنكرًا:

- شمس مين يا ابو شمس؟ إنزل بس شوف الكافية من جوّا.. القمر اللي شغالة جوّا هتنسيك الشمس والمجرّة كلها. قالها ونزل من السيارة.

ضحك عصام، ونزل ليلحق بصديقه. وما أن دخل عصام المكان، حتى شعر وكأنه داخل حلم جميل، وليس مكانًا حقيقيًا في الواقع. المكان به إضاءة خافتة كافية بالكاد لترى كل شيء، ولكن لا تعرف من أين تأتي تحديدًا. موسيقى هادئة تملأ المكان بصوتٍ بالكاد يكفي ليُغطي على أصوات روّاده، فلا يسمح لشخص أن يسمع ما يُقال على المائدة المُجاورة، ولكنه لا يجبر الشخص على رفع صوته ليُحدث من يشاركه المائدة.

قابلتهم فتاة جميلة بإبتسامة لا تقل سِحرًا عن المكان، وقالت:

- مستر شريف.. نوّرت.. نفس المكان؟ ابتسم وأوما لها إيجابًا.

نظرت لعصام، ومدّت يدها لتُسلم عليه، وقالت:

- حورية.. حضرتك أول مرة تشرفنا.

نظر لها متفحصًا، وارتبك عندما ابتسمت بسبب مُلاحظاتها لانبهاره، وقال مُرتبكًا:

- نعم؟ أيوة.. مظبوط أول مرة.

ابتسمت ومالت برأسها قليلًا لليمين، لتزيد من سحرها، وقالت بصوتٍ تعمّدت أن تضع فيه كل سحرها:

- وأتمنى ما تكونش الأخيرة. ثم دارت لتقودهم لمائدة شريف المُفضلة.

ما أن جلسا وطلب شريف بيرة، وعصام شاي بالنعناع، حتى سأله شريف:

- ها؟ إيه رأيك في المكان؟

- مريح لدرجة مستفزة.. حاسس كأني عايز أنام.. مش ناقصه غير صوت منير.

- منير؟ قوم ياض إركب تاكسي وروح لشمس.. إنت مكانك مش هنا.

ضحك عصام، وسأل:

- بس واضح إنك زبون هنا.

- أول ما استلمت الشغل.. اتلميت على واحد في الشركة علشان اعرف منه النظام.. هو اللي عرّفني المكان هنا.. ومكانين تانيين في وسط البلد والمعادي.. ومن ساعتها وانا باجي هنا على طول.. علشان قريب.. وارتحت هنا.. وبعدين إنت تجيب هنا أي واحدة تتثبت.. خصوصًا لو عرفت إنك معروف هنا.

- طمّني على شُغلك.. إيه أخبار الشغل الخاص؟ بتعمل إيه؟

اعتدل شريف وهو يلتقط كوب البيرة المُثلجة، وقال:

- إيه؟ بتفكر؟

- إنسى.

- ده مكتبي تتوه فيه.. اخترت فرشه بنفسي.. مكتب السكرتيرة بتاعتي أكبر من مكتب الوزير شخصيًا.. بشتغل كل حاجة ليها علاقة بالأمن.. بعيّن الBody guards وبحُط خطط الحركة للأفراد اللي عليهم حراسة.. وبراجع تأمين المصانع والمكاتب والمستشفيات.. بحل المشاكل الأمنية اللي في المواقع.. بعلاقات شوية.. بفلوس شوية.. يعني: حاجة كده زي رئيس عصابة.. بس قانوني وشيك شوية.

- يا خسارتك يا شريف في الخاص.. إنت كنت ظابط مباحث عبقري.

- بلا عبقري بلا قرف.. يا عم أنا ما كنتش عايش.. أنا أصلًا ماكنتش مرتاح قبل نكسة يناير.. وما كنتش لاقي آكُل.. ما بالك بعدها؟ ولا لسة مقتنع إنها كانت ثورة وكده؟

- بلاش سيرة الحكاية دي.. كل واحد يشوفها زي ماهو عايز.. مش طالبة عكننة.

- قولي إنت عامل إيه؟ والقمر الصُغنن؟

- كله حلو الحمد لله.

- وصلتوا لحاجة في القضية؟

- خالص.. كل اللي في أيدينا إن داليا غالبًا اتقتلت بدافع سرقة أو محاولة

اغتصاب فاشلة.. والسفاح قتله قبل ما نوصلّه.. والتاريخ اللي على دماغه مش موصلّنا لحاجة.

اعتدل شريف وسأل:

- وانت عرفت منين اللي قتل داليا؟

- وقعت منه سجايره في شقتها تقريبًا وهي بتقاومه.. عليها بصماته.. ولقيت تليفونها في شقته لما لقيناه.

- وانت ناوي تبدأ منين في حكاية السفاح دي؟

تنهّد عصام تنهيدة تنُم عن حِمل ثقيل، وقال:

- بكرة عندي اجتماع أنا وفريق البحث في المديرية.. هنشوف هيحصل إيه.. لسة مش عارف أفكر أو أحدد خطة عمل.

وضع شريف يده على كتف صديقه، وقال:

- أنا موجود في أي وقت يا عصام.. لو محتاج تفكر بصوت عالي زي ما عمك الله يرحمه علّمنا.. أنا الفترة دي مسحول صحيح.. لكن هتصرف وألاقي وقت.. كلّمني لو محتاج حاجة.

ابتسم عصام وهو ينهي مشروبه، ثم قال:

- هو ده العشم يا شريف.. أكيد مش هكلم غيرك.. وانا ليا صحاب غيرك ياض؟

- صحيح هو مش عيد ميلاد مَلَك الشهر ده؟

- كويس إنك لسة فاكر.. لازم تيجي.. يوم ٢٦.

- تمام.. لما تعرف البنوتة محتاجة تشتري إيه.. غششني عشان مش بعرف أشتري هدايا.

- حاضر.. يللا بقى علشان الوقت اتأخر.

- يللا بينا.

(15)

صباح السبت 14 ديسمبر 2013

في تمام العاشرة إلا ربع صباحًا، كان الرائد عصام ومعاونيه أمام مدير مكتب اللواء أشرف عتمان، رئيس مباحث المديرية، الذي رحّب بهم، وطلب منهم الانتظار دقائق حتى ينضمّ لهم الرائد هادي خلف، الذي طلب منه اللواء أشرف الانضمام لفريق الرائد عصام في تلك القضية. وبعد دقيقة من الرد على بعض الاستفسارات - التي غالبًا كان هدفها مرور الدقيقة - وصل الرائد هادي. هو شاب حاد الملامح، بشوش بتحفُظ، أسمر البشرة، جسده ممتلئ قليلًا، وملامحه تنُم عن ذكاءٍ واضح.

دخل فريق البحث مكتب اللواء أشرف، بعد سماح مُدير مكتبه لهم بالدخول. ترك اللواء أشرف جريدة الملامح المصرية من يده، وقام وصافح عصام بحفاوة واضحة، وقال:

- إزيّك يا عصام؟ بقالي سنين ما شوفتكش.. من ساعة آخر مرة كنت عند عمك الله يرحمه.. ييجي من كام سنة.

- مظبوط يا سيادة اللواء.. ده كان من ٣ سنين تقريبًا.

قال وهو يشير لمكتبه:

- القضية بتاعتك نزلت صفحة أولى.. العين هتكون عليكم.. ربنا يعينكم.

ونظر اللواء لفريق البحث، فبدأ عصام في تقديمهم:

- النقيب رامي.. النقيب هشام.. والرائد هادي لسة متعرف عليه حالًا.

دار اللواء أشرف حول مكتبه، وأشار لهم بالجلوس، وقال:

- مظبوط.. الرائد هادي يا عصام واحد من اللي سيرتهم سابقاهم.. وانا لما سمعت إن قضية عمك الله يرحمه اتفتحت تاني.. هو أول حد جه في بالي يساعدك.. أنا اللي طلبته بالإسم.

قال هادي بابتسامة:

- يا فندم دي ثقة يارب أكون أستحقها.

ابتسم له اللواء وقال:

- أنا متأكد من كده. ثم نظر لعصام وقال:

- ها يا عصام.. إيه الحكاية؟

اعتدل عصام في جلسته، وقال بجدّية:

- الإثنين بالليل يافندم.. لقينا جثة بنت من المنصورة مقتولة في شقتها في القاهرة.

ثم مدّ يده لرامي الذي ناوله ملف، ناوله بدوره للواء أشرف، وأكمل:

- ده تقرير فريق البحث عن القضية دي يافندم.. القضية تقريبًا كانت محلولة.. لأننا لقينا علبة سجاير وقعت من القاتل وهو بيخنُقها غالبًا.. روحنا نجيبه

بعد وصول نتيجة البصمات أول إمبارح الخميس.. لقيناه مقتول بقاله 24 ساعة.. بنفس طريقة السفاح إيّاه.. ومكتوب على راسه انعكاس تاريخ قديم.

ثم التقط ملف أخر من رامي وسلّمه للواء أشرف، الذي تناول منه الملف ووضعه على مكتبه، وسأل:

- إيه حكاية التاريخ ده؟

قال عصام:

- الحكاية ابتدت في أول سنة 2005 لما ظهر السفاح اللي قتل 9 أشخاص.. كان بيخدّرهم بمادة مّخدرة من بخاخة مؤقتًا.. ويربطهم ويقطع شرايينهم.. وكان بيكتب على دماغ كل اللي قتلهم رقم. وأشار لجبهته، وأكمل: - بس كان بيكتبه بالمعكوس.. وكان دايمًا بيكسر مراية في بيت الضحية.. وعمي الله يرحمه اللي حل اللغز ده.. لما اكتشف أن الرقم ده بيكون معدول للي مكتوب على راسه الرقم لو شاف نفسه في مراية.. علشان كده كان بيكسر مراية وياخد منها حتة يحُطها قصاد عين ضحيته علشان يقرا الرقم.. كان فاضل بس لغز الرقم ده المقصود بيه إيه.. لحد ما اكتشف عمي الله يرحمه إن واحد من ضحاياه كان عامل مزلقان.. ولما اتقتل كان مكتوب على دماغه (113). التقط ورقة وكتب عليها الرقم.

ثم أضاف:

- اللي لو قريت انعكاسها في المراية هتكون (411). قلب الورقة ووخط على الرقم المكتوب على الصفحة العكسية.

وأكمل:

- ولو افترضنا إنه تاريخ هيكون (4 / 11) وفي نفس اليوم ده.. حصلت حادثة في المزلقان اللي كان شغال فيه المقتول.. قطر داس طفل.. وساعتها وضحت الصورة.. هو بيقتل ناس كنوع من العقاب.. وقبل قتلُهم بثواني بخليهم يشوفوا تاريخ الغلطة اللي بيعاقبهم عليها مكتوب على دماغهم.

وهنا تدخل هادي:

- وكل الضحايا اللي اتقتلوا كانوا مكتوبلهم تواريخ على راسهم؟

أجاب النقيب رامي وهو يفتح ملف كبير أمامه ويُخرج منه بعض الصور، يناولها لهادي:

- كلهم يا سيادة الرائد.. بس مش كلهم المباحث ساعتها قدرت توصل لسبب العقاب.. غالبًا هو كان بيقتل أحيانًا بدافع شخصي.. أو هو كان عنده معلومات ما قدرناش نوصلها ساعتها.. بس الأكيد.. من خلال تحقيقات الفريق اللي اشتغل القضية ساعتها.. ومن مُراجعتنا.. إنه مفيش حاجة تربطه بأي ضحية.. وده اللي يخلي مُهمة القبض عليه شبه مُستحيلة.

قال هادي وهو يُطالع الصور:

- مفيش حد ما بيغلطش.. ولا مجرم ما بيتمسكش في الآخر.. طالما بيقتل.. هيتمسك.

قال النقيب هشام:

- الخوف يا هادي بيه يرجع يغطس تاني.. إنت لو تلاحظ هو فضل تقريبًا كام سنة ولا حس ولا خبر.. موضوع إنه يرجع يقتل تاني ده مستمر؟ ولا جريمة فرداني؟ ده اللي محدش يعرفه.

قال اللواء أشرف:

- فعلًا غريبة موضوع إنه يختفي كام سنة ويرجع.. إيه؟ جاله عقد عمل في الخليج؟

أعاد هادي الصور لرامي، وقال:

- مش يمكن يافندم مش هو اللي قتل أول إمبارح؟

قال اللواء وهو ينظُر لعصام:

- اممم وارد طبعًا.. إنت متأكد يا عصام إن هو القاتل؟

رد عصام وهو ينقل بصره بين اللواء وهادي:

- أنا استبعدت الاحتمال ده.. ومتأكد إن هو 100 % يافندم.. حضرتك عارف أنا حافظ القضية دي.. أنا تقريبًا كنت عضو في فريق البحث ساعتها مع عمي الله يرحمه بشكل غير مباشر.. كنت حاضر معاه القضية خطوة بخطوة.. كنت دايمًا بسهر معاه وهو بيشتغلها.. الجريمة تمت نفس التفاصيل.. كل حاجة.. والصور تؤكد كلامي.. وكمان حكاية المراية مانزلتش جرايد ساعتها.. علشان كده لا يمكن يكون حد بيقلده.. وإلا كان مش هيبقى عارف المعلومة دي.

قال هادي:

- إلا لو حد عارف كل تفاصيل القضية من وسيلة غير الجرايد.

قالها هادي ونظر لعصام، الذي ارتبك لثانية ساد فيها الصمت على المكان، حتى قطعه اللواء:

- والبنت اللي اتقتلت دي حكايتها إيه؟

قال رامي:

- اسمها داليا محمود.. بتشتغل سكرتارية في مستشفى "الكرامة" في مصر الجديدة.. شخصية عادية جدًا.. تقرير الطب الشرعي بيقول إن في دم تحت ضوافرها مطرح ما كانت بتقاومه.. وأنا متأكد إنه هيطلع دم مجدي ده أو تذاكر.. غالبًا كانت محاولة اغتصاب.. أو سرقة.. لأنها مضروبة جامد.. وما لقيناش أي فلوس أو مجرهرات في شقتها ولا تليفونها حتى.

قال اللواء:

- طب إيه يا عصام خطة الشغل من وجهة نظرك؟

قال عصام:

- أنا شايف إننا محتاجين نقسّم نفسنا يافندم.. الجزء الأصعب هيكون مراجعة القضايا القديمة.. والبحث عن أي حاجة ممكن تكون فاتت على فريق البحث اللي كان ماسكهم.

ثم نظر لهادي وقال:

- وانا شايف إن دي شُغلانة محتاجة حد دماغه صاحية.. ولمّاح جدًا عشان

يمكن يلاقي حاجة فاتت على فريق البحث ساعتها.

تدخل هادي قبل أن يرُد اللواء:

- تمام يا عصام بيه.. أنا هاخد الموضوع ده.

ولكنه لاحظ تدخُله غير اللائق، فقال بصوتٍ مرتبك:

- بصراحة يا سيادة اللواء.. أنا ما عنديش معلومات كفاية عن القضايا القديمة زي باقي فريق البحث.. يعني كده كده هراجع القضايا القديمة علشان أحصّل.. فبالمرة أمسك أنا الحكاية دي.

هز اللواء أشرف رأسه متفهِّمًا، ونظر لعصام، وقال:

- إيه رأيك يا عصام؟

قال عصام باقتناع:

- كلام منطقي.. يبقى هادي بيه يمسك القضايا القديمة ويفحصهم.. ويكون معاه النقيب هشام يساعده.. وانا همسك قضية تذاكر ومعايا النقيب رامي وخصوصًا إنها في منطقتي.. وممكن حد من المرشدين بتوعنا يكون شاف حاجة.. ويوميًا هنجتمع وهبعت لسيادتك تقرير عن اللي بيحصل.

قام اللواء أشرف، وقال:

- على بركة الله.. ربنا يوفقكم.

(16)

عصر السبت 14 ديسمبر سنة 2013

كان كربونة جالسًا في غرفته الواقعة تحت سلم بيت قديم في حدائق القبة. التي عادة ما تكون مُخصصة للبواب، ولكن في مثل هذه المناطق، البواب نفسه يُعتبر رفاهية غير مُتاح مُجرد التفكير فيها. الغرفة تتكون من غرفة بها مرتبة على الأرض، بجوارها "سبرتاية" لإعداد الشاي والقهوة، وتجهيز الفحم للجوزة، الموجودة بجوارها، وحمام صغير. يسمع كربونة صوتًا قادمًا من الحمام، ينتفض مفزوعًا عندما يرى صديق عمره تذاكر قادمًا نحوّه من ناحية الحمام، والدماء تسيل من جبهته لتُغطي كل وجهه تقريبًا. قبل أن يستوعب كربونة الموقف قال تذاكر:

- كده يا صاحبي؟ تسيبهم يموّتوني يا صاحبي وتقف تتفرج؟

يقول كربونة بصوت مرتعش:

- أنا رقبتي فداك يا تذاكر.. إنت اللي بيعتني يا صاحبي ولعبت مع الكبار.. من إمتى واحنا بنلعب مع الكبار يا تذاكر؟ مش كلامك ده؟ الحمار هو اللي يتعارك مع الكبار؟

- إنت ما حاولتش تمسك فيا يوم ما سيبتك ومشيت.. كنت زعلان على

نفسك.. شُفت زعلك عمل فيا إيه؟ إحنا طول عمرنا بنلحق بعض.. مالحقتنيش ليه؟ مالحقتنيش ليه؟

وبدأ تذاكر في خبط رأسه في باب الحمام مُحدثًا صوت دقات عالية، وتاركًا بقعًا من الدماء على الباب. وهو يُكَرِر بصوتٍ عميق وكأنه قادم من بئر:

- ما لحقتنيش ليه؟ ما لحقتنيش ليه؟

مازال صوت الخبط يتردد في الغرفة، حتى أفاق كربونة من هلوسته على صوت دقات على باب الغرفة الخارجي وقد اختلطت بالهلوسة في مزيج مُربِك. فنظر مذهولًا ناحية الحمام فلم يجد أثرًا لهلوسته، ولا آثار دماء صديقه على باب الحمام. فقعد في جلسته وأمسك رأسه بين يديه وكأنه يحاول أن يحتضن بقايا ذكريات صديقه التي تقبع في ذاكرته وتؤنبه. عادت الدقات على الباب بإصرار، فقام من مكانه وترنح حتى وصل للباب وفتحه. فوجد المهندس حسن الشريف أمامه يبتسم، ثم قال:

- السلام عليكم يا حمدي.

- وعليكم السلام ورحمة الله.. مين سعادتك؟

- أنا كنت عايزك في كلمتين بخصوص صاحبك جمال.

نظر كربونة ناحية الحمام بتلقائية وكأنه يتأكد من عدم وجود تذاكر، أو وجوده، ولما لم يجده، عاد ونظر لحسن قائلًا:

- عايز إيه يا بيه؟

- طب مش هتقولي إتفضل؟ مش هنتكلم ع الباب كده.

مد كربونة يده خلف الباب وسحب سيف طويل مُتسخ وصدئ، لا يمكنك التمييز إن كان الاتساخ بسبب دماء من ضُربت به رؤوسهم، أم هو صدأ بسبب قِلة العناية به، ورجع خطوة للوراء ودق الباب بجانب السيف، وقال:

- بقولك إيه يابا.. شوف إنت جاي منين بدال ما ما ترجعش.

نظر حسن للسيف في لامُبالاه، وقال:

- انت شُفت مني إيه علشان كل ده؟

- مش محتاج أشوف.. تذاكر إتلم على اللي شبهك جابوا أجله.. أي حد من ناحيته في نظري هو اللي قتله.

ثم اقترب بحد السيف من كتف حسن ونغزه به في كتفه نغزة لا تكفي لقطع قميصه، ولكن كافية - من وجهة نظر كربونة - لقطع رباطة جأشه. ولكن حسن بقى لا مُباليًا بالسيف، وقال بوِد:

- لا اتلميت على تذاكر ولا اعرف اللي قتله.. بس عايز اعرفه.. وأظن إنت كمان عايز تعرف اللي قتل صاحبك.

ظهر الخوف على صوت كربونة وهو يقول:

- إنت مباحث يا باشا؟ طب ما تقو...

قاطعه حسن وقال:

- أنا مش مباحث ولا خطر عليك.. أنا واحد عايز يلاقي اللي قتل صاحبك

يمكن أكتر منك كمان.. هستنى ربع ساعة في العربية عند الجامع اللي على الطريق برة.. علشان نروح نقعد في حتة عشان مش هنعرف نقعد هنا. قالها وهو ينظر للغرفة خلف كربونة، وأكمل:

- لو عايز تعرف حكايتي وتساعدني حصّلني.. مش عايز.. براحتك.. ما تجيش.. وانا مش هاجي تاني.. السلام عليكم.

قالها ودار ليغادر العمارة. فقال كربونة بصوتٍ متوتر:

- أنا مش رايح في حتة على فكرة.. ما تستناش.. عارفهم أنا الشويتين دول.. ولو جيت هنا تاني مش هعمل حساب حاجة. وأغلق الباب بقوة.

بعد عشرة دقائق فتح كربونة باب سيارة حسن، وقال:

- مش قايلك مش جاي؟ استنيت ليه؟

ابتسم حسن في سخرية وقال:

- وجودك نفسه إجابة سؤالك.. ولا تقصد عرفت منين إنك جاي؟

- إيه؟ أيوة أقصد عرفت منين؟

- ما عرفتش.. بس أنا قلت هستنى ربع ساعة.. يبقى هستنى ربع ساعة.

قال كربونة وهو يعتدل في جلسته ويدور بنظره داخل السيارة الفارهة:

- ماشي.. ممكن بقى يا بيه تقولي إيه الحكاية؟

قال حسن وهو يضغط زر محرك السيارة:

- طب ممكن نمشي من هنا.. مشوار مش بعيد وهرجّعك تاني.. وبالمرة نتكلم في السكة.

نظر كربونة لباب السيارة، وكأنه يُفكر في الهروب، لاحظ حسن قلقه فقال مطمئِنًا:

- لو عايز تنزل إنزل يا حمدي.. أنا مش خاطفك.. بس أنا فعلًا محتاج مساعدتك.. وانت لو مش مصدقني ما كنتش جيت من الأول.. قلت إيه؟

- ماشي يا بيه.. اتكل على الله.. إيه ياخد الريح مـ البلاط؟ واعتدل في جلسته.

تحرك حسن بسيارته وسأل:

- تحب نتغدى؟ ولا تشرب قهوة.. ما انت في حالتك دي ما تنفعش.. أنا عايزك مصحصح.

- يا بيه أنا شارب سيجارة واحدة.. مش حاجة.. أنا بس متاخد من ساعة ما تذاكر الله يرحمه. وسكت ونظر للشارع. احترم حسن ضيقه وسكت. بعد دقائق من الصمت الثقيل، تكلم كربونة:

- ممكن يا بيه ترسيني على الحكاية بقى؟

- ممكن طبعًا.. شوف يا حمدي... أنا..

- قولي يا كربونة يا بيه.. حمدي دي بتلخبطني.. بحس إنك بتكلم حد تاني.

ضحك حسن ضحكة سريعة وقال:

- حاضر.. شوف يا كربونة.. أنا مش عايز ألف وأدور عليك.. كنت ناوي أقولك إني صحفي وبعمل موضوع عن تذاكر.. بس كنت هتشُك فيا.. وكنت هتتعبني.. وأنا بصراحة عايزك تساعدني.

- رقبتي يا بيه.. بس في إيه؟

- إنت طبعًا سمعت عن السفاح اللي قتل تذاكر من الجرايد.

- ولا اعرف عنه حاجة.. كل اللي اعرفه إن حد قتله.. أنا ما بقراش جرايد يا بيه.

- باختصار كده.. في سفاح كان بيقتل من سنين.. الراجل ده قتل 8 سنة 2005 واختفى.. وظهر تاني فجأة وقتل صاحبك.

بدأت علامات الاهتمام تظهر على ملامح كربونة:

- وهو كان فين الكام سنة دول؟ في السجن؟

- يا حمد.. قصدي كربونة.. بقولك اختفى.. ما إتمسكش.

- لامؤاخذة يا بيه.. طب عرفت منين إن هو اللي قتل تذاكر؟

قال حسن وهو ينظر له بضيق:

- ممكن تستنى شوية أنا هحكيلك كل حاجة بالترتيب عشان تفهم؟

- إتفضل يا بيه.

- هو كان له طريقة معينة في القتل.. قتل بنفس الطريقة كل مرة.. واختفى..

ماتقبضش عليه.. محدش يعرف هو مين.. وفجأة ظهر تاني لما قتل صاحبك.. بنفس الطريقة.. علشان كده عرفت إن هو.

- وانت عايز تمسكه ليه يا بيه؟

ركن حسن السيارة وملامحه تنطق بالغضب والحُزن، وقال:

- أنا اسمي حسن يا كربونة.. أنا جوز الضحية التاسعة للسفاح ده.. آخر اللي ماتوا على إيده.

قال كربونة بتأثُر:

- البقية في حياتك يا بيه.

نزل حسن وكربونة من السيارة، توجه حسن ناحية قهوة بلدي واسعة تحتل ناصيتين في منطقة الظاهر، وتبعه كربونة، جلسا في ركنٍ بعيدٍ منزوٍ، وطلب حسن قهوة سادة، وطلب كربونة مثله، وهو يُشعِل سيجارة.

قال حسن وهو ينظُر حوله:

- أنا إتربيت هنا.. دي منطقتي.. ما بعرفش أقعد على قهاوي غير في الضاهر.. قهاوي الضاهر ليها طعم مميز كده.. ما يحسوش غير اللي إتربى وسطها.

نظر كربونة حوله، وكأنه يحاول أن يكتشف هذا الطعم الذي يتحدث عنه حسن، ولكنه لم يجد ما يُميّز المكان، فأكمل حسن:

- كربونة.. أنا محتاج أسألك كام سؤال عن تذاكر.

- إتفضل يا بيه.

- اللي عرفته إن إنت وتذاكر كنتوا مع بعض في كل حاجة.. يعني سِرّه معاك.. ياريت ما تخبيش عليا حاجة.. علشان تساعدني.. وبعدين مفيش حاجة ممكن تقولها تأذي تذاكر مطرح ماهو موجود دلوقت.. فمن فضلك ما تخبيش حاجة.

قال كربونة وهو ينظُر لحسن بشَك واضح:

- يا بيه أنا مش هخبي عليك حاجة.. بس الأول إنت عرفت كل ده عني وعن تذاكر منين؟

ابتسم حسن وقد أدرك أن تأثير المُخدر بدأ يزول عن وعي كربونة حيث بدأ يفكِر، وقال:

- من القسم يا كربونة.. ورقة بميتين جنية عملتلي نسخة من تقارير البحث الجنائي عن الجريمتين والمحاضر كلها في نُص ساعة.. مفيش حاجة في الزمن ده مالهاش تمن.

رفع حسن فنجان القهوة وارتشف منه رشفة سريعة بمجرد أن وضِعت أمامه، ونظر لكربونة وأكمل:

- ها؟ مركز معايا؟

- معاك يا بيه.

- طبعًا مستحيل تفتكر تذاكر كان فين يوم 2 الشهر اللي فات؟

- يا بيه إنت جاي تهزر؟ أنا بفتكر إسمي بالعافية!!

- طب تذاكر قتل واحدة يوم الإتنين اللي فات اسمها داليا.. داليا دي تذاكر

يعرفها منين وقتلها ليه؟

فكّر لثوانٍ، وقال:

- تذاكر ما يعرفش حد بالإسم ده يا بيه.. وتذاكر عمره ما مدّ إيده على مرا لامؤاخذة.. أنا مش بالع حكاية إن تذاكر قتل البت دي.

هز حسن رأسه، فهو كان يتوقع دفاع كربونة عن صديقه، وقال:

- بلاش قتلها.. إنت متأكد إنه ما يعرفش داليا دي؟

- يا بيه لامؤاخذة يعني.. تذاكر عمره ما عَطّ من غيري.. وعمره ما كان هيعرف واحدة من ورايا.. ده غير إن اسم داليا ده مش بييجي في طريقنا.. البنات اللي أساميها كده يا بيه.. سِكّتها إصلاح وتهذيب.. واحنا سكّتنا خبط وتقليب.

لم يفهم حسن المُصطلح الذي استخدمه كربونة، ولم يشعر بالرغبة في الاستفسار عن معناه:

- بس هما لقوا بصماته على علبة سجاير وقعت منه في شقتها.. وتليفونها كان في شقته.

- تلبيس يا بيه.. هي جديد عليهم؟

قال حسن بنفاد صبر:

- يا ابني لو عايزين يلبّسوه قضية.. هيقتلوه ليه؟ ويفتحوا قضية تانية؟ ما كانوا قبضوا عليه ونفخوه وخلّوه يعترف.. بلاش نظرية المؤامرة دي وركز معايا.

- مغامرة مين يا بيه؟

قال حسن بنفاذ صبر:

- لا إله إلا الله.. يا ابني ركّز معايا.

- محمد رسول الله يا بيه.. كويس إنك طلعت مسلم برضه.. كنت شاكك فيك.

- يا ابني ما أنا قايلك إن إسمي حسن.. هو في حسن مسيحي؟

سكت تذاكر لثوانٍ، ثم قال:

- أيوة يا باشا.. عادل إمام كان اسمه حسن وكان مسيحي في فيلم حسن وبطرس.

ضحك حسن بصوّتٍ عالٍ، وكاد أن يفقد توازنه من كثرة الضحك، ثم قال:

- تصدق غلبتني؟ بس هي تفرق معاك مسلم من مسيحي؟

- لأ خالص.

فسأل حسن باستغراب:

- أمال بتقول كنت شاكك فيا ليه؟

- عادي يا باشا.. بنكُشك. قالها وضحك.

ضحك حسن بدوره، ثم قال وقد عادت له الجدية:

- طيب تذاكر عمره راح مستشفى "الكرامة" اللي في مصر الجديدة؟

- يا بيه تذاكر عمره ما راح مصر الجديدة أصلًا.

- إفتكر كويس.. يكون راح يجبّس إيد.. يكشف.. أي حاجة.

- يا بيه تذاكر آخره لما كان يتعب.. ولّا دماغه تتفتح في خناقة.. كان يروح الصيدلية.. أو يكتمها بشويه بُنّ.

- طب تذاكر ما قالكش أي حاجة عن حكاية الشُغلانة اللي طلعها من غير تليفونه دي؟

- والله ماعرف عنها غير إنها شُغلانة هيطلعله من وراها قرشين حلوين.. حلوين قوي زي ما قال.. غير كده ما رضيش يقولي.

وفتح علبة السجائر فوجدها فارغة، ولاحظ حسن استياؤه فنادى عامل الشيشة الصغير وقال:

- خد يا سيكة.. روح هات علبتين سجاير. ثم نظر لكربونة وسأله وهو ينظُر لعلبة سجائره:

- بتشرب كيلوباترا على طول؟ ولا وانت مفلس بس؟

- لا يا بيه ما بشربش غيرها.

فالتفت حسن للصغير وقال:

- خليهم أربع علب كيلوباترا.. وهات لنفسك حاجة لو عايز.

وتابعه بنظره وهو يبتعِد وهو يحمل ابتسامة حنونة، ثم اعتدل وسأل:

- قولي يا كربونة.. هو تذاكر كان بيشرب سجاير إيه؟

ابتسم بسُخرية وقال:

- زي حالاتي يا بيه.. هو يعني اللي كان مدير بنك؟

- وانت عايش منين يا كربونة؟ سامحني في السؤال.

- لا يا بيه.. براحتك.. كنا ساعات نطلع نمسك شغلة نقاشة.. وساعات شيّالين.. بس بقالنا فترة تذاكر بيجيبلنا شغل.

- فين؟

- كل مرة في حتة.. بلطجة بالأُجرة.. خناقة.. مظاهرة.. اعتصام.. تأمين.. ما بنقولش لأ.. بتُرزق يا بيه.. ربك ما بينساش حتى اللي مش فاكرينه.

(17)

الجمعة 26 مايو سنة 2005

خبر في صفحة الحوادث:

”حل لُغز اختفاء أطفال الأقاليم بعد مقتل المُجرم سنارة النونو على يد سفاح الأرقام“

بقلم: مجدي كارم

تمكنت قوات الشرطة المصرية من العثور على أربعة عشر طفلًا، كان كُل منهم في عِداد المفقودين، بعد إرسال شخص مجهول لخطابٍ - يُعتقد أنه سفاح الألفية - أبلغ فيه الصحافة بمكانهم. وأثبتت التحقيقات أن المجرم الشهير ”بسنارة النونو“ كان يقود عصابة احترفت خطف الأطفال الصِغار من الأقاليم، وتهريبهم للقاهرة، للعمل في مجال الشحاذة، والنشل.

هل ستشكُر الداخلية في بيان رسمي هذا المُلقب بسفاح الأرقام؟ أم ستكتفي بدعوات أمهات الأطفال الذين عادوا؟

(18)

غروب يوم السبت 14 ديسمبر 2013

جلست غادة أمام مكتب مجدي كارم وأخرجت من حقيبتها، كراسة كبيرة وعِدة أقلام وجهاز تسجيل رقمي، وضعتهم أمامها، وقالت:

- جاهز يا مستر مجدي؟

- جاهز. قالها وهو يبتسم بإعجاب، وهو يراها تخطو بثقة في عالم الصحافة الشائك، فهو يعتبر نفسه والدها الروحي في مهنة الصحافة، ويعتبرها خليفته.

وضعت الحقيبة بجوارها، ووضعت ساقًا فوق الأخرى، وفتحت كراستها على صفحة كانت قد أعدّت بها بعض الأسئلة التي تريد أن تطرحها في الحوار. مدّت يدها لتبدأ التسجيل، ولكنها توقفت في نصف المسافة وقالت:

- الأول عايزة أتفق مع حضرتك على حاجة.. مفيش أسئلة Off Limits أنا هسأل براحتي.. ومافيناش من زعل.

- مش متوقع منك غير كده.. لكن طبعًا إنتي عارفة إن الحوار حاجة.. والنشر حاجة تانية.. الموضوع ده حسّاس.. ما تنسيش إني كنت هتحبس بسببه.. طبيعي هنتفق على اللي هيتنشر.

- يا مستر مجدي ما إنت كده هتشيل الل...

قاطعها قائلًا:

- يا غادة.. بلاش استعجال.. ما تنسيش إن أنا صاحب الجرنال ومن مصلحتي الحوار ينجح.. إنما مش تنجحي إنتي واتحبس أنا.. يللا بلاش عطلة.

تنهدت بغضب، ونظرت له لثوانٍ، ثم قالت:

- ماشي.. لما نشوف. ثم ضغطت زر التسجيل.

بدأت تتحدث غادة بلهجة احترافية، في محاولة منها لفصل العمل عن علاقة الصداقة التي تجمعها بمجدي:

- حضرتك الصحفي اللي سمّى "سفاح الأرقام" بالإسم ده.. مش كده؟

- مظبوط.. هو كان بيستخدم الأرقام في التوقيع على ضحاياه.. كعلامة مميزة له.. فكان منطقي يتسمّى كده.

- حضرتك اقترن إسمك بالقاتل ده.. عايزة أعرف السبب؟

- بصراحة الأسباب كتير.. مش عارف إيهم الحقيقي.. يمكن علشان أنا اللي سمّيته الإسم اللي إتشهر بيه.. أو يمكن عشان هو بعتلي مرة جواب مكتوب فيه مكان أطفال مخطوفين.. أو عشان كتبت مقالة مرة اعتبرتها النيابة دفاع عنه وتحريض على القتل.. وكمان النيابة اتهمتني إني على علاقة شخصية بالقاتل.. واتحولت للمحكمة.. واتحكم عليا مع إيقاف التنفيذ.

كتبت بعض الملاحظات في كراستها، وأكملت:

- التهمة كانت إيه تحديدًا؟

- التهم كانت كتير.. منهم القتل.. والمساعدة على القتل.. وإخفاء معلومات عن المباحث تفيد في القبض على المجرم.. وأخيرًا التحريض على القتل.. إتحكم بالبراءة الحمد لله في كل التهم.. ما عدا التحريض.. القاضي حكم عليا مع إيقاف التنفيذ.. ومشّوني من الجرنال طبعًا.

- إيه السبب في إن حضرتك تمشي من الجرنال؟

تنهد بغضب مكتوم، ونظر لها بلومٍ واضح، لأنه لا يفضل الحديث عن هذه المقالة، ولكنه أجاب:

- الحقيقة أنا كتبت مقالة.. اعتبرها البعض دفاعًا عن القاتل.. وتعمدت نزولها المطبعة من ورا مديري المباشر.. علشان كنت عارف إنه هيرفضها.

- وحضرتك كرئيس تحرير دلوقتي.. هتعمل إيه لو حد من الصحفيين عمل كده معاك؟

نظر لها باستغراب لثوانٍ، ثم تذكر أنه من علّمها ما تفعل. وهي استراتيچية استفزاز الضيف ليقول ما يحاول إخفاؤه، فأجاب بلهجة من قَبِل التحدي:

- همشّيه من عندي.. وهنشُر ده في الجرنال علشان المؤسسات التانية ترفض تعيّنه.

شعَرت بغضبه، فقررت أن تهدئ من حِدة الحوار، قبل أن تعاود الهجوم، كما علّمها. نظرت لملاحظة كانت كتبتها منذ ثوانٍ، وقالت:

- حضرتك قلت السفاح بعتلك جواب.. إيه حكاية الجواب دي؟

وضح نجاح خطتها على نبرة صوته، التي خرجت أكثر هدوءًا منها في الإجابة السابقة:

- أنا جالي جواب في مكتبي مرة.. إتسلّم بالإيد على باب الجرنال للأمن.. مكتوب عليه إسمي.. لقيت فيه كذا خبر قديم من الجرنال.. عن خطف أطفال.. وورقة مكتوب عليها بالكمبيوتر مكان تواجُدهم.. طبعًا بلّغت الشرطة.. واكتشفوا فعلًا وجود الأطفال في المكان ده.. وتاني يوم ظهرت جُثة اللي كان بيخطفهم.. مقتولة بطريقة السفاح.. وطبعًا مفيش أي حاجة على الجواب ولا بصمات غير منّي وراجل الأمن.. والجواب ما وصّلش الشرطة لحاجة.

- تفتكر ليه اختارك إنت يا مستر مجدي؟

- السؤال ده هوَّ اللي يجاوب عليه.. مش أنا.. بس أعتقد إن يمكن السبب يكون إن أنا اللي سمّيته سفاح الأرقام في مقالاتي.. وكنت سبب شُهرته.

- شُهرته؟ ودي حاجة تبسطه؟ القاتل أعتقد يحب إنه يستخبى.. مش يتشهر.. ولا حضرتك تقصد إنه كان بيعاقبك لما بعتلك الجواب.. علشان فضحته.. بإنه يجُر رجلك معاه؟

- لا أبدًا.. هوَّ كان بيكافئني.. بطريقته طبعًا.. كان في دكتور علم نفس كتب مقال مرة في الجرنال عن السفاح.. بعد آخر جرايمه.. كتب في تحليل شخصيته إنه مغرور وبيحب الشهرة.. وده اللي دفعه لقتل الضحية التاسعة.. والكلام ده طبعًا من وجهة نظر الدكتور.. عشان كده أعتقد إن السفاح كان مبسوط مني

علشان عملتله شُهرة.. فقرر يكافئني بسبق صحفي.

- إزاي غروره وحبه للشُهرة كانوا سبب قتل ضحيته التاسعة؟ وليه مش سبب الضحايا الثمانية اللي قبلها؟

- الضحية التاسعة ليها حالة خاصة.. ودي لو تلاحظي كانت أخر ضحاياه.. اللي حصل إن المباحث قبضت على مُشتبه فيه بعد الجريمة الثامنة فعلًا.. واتحجز في القسم بيتحقق معاه.. قام القاتل كنوع من الإنتقام.. والكلام ده حسب رأي الدكتور.. راح قتل زوجة المُتهم ده في بيتها.. كعقاب للظابط اللي قبض على الشخص الغلط.. وانتقام من الشخص ده علشان كان بدأ يخطف منه الشُهرة.. وكدليل دامغ إن اللي إتقبض عليه مش هو السفاح.

صمتت غادة بعد تخيُلها لبشاعة الجريمة، على الرغم من علمها بأنه قاتل، ولكن تلك الجريمة كان وقعها عليها مُختلِفًا، شعرت بغضب مكتوم يتصاعد داخلها، فنظرت لكراستها وبعد ثوانٍ تمكنت من مواصلة الحوار، ولكن خرج صوتها يحمل لهجة غضب واضحة:

- حضرتك قلت إن مقالتك شافها "البعض" دفاع عن القاتل.. مظبوط؟

قالتها وأشارت بأصابعها بعلامات الاقتباس.

- مظبوط.. لكن الحقيق....

بدون تفكير قاطعته بحدة، وكأنه لم يكن يتحدث، واندفعت بسؤالها التالي:

- مش مُتفق معايا يا فندم إن المقالة أي حد يقراها هيشوف فيها دفاع عن

المُجرم.. أي حد مش بس "البعض".. وجريمة زي الأخيرة اللي حضرتك شرحتها دي ما يرتكبهاش غير حيوان بصراحة.. مش حد يتقال فيه جملة زي اللي حضرتك قولتها في مقالك.

وقلبت الورقة التي أمامها، وقرأت من نسخة لمقالته:

"سيكرهه البعض، ويحبه آخرون. سيكون بطلًا في نظر البعض، وخارج عن القانون في نظر غيرهم. سيوافق أحدهم على ما يفعله ويختلف على طريقة التنفيذ، سيوافق غيره على كل شيء، وسيرفض غيرهم كل شيء.

ولهذا سيبقى في المنطقة الرمادية، شئتم أم أبيتم."

سؤالي لحضرتك هو.. يا ترى حضرتك من البعض اللي بيحبه؟ ولا بيكرهه؟ وتصنيف حضرتك المِهني إيه للمقال ده.. غير إنه دفاع عن قاتل مفيش فيه ذرة إنسانية؟

نجح السؤال في استفزازه، فصاح بها، واندفع يتكلم بدون تفكير:

- أولًا أنا كتبت المقالة دي بعد جريمتة الثامنة.. وارجعي للتاريخ لو مش مصدقة يا سيادة الصحفية.. واضح إنك محتاجة تراجعي القضية اللي بتحققي فيها قبل ما تشتغلي عليها.. وواضح كمان إني إستعجلت لما سيبتك تشتغليها.. ثانيًا هو لما قتل الضحية التاسعة كان تحت تأثير مرض نفسي.. ضعف.. كلنا عندنا نقطة ضعف.. اللي ضعيف قصاد الشهوة للجنس أو للسلطة أو للفلوس.. وهو نقطة ضعفه الغرور والنرجسية.. مين فينا ما بيضعفش قصاد شهواته وما بيغلطش ولو مرة.. غروره عماه.. دفعه لارتكاب غلطة واحدة.. ولو تلاحظي بعدها اختفى.. واضح إن السبب كان

ندمه على الغلطة دي.. ثالثًا كل اللي قتلهم قبل مقالتي الأخيرة عنه كانوا يستحقوا القتل.. لكن نظامنا الأعرج كان عاجز يرجّع الحقوق لأصحابها.. ومحدش كان عنده الشجاعة يجيب حق الناس غيره.

كان صوت مجدي يعلو دون وعي منه، وملامحه تنطق بالغضب، ثم خبط بيده على مكتبه بقوة، وقال:

- طالما اللي المفروض يجيب حق الناس عاجز سواء عن قلة حيلة أو تواطؤ.. ما تزعلوش بقى من اللي ياخد حقه بدراعه.

ساد المكتب صمت ثقيل لدقائق، و كانت غادة غير قادرة على النطق، متسعة العينان، ناظرة لمجدي وكأنه شخص غريب لا تعرفه، مأخوذة من ثورة غضبه الشديدة، الذي برغم عملها معه لسنواتٍ طويلة لم تر مثلها منه من قبل لأي سبب، وكانت شبه نادمة على استفزازه. كان مجدي ناظرًا لها بنفس نظرة الغضب التي أنهى بها إجابته في الدفاع عن القاتل، وكأنه لم يفِق بعد من نوبة صرع مفاجئة أصابته.

قطع مجدي حالة الصمت، بصوتٍ حاول أن يخفي منه انفعاله وبقايا غضب أفقده السيطرة على نفسه:

- عندك أسئلة تاني يا غادة؟

تنحنحت حتى يخرج صوتها واثقًا، صحيحًا، ولكنه خرج مبحوحًا:

- اااااا. فسكتت ونظرت للكراسة حيث يقبع آخر سؤال كانت قد أعدّته لطرحه في نهاية اللقاء، قرأته سِرًّا (ما ردّك على الإشاعات التي انطلقت وقتها إنك

أنت شخصيًا السفاح؟) ثم نقلت عينيها بين السؤال وبين مجدي، الذي كان ينظُر لها، وهو في حالة سكون خادعة، كبُركان على وشك الانفجار فجأة، وقالت بصوتٍ مبحوح:

- لأ خلاص يا مستر مجدي.

رد بصوت جامد:

- طب بعد إذنك سيبيني دلوقتي.

استغرقت ثانيتين حتى استوعبت ما قال، فقامت ووضعت كل أغراضها داخل حقيبتها الجلدية، دون عنايةٍ أو ترتيب، وغادرت المكتب.

تابعها هو بنظره حتى غابت، فأراح ظهره على كُرسيه، وأسند مرفقه الأيمن على المسند الجانبي، وأمسك جبهته بيده اليمنى، وكأنه يندم على ما قال. ثم قام ووقف أمام خزينة متوسطة الحجم بجوار مكتبه، أدخل أرقامها السرية وفتحها وأخرج من قاعها مظروفًا أصفر كبير يبدو عليه القِدَم، أمسكه برفق بكلتا يديه وكأنه يحمل مولودًا حديث الولادة. وضعه أمامه على المكتب وجلس، ثم نظر للمظروف نظرة من يتذكر ذكريات قديمة. فتحه وأخرج منه ملف يحوي العديد من الأوراق. كان المظروف الكبير مكتوب عليه من الخارج "جرائمي".

جلست غادة على مكتبها، متسارعة الأنفاس غير قادرة على التركيز، كمن خرج لتوّه من عملية جراحية و لايزال عقله تحت تأثير المُخدِر. فتحت حقيبتها وأخرجت منها الكراسة التي أعدت بها أسئلتها ووضعتها أمامها. بعد دقائق من السكون تحركت بسرعة من اتخد قرار ويحاول تنفيذه قبل أن يتردد ويغيّره،

أخرجت هاتفها من الحقيبة، واختارت رقم عصام ناجي وتطلعت له لثوانٍ، ثم تشجعت وضغطت زر الاتصال، وانتظرت لثوانٍ ولكنها تراجعت وأغلقت الخط.

(19)

ليل السبت 14 ديسمبر سنة 2013

ضغط عصام زر استدعاء حسين، الذي دخل مُسرعًا، فيقول عصام:

- إعمللي كوباية قهوة يا حسين.. مش فنجان.. كوباية.. سادة.. بن زيادة شوية.

قال حسين:

- تشرب حاجة يا رامي بيه.

فقال رامي دون أن ينظُر له:

- زي عصام بيه.

غادر حسين ويغلق الباب. ينظر عصام لرامي وقال:

- عايزين نقسّم القضية جزئين.. اللي نعرفه.. واللي ما نعرفوش وعايزين نعرفه.

فأومأ رامي برأسه إيجابًا، وقال:

- نبتدي باللي نعرفه.

فقام عصام من خلف مكتبه، وجلس في مواجهة رامي، وقال:

- عايزين نجمع أكبر قدر من المعلومات عن داليا وتذاكر.. علشان نقدر نعرف

إيه علاقة أي حد فيهم بالسفاح.. ونحاول نعرف المصيبة اللي عملها تذاكر في التاريخ اللي اتكتب له.

نظر رامي لعصام بغير فِهم، وقال:

- ما إحنا قلنا السفاح مش على علاقة بضحاياه.

- مظبوط.. بس أكيد قِدر يعرف معلومة من وسيلة خاصة.. لو لقينا المصيبة ومشينا وراها.. ممكن نوصل لحاجة.. صح؟

حاول رامي أن يجيب سؤال عصام، ولكنه عَجَز، فأكمل عصام:

- أكيد يعرف حد يعرف حد فيهم.. أو اكتشف حاجة بطريقة معينة ولما حقق فيها وصل لتذاكر.. وده معناه إن إحنا لو مشينا نفس خطواته.. ممكن نلاقيه.. ماهو أكيد مش بيشم على ضهر إيده يعني.

فتح حسين الباب بعد طرقتين، ووضع القهوة أمامهم وغادر. تناول عصام كوب القهوة الخاص به، وبدأ يحتسيها، ثم تركها فجأة، وقال:

- طب نبتدي بالتليفونات.. هاتلي فاتورة تفصيلية عن أرقام داليا وتذاكر للشهر اللي فات.. ونشوف هنوصل لإيه.

كتب رامي أرقام كُلٍّ من داليا وتذاكر على تليفونه المحمول، ثم نظر في ساعته وقال:

- في حاجة تانية محتاجينها لحد بكرة؟

أدرك عصام أن الوقت قد تأخر، فقال:

- لأ خلاص يا رامي.. بس ياريت الفواتير دي تكون معاك الصبح وانت جاي.

- حاضر. قالها رامي وغادر ليُجهز الخطابات المطلوبة لتقديمها لشركات المحمول.

جلس عصام خلف مكتبه، وحاول الاتصال بشريف، فوجد الهاتف مُغلق، فقام والتقط سترته، وغادر المكتب.

وقف عصام ينظُر للنيل في سكون، في نفس مكانه، على كوبري قصر النيل، وفي يده الكوب الحافظ للحرارة، يستمع لصوت مُنير في أذُنيه، بعد تكرار روتينه الذي لا يمَلُّه. حتى شعر بأحد يقف إلى جواره ينظُر له في ثبات، فرفع عينه عن النيل، وأدار رأسه تجاهه، ليجد حسن الشريف بجواره، ينظُر إليه مُبتسمًا. شعر للحظة أنه رآه من قبل أو أنه يُذكِّره بشخصٍ يعرِفه. فنظر عصام حوله، ليتأكد من أن حسن يبتسم له هو شخصيًا، ولما تأكد من هذا، رفع يده وأخرج السماعة اليمنى من أذنه، واعتدل ليواجه حسن، الذي قال قبل عصام:

- عُمر خيرت؟ ولا مُنير؟ وهو يُشير ناحية السمّاعة.

فابتسم عصام، وقال بسُخرية:

- لأ تامر.

واجه حسن سور النيل، وأسند مرفقيه على السور، وهو ينظر لعصام وقال

بابتسامة مُتحدية:

- لأ.. عمر خيرت أو مُنير.

فقال عصام بجدية:

- تراهن؟

نظر له حسن لثوانٍ، ثم أخرج مفتاح سيارته من جيبه، ورفعه في الهواء أمام عصام ليراه، ويعلم أنها تساوي الكثير، وقال:

- عربيتي لعربيتك.

حافظ عصام على ملامحه الجامدة لثوانٍ، ليرى إن كان سيتراجع حسن أم لا، ولكن بعد تأكده من جديّة الأخير، واجه السور مثله، وأسند مرفقيه عليه، ونظر لحسن بإعجابٍ، وقال:

- مُنير.

فابتسم حسن ونظر للنيل، فقال عصام وهو مازال ينظُر له:

- تراهن على الأغنية؟

فضحك حسن ضحكة سريعة، ونظر لعصام، وقال:

- بس المرة دي.. هحتاج مُساعدة.

- إزاي؟

نظر حسن للنيل وفكر لثوانٍ، ثم نظر لعصام وقال:

- أنا أسأل.. وانت تجاوب.. ونشوف هحتاج كام سؤال علشان أعرف الغنوة.. وليك مقابل كل سؤال مني.. سؤال أجاوبك عليه بصراحة.. مهما كان.

فكّر عصام لثوانٍ، وقال بلهجة مُتحدية:

- ولو ما عرفتهاش؟

- لأ هعرفها.

- ولو ما عرفتهاش؟

فأخرج حسن مفتاح سيارته مرة أخرى وناوله لعصام. الذي ضحك باستمتاع، وقال:

- إتفضل إسأل.

فاعتدل حسن ليواجه عصام، ونظر في عينيه مباشرة، وكأنه يستنطقها لإخباره، وقال:

- الأغنية دي دايمًا اللي بتسمعها كل ما تيجي هنا؟ يعني مرتبطة بالوقفة دي؟ ولا هما كذا أغنية بتبدل فيهم لمُنير؟

- ما بسمعش غيرها وانا واقف هنا.

فابتسم حسن، ثم فكر ثوانٍ، وقال:

- نزلت قبل سنة 2000؟ ولا بعدها؟

- قبلها.

فاعتدل حسن ليواجه السور والنيل، وهو ينظر لعصام ليرى وقع جملته القادمة عليه، وقال بثقة:

- الطول واللون والحُرية.

سقط فك عصام الأسفل، واتسعت عيناه عن آخرهُما، وصمت لدقيقة كاملة، ثم قال مبهورًا:

- لأ مش منطقي.

ثم اعتدل ليواجه السور، واسند مرفقيه عليه، وهو ينظر لحسن، الذي كان وجهه يحمل ابتسامة المُنتصرين، وقال:

- لأ عايز أفهم.. عرفت إزاي؟

أدار حسن رأسه في اتجاه عصام، وقال:

- حظّي حلو.. هما ٤ أغاني اللي خمّنت إنهم مرتبطين معاك بالمكان ده.. 2 قبل 2000 وهما "برة الشبابيك" و"الطول واللون والحرية".. و 2 بعد 2000 وهما "علشان يشبهلك" و "ولا بيوصل".. ولما عرفت إنها قبل 2000 قلت أجرب "الطول واللون والحرية" ولو كنت قلت لأ.. كنت هقول "برة الشبابيك".. حظي حلو إنها طلعت صح من أول مرة.

أنهى كلامه وأعاد رأسه في اتجاه النيل، على عكس عصام، الذي بقى لدقيقة كاملة ناظرًا لحسن بانبهار لم يحاول إخفاؤه. حتى قطع حسن الصمت:

- كده ناقصلك سؤال في ذمّتي.

فأفاق عصام من انبهاره، وقال:

- لأ إنت جاوبت بعد سؤالين.

- مظبوط.. بس إنت سألت عرفت إزاي.. كده إتخصم منهم سؤال.

فهزّ عصام رأسه متفهمًا، واعتدل ليقف بجوار حسن، ونظر للنيل. بعد دقيقتان من الصمت، ضحك عصام ضحكة سريعة، ولكن بصوتٍ مسموع، ونظر لحسن، ثم نظر للنيل مُجددًا. فابتسم حسن وقال:

- طب وانا ماليش نفس أضحك؟

- لأ مفيش.. بس عجبتني حركة الأغنية دي بصراحة.

وبعد دقيقة من الصمت، أشار حسن لأحد المراكب الفخمة، التي ترسو على شاطئ النيل، ناحية اليسار، وقال:

- لما بشوف المنظر ده مش بلاقي مصر فيه.

ثم أشار لمركب صغيرة خشبية، تمر من تحتهم، ينطلق منها صوت أغاني، أشبه بصوت المعارك التي تدور في الأحياء الشعبية، وقال:

- ولما بشوف المنظر ده.. برضه مش بلاقي مصر فيه.

ثم نظر لعصام، وقال:

- هي مصر راحت مننا فين؟

لم يتوقع عصام مثل هذا السؤال، ففكر لثوانٍ، ثم قال:

- في صوت مُنير.

نظر حسن أمامه، وهزّ رأسه موافِقًا، وقال:

- هو ده اللي باقي منك يا مصر.

فقال عصام:

- وانت؟ بتلاقي مصر فين؟

تنهّد حسن ونظر للنيل، وكأنه يستجديه ليساعده على إجابة السؤال، ثم قال دون أن ينظُر لعصام:

- مش لاقيها.. وفقدت الأمل من زمان.. وبطّلت أدوّر.. مش باقي منها غير شوية ذكريات شايلها عنها.

بعد دقيقة من الصمت مرّ من خلفُهم رجل فقير الهيئة عزيز النفس وكان يحدث نفسه بصوت مليء بالحُزن، تذكر عصام بمجرد أن سمعه أنه قابله منذ ليلتين في نفس المكان، وكان يتحدث بنفس الصوت. نظر له الرجل وكأنه يعرفه، وقال وهو يشير لهم:

في الزمن ده الباشا لازم يكون بيهِزّ..

يطلع برجله فوق رقاب الناس ويركب بينز..

ولا فيه تلاقي إيد بتسند ضهر..

صاحب حقيقي في الزمن ده كنز..

صمت لثوانٍ ثم نظر لأحد المراكب التي يخرج منها صوت أغاني أشبه بصوت موتور جرار زراعي غير صالح للعمل، وقال وهو يشير له:

ولا حد سامع صوت بُكايا.. ضايع في وسط الخبط..

ولما بسأل مين معايا..

يلبّي ندايا الصمت..

أغاني مجنونة.. وأخلاقنا مدفونة.. عِرفوا يسوقونا..

ويجيبوا راسنا لتحت..

وشوّح بيده في اتجاه النيل، وظهر الاشمئزاز على ملامحه، وتركهم وغادر مُستندًا إلى عصاه الضعيفة، فاستبطأه حسن وسار بجواره وسأله:

- إسمك إيه يا راجل يا طيّب؟

نظر الرجل لحسن بملامحه الطيّبة قمحية اللون المليئة بالتجاعيد، ووضع يده على كتف حسن وكأنه يترك له وصيّته، وابتسم وقال:

الأسامي كتير والأصل مش فاكره..

بس المهم تاريخينا، وده أنا مذاكره..

لكن من اللي بشوفه خايف يتوه مني..

ويسألوني عليه ما قدرش أفتكره..

ثم ربّت على كتف حسن بودٍ وابتسم له ابتسامة تحمل كل طيبة الدنيا وسار متمهِلًا كعادته. تابعه حسن بنظره حتى ابتعد، وهمّ بالعودة لعصام ولكنه وجده إلى جانبه ينظر للرجل نظرة طالب لأستاذه الذي يحبه. فقال حسن وهو يبتسم دون أن يرفع نظره عن الرجل الذي كان لا يزال يحدث نفسه وهو يسير:

- إيه الراجل ده؟

قال عصام بصوتٍ لا يقل انبهارًا عن صوت حسن:

- مش عارف.

- مصر لسّة موجودة في الناس اللي زي دي.

خيّم الصمت عليهما لدقائق، ثم نظر عصام في الساعة، واعتدل ليواجه حسن، الذي اعتدل بدوره ليواجهه، مدّ عصام يده، وقال:

- أنا...

فقاطعه حسن، وهو يمدّ يده ليُسلم عليه، وقال:

- عصام ناجي.. رئيس مباحث قسم حدايق القبة.. وأنا حسن الشريف.. مهندس بترول متقاعد.. لو في حاجة إسمها كده.

عقد عصام حاجبيه، ونظر لحسن بشَكٍّ، وسأله:

- إنت تعرفني؟

- دي حكاية طويلة.. تعالى نتمشى. قالها ودار ليسير في اتجاه التحرير، وعصام بجواره، صامت، ينتظر إجابته، فقال حسن:

- أنا حسن الشريف.. زوج نادية عبد الرحيم.. الضحية الأخيرة للسفاح اللي بتدوّر عليه.

نظر له عصام نظرة تعاطُف لثوانٍ، وما لبثت أن تحوّلت لشَكّ، وقال:

- وطبعًا مُقابلتنا دي مش صُدفة.

- لا.. أنا فعلًا كنت محتاج أتعرف عليك.. وما حبيتش أكدب.. ده غير إن إنت أذكي من إني أصيع عليك.. طالع لعمّك الله يرحمه.

تذكر عصام أن هذا الرجل كان المُشتبه به الذي قبض عليه عمه، وتسبب هذا الاشتباه في مقتل زوجته، فقال:

- عمي الله يرحمه كان بيعمل شغله.. وفضل لحد ما...

قاطعه حسن قائلًا:

- مش محتاج تبرر حاجة يا عصام.. عمك كان واحد من الناس اللي اتشرفت بمعرفتهم.. وطبعًا مالوش ذنب في اللي حصل لنادية.. ولمعلوماتك.. هو جالي بعد وفاتها بشهرين.. واعتذرلي.. مع إنه ما كانش فيه داعي للإعتذار.. هو ما كانش بيعمل غير اللي أي راجل شريف في مكانه كان هيعمله.

- أنا برضو مش فاهم.. إنت إيه اللي جابك في سكّتي؟

قال حسن وهو ينظر لعصام:

- الحقيقة من غير لف ودوران.. إني بدوّر على اللي قتل تذاكر زيّك بالظبط.. ومفيش حاجة هتعملها أو هتقولها ممكن تمنعني من إني أحاول أمسكه.

نظر عصام لعينيه مباشرة، وسأله:

- إنت اللي عايز تمسكه؟ ولا عايزه يتقبض عليه يعني؟

- لأ يا عصام.. أنا مش عايز أنتقم منه بإيدي.. أنا مش طفل بسعى لانتقام ساذج.. أنا عايزه يتقبض عليه.. ولو وصلت له قبلك.. هتكون إنت أول حد يعرف.

قال عصام وهو يبتسم بسُخرية:

- مش شايف إنها صعبة شوية دي.. لوحدك توصله قبلي وانا معايا فريق بحث.. وموارد أكتر منك مليون مرة؟

- الكلام ده مظبوط في أي دولة في العالم.. في مصر الموضوع مختلف.. الناس بترتاح في الكلام مع المدنيين أكتر بكتير من الحكومة.. ده غير إن أنا الناس بتثق فيا بسرعة.

ابتسم عصام، وقال:

- ده صحيح.. بس أنا برضو مش فاهم.. إنت عايز مني إيه؟

- مش عايز حاجة.. أنا بس عايز أساعدك تمسكه.

- سامحني أنا مش محتاج مساعدة.

- مش يمكن أوصل لحاجة قبلك؟ حظ مُبتدئين.

- ما أعتقدش ده ممكن يحصل.

فقال حسن مُستسلمًا:

- خلاص.. براحتك.. مش هساعدك.. بس ده مش معناه إني مش مبسوط عشان إتعرفت عليك.

- وانا كمان مبسوط.. طب وإنت عرفت منين إني هكون هنا؟

- أنا كنت جايلك القسم.. ولما وصلت عند القسم شوفتك خارج.. مشيت وراك لحد هنا.

قال عصام وهو يفتح باب سيارته، حيث كانا قد وصلا لساحة الانتظار، التي لم يكن بها سوى سيارته وسيارة حسن، لتأخُر الوقت:

- عمومًا يا حسن.. أنا إرتحت في الكلام معاك.. وتشرفني معرفتك.. بس سيب موضوع القضية ده في حاله.. محدش يضمن رد فعل مجرم زي ده إيه لو عِرف إنك بتدوّر عليه.

- وأنا عندي إيه أخاف عليه منه يا عصام؟ سيبها على الله.. دي نمرة تليفوني.. لو جيت هنا وحسيت إنك محتاج حد تتكلم معاه.. هكون سعيد لو اتصلت بيا. وأعطاه رقم هاتفه المحمول، وسلّم عليه، ودار ليتجه لسيارته.

فتح عصام باب سيارته، ووقف ينظُر لحسن، الذي التفت إليه، وقال:

- مش هتسألني السؤال التاني اللي ليك عندي؟

ابتسم عصام، وفكر لثواني ثم قال:

- مش النهاردة.. يبقالي.

(20)

الأحد 15 ديسمبر 2013

يقف حسن بجوار أحد الأعمدة المُغلفة بالرُخام بُني اللون، ينظُر لبوابة مشرحة زينهم المُغطاه تقريبًا بشعارات وأسماء شباب مرّوا من هُنا في طريقهم لمثواهم الأخير. چيكا والجندي ومينا وغيرهم كُثر، كتب ورسم رُفقاؤهم أسماءهم، وكأنهم فراعنة يُخلِّدون ذكرى ملوكهم. وإن كانت ذِكراهم أوهن من أن تصمُد في مواجهة الزمن.

يخرج أحد عُمال المشرحة، يحمل في يده مظروف أبيض كبير، ويتوجه لحسن ويناوله المظروف. فتحه حسن، ونظر في الأوراق بداخله، نظرة سريعة دون أن يُخرجها منه. ثم مدّ يده للعامل "بالمكافأة" المُتفق عليها سلفًا. أخذ العامل النقود، ونظر لها سريعًا وهي في طريقها لجيبه، ليتأكد من المبلغ، وقال:

- ماشي يا بيه.. لو احتجت أي حاجة تانية أنا في الخدمة.

- أنا محتاج حاجة تانية.. ومستعد أدفع فيها ضعف اللي خدته.. بس مش عارف هتقدر عليها ولا هتخاف.

ردّ العامل طمعًا في المكافأة التي تقارب مرتبه الشهري:

- عيب عليك يا باشا.. نخاف مين بس.. تحب تاخد جثة على بعضها؟ قالها

وهو يبتسم بفخر لأنه يمتلك "قلب ميت"

- لأ.. أنا مش عايز الجثة تخرج.. أنا عايز أنا أدخل.. محتاج أشوفهم 5 دقايق بالعدد.

- غالي يا باشا والطلب رخيص.. بس مش بالنهار.. ولا هتخاف تدخل هنا بالليل.

ابتسم حسن، وقال:

- لأ ما تقلقش عليا.. تليفوني معاك.. هينفع الليلة دي؟

- بإذن الله.. هكلمك أقولك تيجي.

ركب حسن سيارته، واتجه لقهوته المُفضلة في منطقة الظاهر، طلب قهوة وأخرج من المظروف تقارير الطب الشرعي الخاصة بتشريح جُثة كُلٍّ من داليا وتذاكر. وبدأ يفحصها سريعًا، وكأنه يبحث عن معلومة مُحددة.

بعد أقل من دقيقة أخرج قلم أحمر من حقيبة صغيرة ورسم دائرة حمراء حول أحد السطور في تقرير داليا وهكذا فعل في تقرير تذاكر. ثم أخرج هاتفه المحمول والتقط صورة لهما معًا، ثم دفع حسابه وغادر القهوة في اتجاه المنصورة.

وصلت غادة لمكتبها في الجريدة لتجِد ورقة على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها تُخبرها أن تذهب لرؤية رئيس التحرير بمُجرد وصولها. جلست غادة تنظُر للورقة وكأنها تُعاتبها على وجودها. تنهدت بعمق في محاولة يائسة لطرد التوتر من داخلها لتبدو طبيعية.

رفع مجدي عينه ليجد غادة أمامه بعد أن وجدت باب المكتب مفتوحًا، فقال دون مُقدِمات:

- وصلنا لفين في تحقيقِك يا غادة؟ مفيش جديد؟

قالت بطريقة رسمية وبصوت متوتر:

- لسة شغالة عليه يا مستر مجدي.. كان عندي إمبارح كذا حاجة ماعرفتش أركز.. بس هحاول أخلّص حاجة النهاردة.. وأجيبها تقول رأيك فيها.

- ماشي.. ياريت مش أكتر من كده.. علشان عايزين نشتغل على القضية وهي لسة سُخنة قبل ما تتنسي.

- حاضر يا فندم.

وهمّت بمغادرة المكتب، ولكنه قال:

- ثواني.. لما أخلّص كلامي.. ولو فيه أي شغل تاني بتفكري فيه بخصوص القضية.. ياريت أسمع منك.

حاولت قدر إمكانها، أن تمنع صوتها من الارتعاش، غضبًا وتوتُرًا، لأنه لم يتحدث إليها أبدًا بهذا الأسلوب الرسمي من قبل:

- مفيش حاجة في دماغي لسة.. بس لو فكّرت في حاجة هكلّم حضرتك على طول.

- ماشي.. مش هعطّلك.

وصل عصام مكتبه ليجد الرائد هادي والنقيب هشام في انتظاره في مكتبه

يشربان القهوة، وأمامهما عِدة ملفات.

- صباح الخير يا هادي بيه.. إزيّك يا هشام؟ إيه الجديد؟

قال هادي وهو يبتسم بسُخرية:

- إحنا شغالين على القديم يا عصام بيه.. الجديد عندك إنت.. مش عارفين نوصل لعلاقة بين السفاح وأي قتيل.. ده حتى في واحد من اللي اتقتلوا كان في أبو قير.. فعلًا حكاية غريبة.

قال عصام وهو يجلس خلف مكتبه:

- بالظبط.. أعتقد دي أصعب حاجة في القضية.. إنك تقدر تلاقي العلاقة.. ولو لقيتها.. هتلاقي القاتل في ثواني.. بخصوص الجديد.. أنا مستني رامي بفواتير التليفونات التفصيلية لداليا وتذاكر.. يمكن نلاقي بينهم علاقة.. أو نقدر نربطهم بشخص تالت.. ونشتبه فيه.

قال هشام:

- القضية دي مش هتتحل على فكرة.. أنا متشائم.

قال هادي:

- كده تبقى مش هتتحل.. يا أخي بقولك خليك متفائل وخلّي عندك ثقة في ربنا وفي نفسك.

قام هادي من مكانه، وأكمل:

- عمومًا إحنا بنفحص ملفات القضية.. وهندور على أهالي الناس اللي اتقتلت..

ونحاول نربطهم ببعض.. دعواتك يا عصام بيه.

قام عصام، ودار حول مكتبه، ومدّ يده لهادي وقال:

- ما بلاش بيه دي بقى.. القضية شكلها مطوّلة.. وانا زهقت منها بصراحة.. ربنا معاكم.. وأي جديد هنتقابل ونفكر فيه سوا.

- ماشي كلامك يا عصام.. ربنا معاك.

يصل حسن لمنزله بعد رحلة مُهلِكة للغاية. قبل أن يفتح باب شقته وجد ورقة تنتظره محشورة بين الباب وإطاره، التقطها وفضّها ليجد بها الجملة

"برجاء الاتصال بغادة عثمان من جريدة الملامح المصرية..." ومُزيّلة برقم هاتفها المحمول.

دلف لشقته، وتوجه مباشرة للغرفة الصغيرة التي لا يدخُلها غيره. أضاء النور وأمسك القلم الأسود، وتوجه للوحة التي تحتل حائطًا كاملًا في الغرفة، مسح علامات الاستفهام من أمام اسم غادة وكتب رقم هاتفها، ثم أعاد كتابة علامات الاستفهام مُجددًا بجواره. مرّت دقيقتان، وهو غارق في التفكير، في محاولة لتوقع ماذا تريد منه هذه الصحفية، وأي ريح حملتها لطريقه، قبل أن يحاول هو التواصل معها. أفاق من أفكاره مُتذكرًا المعلومات الجديدة التي حصل عليها من المنصورة والتي كان واثقًا من عدم عِلم عصام بها على الأقل حتى الآن. لأنه يعتمد على أسلوب الداخلية في توزيع المهام، الذي طالما عرِف حسن أنه غير فعّال. إذا أردت أن تُنجز شيئًا، فعليك أن تقوم به بنفسك. هكذا اعتاد أن يقول لنفسه،

ولزملائه في العمل.

توجه للوحة مُجددًا، وبدأ يكتب المعلومات التي تحصّل عليها، بعد زيارة أكثر من خمسة بيوت، والتحدث لأكثر من رب أسرة مُتشكِك:

داليا سافرت القاهرة في أغسطس ونزلت عند هبة صاحبتها من الجامعة

هبة بتشتغل في مستشفى التكامل وجابت شغل لداليا في مستشفى الكرامة

هبة سابت الشغل ورجعت البلد فجأة بدون سبب في أول ديسمبر

8 ديسمبر هبة اختفت واكتشفوا جثتها بعد يومين غرقانة في النيل ورفض أهلها تشريحها

9 ديسمبر اتقتلت داليا

ترك حسن القلم وعاد للوراء قليلًا، وجلس على المقعد الوحيد في الغرفة، وغرق في تفكير عميق.

قطع رنين هاتف حسن المحمول حالة التفكير العميق التي غرق فيها، لدرجة أنه نظر لهاتفه المحمول باستغراب شديد لثوانٍ وكأنه مسافر عبر الزمن ولا يعرف ما هذا الشيء الذي يزعجه. وفجأة أدرك أن عليه الرد، فمد يده سريعًا للهاتف، كمن يستيقظ من غفوة جاءت في غير موعدها فجأة:

- ألو.

- شكلي صحّيتك من النوم.. عصام ناجي معاك.

- لا يا عصام مش نايم.. أنا بس ساكت بقالي كتير.

- طب وراك حاجة الليلة دي؟

- لا خالص.. ولا بعمل أي حاجة.

- طب ما تيجي نتقابل على الكوبري.

- تمام.. مسافة السكة.

أخلت غادة جزءًا كبيرًا من الحائط المواجه لمكتبها التي اعتادت أن تُذاكر عليه منذ أن كانت في المدرسة، وبدأت تُعلّق عليه مقالات تخُص جرائم "سفاح الأرقام". كان المكتب مُزدحمًا بالمقالات والتحقيقات التي جمعتها على مدى الساعات القليلة الماضية. تقوم هي بالتقاط المقالات، تلقي عليها نظرة سريعة، ثم تُثبّتها على الحائط في ترتيبها الزمني دون كلل كالنملة.

انتفضت فجأة عندما رنّ هاتفها المحمول، وسقطت بعض المقالات منها أرضًا، نظرت للهاتف ولكنه نقل لها رقمًا غير مُسجل في قائمة الأسماء، فردّت:

- ألو.

- ألو.. مساء الخير.. حسن الشريف معاكي.. كنتي سيبتي نمرتك على باب شقتي.

اعتدلت فجأة وبدأت تسير في الغرفة في علامة واضحة على التوتر، وقالت بصوتٍ فضحه التوتر:

- أيوة يا فندم.. متشكرة إنك اتصلت.. وبعتذر على إزعاجك.. أقدر أخد

من وقتك دقايق؟

- إتفضلي.

- شكرًا قوي.. حضرتك أنا غادة من جر... صمتت، واستمعت لمقاطعة حسن:

- جرنال الملامح المصرية.. عارف.

- بالظبط.. حضرتك لو مفيهاش مشكلة عندك.. أنا عارفة إنه موضوع حساس.. بس كنت محتاجة أعمل مع حضرتك Interview.. حضرتك عارف أن الس.... صمتت مُجددًا لمقاطعته:

- مفيش أي مانع.. تحبي نتقابل إمتى؟

- بكرة لو يناسب حضرتك.

- كلميني أي وقت.. وممكن نشرب قهوة في النادي جنب البيت عندي.

- متشكرة جدًا.. هكلم حضرتك الصبح وانا جاية.. مع السلامة.

أغلقت الخط، ونظرت للهاتف بسعادة غامرة لثوانٍ، ثم بدأت تُكمل عملها بنشاط جدّده اعتدال المزاج ولو قليلًا.

يقود حسن سيارته بتمَهُل، وزجاج سيارته مُغلق في محاولة منه لتهيئة الجو ليصفو ذهنه، ويستطيع التفكير. يحاول أن يصل لحل اللُغز الذي هو بصدده. يرنّ هاتفه المحمول، بصوت هادئ بالكاد مسموع، ينظر للهاتف ليجد رقم عامل المشرحة على الشاشة:

- ألو.

- جاهز يا باشا؟

ينظُر في ساعته، ويُفكر لثوانٍ، ثم يقول:

- ماشي.. هجيلك حالًا.. مع السلامة.

(21)

منتصف ليل الإثنين 16 ديسمبر 2013

يصل حسن لموقف السيارات الذي اعتاد عصام أن يترك فيه سيارته في وسط البلد، ليجد عصام مستندًا على سيارته يُدخن سيجارته وغارق في تفكير عميق، لدرجة أنه لم يلحظ وصول حسن. نزل حسن وتوجه لعصام، الذي ابتسم عندما لمحه، مدّ يده وسلّم عليه:

- إزيّك يا حسن؟

- كويس.. بس إنت مش كويس.. مالك؟ القضية معصلجة.. صح؟

نظر له عصام لثوانٍ، كان يُفكر في مدى صِحة التحدث معه بخصوص القضية، ولكنه كان بالفعل يحتاج أن يتحدث، شعر حسن بتردُده، فقال باسمًا:

- بلاش كلام عن القضية لو قلقان أحلّها قبلك.

تحرّكا في اتجاه النيل، وألقى عصام سيجارته، وهو يضحك ويهز رأسه يمينًا ويسارًا، ثم نظر لحسن وقال:

- تصدق.. لولا إنها أرواح ناس.. كنت راهنتك مين يحلّها الأول.. بس ما يصحّش.

- عندك حق.. ما يصحش نتراهن.. بس ده ما يمنعش إني هحلّها قبلك.

- يووه.. برضه مش هتستفزني علشان أراهنك.

صمتوا قليلًا ونظر كل منهم في اتجاه النيل، البادي عليه انعكاس الأضواء التي تضيء البر المقابل، خلف السور الحديدي الأسود، وهم يعبرون الشارع في اتجاهه، ثم سارا بمحاذاة السور في اتجاه كوبري قصر النيل. ثم قال عصام فجأة بصوتٍ عالٍ نسبيًا، كمن كان يجاهد لمنع الكلام، ثم انهارت مقاومته:

- مفيش أي رابط بين داليا وتذاكر.. تليفوناتهم مالهاش أي علاقة ببعض.. مش عارف حتى أبدأ منين.

نظر له حسن لثوانٍ، ثم نظر أمامه، وبقى صامتًا، فقال عصام:

- أكيد في طريقة.. غلطة.. بس لسة مش قادر اكتشفها. قالها ونظر لحسن الذي بقى صامتًا كالصنم، وقال:

- إنت جاي تسمع بس؟

ابتسم حسن، ونظر له وقال:

- مش إنت قلتلي آخر مرة مش عايز مُساعدة؟ أنا احترمت ده.. إنت شكلك محتاج تتكلم وأنا بسمعك.

زفر عصام بضيق، فهو يعلم جيدًا أنه لا يجب عليه أن يُشرك مدني في قضية، خاصة عندما تكون كبيرة كتلك التي يتحدث عنها، وخاصة أيضًا أن هذا الشخص أحد أطرافها بشكلٍ أو بآخر، لأنه زوج أحد ضحايا السفاح، حتى وإن كانت الجريمة قد تمت منذ ثمانِ سنوات. ولكنه كان يرتاح لحسن، ويحتاج

لصديق بشدة، منذ أن ترك شريف صديق عمره الخدمة، ويحتاج بشدة لأن يتحدث بصوتٍ عالٍ عن القضية، ويسمع أفكار جديدة كما علّمه عمه.

كانوا قد مرّوا بجوار (الفرشة) التي اعتاد أن يتوقف عندها عصام، ووصلوا عند المكان الذي اعتاد أن يقف فيه عصام في منتصف النيل، أعلى كوبري قصر النيل. قال عصام وهو ينظُر للنيل، وكأنه لا يريد أن يرى حسن حاجته للمساعدة في عينيه، بعد فترة صمت طالت:

- أنا مش محتاج مساعدة في القضية يا حسن.. أنا محتاج حد أتكلم معاه.

قال حسن دون أن ينظُر له بدوره:

- عارف.

- عرفت منين؟

- باين عليك.

صمتوا قليلًا، ثم قطع حسن الصمت قائلًا:

- إنت عادة في أي قضية بتبتدي منين؟

- دي مش أي قضية يا حسن.. القضية دي مُختلفة.. امتداد لقضية قديمة.. وانت عارف كده.

- مش يمكن الغلطة إنك بتعاملها وكأنها قضية مُختلفة؟

ظهرت ملامح الاهتمام على وجه عصام، اعتدل ونظر لحسن، الذي كان ينظُر للنيل، وقال:

- تقصد إيه؟

- أنا ما أقصُدش حاجة.. أنا بحاول أساعدك تفكر.. بتناقش معاك.. يمكن توصل لحاجة.. إنت الظابط هنا مش أنا يا عصام.. وهو ده بالظبط اللي إنت محتاجه.. تفكر بصوت عالي وترد على نفسك.. هتوصل للحل.

فكّر عصام لدقائق، لم يقطعها سوى صوت الأغاني التي لا رائحة فيها للفن، والتي أصبحت جُزءًا لا يتجزأ من الواقع المصري للأسف. ثم قال:

- أول حاجة بدوّر عليها الدافع.. إيه اللي خلّى اللي قتل يقتل.. وفي حالتنا دي.. إيه الحاجة اللي عاقب عليها السفاح تذاكر؟ وإيه اللي خلى تذاكر يقتل داليا؟

- صحيح.. إيه اللي يخلي تذاكر يقتل داليا؟

مط عصام شفتيه، وقال بصيغة السؤال:

- محاولة اغتصاب فاشلة مثلًا؟ سرقة؟ ما هو عيل بلطجي أصلًا.. وقليل لما بيبقى فايق.

- منطقي.. طب وإيه تاني؟

قال عصام مُحبطًا:

- ومفيش أي معلومة قادر أوصلّها في التاريخ اللي مكتوب على راسه.

فتح حسن فمه ليتحدث، ولكنه سمع صوت العجوز الفقير عزيز النفس قادمًا من ناحية التحرير كالعادة يقول:

قالك هنبقى أحسن من الغرب بمراحل..

دا إحنا حدانا في كل حاجة عباقرة وفطاحل..

فينك يا شوقي تقوم من تربتك تسأل؟

إزاي هنبني حضارة وأخلاقنا في النازل؟

اعتدل كلًا من حسن وعصام وأسندا ظهريهما للسور وتابعوه بإنصات، فابتسم لهما العجوز حين لاحظ اهتمامهما بكلامه، فهذا قلّما يحدث معه، فقال وهو يُبطئ السير ليسمعوه:

زمان كان اللي يغلط وِشه كان يِحمَرّ..

ومش بعيد ده من قفاه بزفة كان ينجَرّ..

دلوقت قولة عيب بقت عيبة وبجاحة..

وفي كل حتة المسخرة ما عادش منها مفَر..

قالها وتملّكته رغمًا عنه ملامح الاشمئزاز من الحال الذي وصل له شعبنا، ثم ابتسم ابتسامة جاهد لتبدو صافية، وأكمل سيره متمهِلًا كما اعتاد.

قال حسن وهو يتابعه بنظره:

- الراجل ده أعقل واحد في البلد.

- حكيم.. أنا سمّيته عم حكيم.. وبحاول أفتكر كلامه علشان كلامه يستحق...

قطع رنين هاتفه المحمول جملته، فمدّ يده والتقطه من جيب سترته بضيق:

- أيوة.

- أيوة يا عصام بيه.. عندنا بلاغ حالة سرقة بالإكراه في سوبر ماركت كبير.

نظر لساعته التي كانت تشير للثانية بعد منتصف الليل، وقال:

- إبعتلي العنوان في رسالة.. هتحرك حالًا.

أغلق الخط، ونظر لحسن مُعتذرًا، الذي بدا عليه التفهُم. بدأ حسن يتحرك في اتجاه موقف السيارات، ومعه عصام، الذي قال بطريقة من واتته فكرة وقرر تنفيذها دون تفكير:

- ما تيجي معايا.. ولا عايز تنام؟

نظر له حسن وابتسم:

- لأ أنا مش عايز انام.. بس مش تقولي معايا فين الأول؟

- جريمة سرقة في المنطقة.. تعالى هتتبسط.

ابتسم حسن مُعلنًا موافقته على الذهاب مع عصام، الذي ابتسم من قلبه. كان كلًا منهم يُدرك في تلك اللحظة أن ثمة علاقة صداقة بدأت بالفعل تتكوّن بينهم. فحسن الذي يعيش وحيدًا منذ مقتل زوجته، في أشد الحاجة لصديق. وعصام الذي فقد صديقه شريف منذ أن تركه وتوجه للعمل الخاص، وأصبح شبِه غريبًا عنه، كان أيضًا في أشد الحاجة لصديق.

وصل عصام ومعه حسن للمكان الذي تمت فيه السرقة، كان سوبر ماركت كبير، قد تعرض للسرقة. قدّم عصام رفيقه حسن لزملائه على أنه صديق. بدأ عصام يحقق في أمر السرقة، ومعه حسن الذي كان هادئًا، وإن كان يتابع جيدًا

كل ما كان يحدث أمامه، وكانت ملامحه يبدو عليها الانبهار والاستمتاع، وكأنه طِفل يذهب لأول مرة مع والده لمكان عمله ليكتشف عالم جديد عليه.

بعد ساعة إلا قليل وبمجرد أن ركب حسن بجوار عصام السيارة، ليَقله للموقف في وسط البلد حيث ترك سيارته، سأله عصام:

- ها؟ إيه رأيك؟

قال حسن وهو يفتح النافذة بجواره:

- الواد شلبي بتاع الأمن هو اللي سهّل سرقة الفلوس.. لناس تبعه.

نظر له عصام بدهشة عارمة، وانفجر ضاحكًا بصوتٍ عالٍ، وقال والضحك يقطع كلامه:

- أنا كنت بسألك إيه رأيك في الشغل.. تقوم تقولي مين الحرامي؟ ياعم بالراحة علينا.

ضحك حسن وقال:

- معلش.. والله افتكرتك بتسألني عن القضية.. لأ طبعًا كنت مبسوط وعايز أكررها.

نظر له عصام مُجددًا، وقال باستغراب:

- هو انت بتتكلم بجد؟

- بخصوص إيه؟

- إن الحرامي هو بتاع الأمن؟

قال حسن بثقة:

- أنا متأكد.

نظر عصام أمامه لثوانٍ وكست الجدية ملامحه، ثم نظر لحسن وقال:

- أنا كنت فاكرك بتخمّن.. بهزار يعني.. طب ما تقولي ليه متأكد بقى.. منك نستفيد.

اعتدل حسن، وقال بثقة بلهجة من كان يتوقع السؤال:

- أولًا.. مدير المكان قالك إن الإيداعات بتتعمل كل يوم أحد.. بس الإسبوع ده الإيداعات إتأخرت علشان كان فيه مظاهرات قاطعه الطريق.. ففضّلوا يستنوا لبكرة.. النقطة دي أكدت لي إن في حد من المكان متواطئ.. لأن السرقة لو تلاحظ تمت في أكتر ليلة المحل فيه كاش.. ثانيًا.. وانت بتتكلم أنا فتحت المواقع على التليفون.. محدش جاب سيرة مظاهرات في الحدايق.. مش معنى كده إنها ما حصلتش.. بس معنى كده إن حد قالهم عنها.. ولما سألت المدير عرف منين عن المظاهرات.. قال إن شلبي ساكن قريب من البنك وشافها وهو جاي الصبح.. يعني شلبي هو اللي عطّل الإيداعات من النهاردة لبكرة.. ثالثًا.. لو لاحظت في حكاية المحاسب وهو بيحكي لك اللي حصل.. قالك إن المُلثمين اللي سرقوا المحل قالوا إحنا هنولع في البلد طول ما الحكم العسكري موجود والإنقلاب والكلام الفارغ ده.. وده مش منطقي أبدًا.. وده خلاني افكر إيه اللي يخلي واحد حرامي يقول الكلام ده

وهو داخل يسرق؟ التفسير المنطقي الوحيد إنه يبعد الشك عن حد هيكون في دايرة الشك.. لكن انقلاب مين وعسكر مين اللي هيفكر فيهم حرامي جاي يسرق؟ رابعًا.. والمحاسب بيحكي طريقة السرقة قال وبعد ما أخدوا الفلوس من الخزنة.. وكانوا مثبتين شلبي والكاشير على الأرض.. واحد منهم ضرب شلبي بضهر السلاح على دماغه فتحها له.. وده برضه مش منطقي.. إيه اللي يخليني كحرامي بعد ماسرقت أفكر أضرب حد.. وماعرفش رد فعله هيكون إيه.. ما هو ممكن ياخدها على كرامته ويقوم يمسك فيا وتبوظ الشغلانة.. المنطقي إن أول ما أخد الفلوس.. مش هفكر غير في الهرب.. وده اللي أكد إن حركة ضرب شلبي كان متفق عليها علشان يبعدوا عنه الشك.. بس اتنفذت بغباء.. يمكن نسيوا وما إفتكروش إلا وهما خارجين.. وسادسًا.. إحنا وصلنا خامسًا ولا.. خامسًا.. مش منطقي أبدًا حرامية يدخلوا يسرقوا سوبر ماركت وما يفكروش يسرقوا درج الفلوس بتاع الكاشير.. ما هو ده اللي منطقيًا بيكون فيه الفلوس.. إلا لو كانوا عارفين كويس إن الفلوس معظمها في الخزنة.. وكمان محدش لمّح إنهم سألوا على مكان الخزنة.. وأتحداك.. لما تشوف تسجيل كاميرات المراقبة.. هتلاقي الحرامية كانوا عارفين مكان الخزنة قبل ما يدخلوا.. وده برضه يثبت إن العملية فيها حد من المكان.. بس كده.

أنهى حسن كلامه وصمت انتظارًا لرأي عصام في نظريته. ولكن عصام كان في حالة ذهول غير عادية، كان ينظُر له وكأنه يرى أمامه كائن خرافي قادم من عالم آخر. وبعد فترة ليست بالقليلة من الصمت، قال عصام بصوت تملؤه الدهشة:

- إنت إزاي أخدت بالك من كل ده؟ إنت إزاي مش ظابط مباحث؟

ضحك حسن وقال:

- على فكرة أنا ما خدتش بالي من أي حاجة أكتر من اللي إنت لاحظتها.. لكن أنا عندي موهبة من وانا صغير إني بعرف أربط كل حاجة ببعض أسرع شوية من الطبيعي.. معرفش بيسموها إيه.. قوة ملاحظة.. ولا ذكاء.. ولا عقلية تحليلية.. بس أنا عندي الموهبة دي فعلًا.. بشوف كل حاجة.. وبعرف أترجمها.

صمت لثوانٍ ثم أكمل:

- تصدق في الأول كنت بستغرب إزاي مش كل الناس بتلاحظ اللي أنا بلاحظه من غير مجهود.. بس بعد فترة أدركت إني مُميّز.

كانت دهشة عصام لا تزال تسيطر على ملامحه، وأضيفت إليها ملامح الانبهار، لتعلو وجهه ابتسامة إعجاب واضح بذكاء صديقه الجديد، وأيضًا سعادة لمعرفته. فقال حسن مازحًا:

- إيه يا عم عصام؟ مش هتقفل بُقَّك ده بقى وترُد عليا؟

أغلق عصام فمه، الذي كان فكه السُفلي - رغمًا عنه - مازال ساقطًا، وقال:

- لأ إنت مش طبيعي.

- يعني إقتنعت بكلامي.

فتح عصام عيناه عن آخرهما، وقال بدهشة:

- مقتنع؟ إنت بتهزر؟ إنت كلامك ما سابش نقطة شكّ جوايا.. هستنى

بكرة الواد ييجي القسم وهخليه يعترف.. قال مقتنع قال.

ثم نظر لحسن، وقال وهو يقف بسيارته بجوار سيارة حسن:

- الوقت إتأخر.. روّح وبكرة لازم نتقابل علشان أفهم حكاية شورلوك هولمز اللي لابسك ده.. ما تيجي اعزمك بكرة على الغداء في البيت عندي؟ وتقابل نشوى ومَلك.

- بكرة مش ضامن ظروفي.. خلينا على تليفون.. بس أكيد عايز أتعرف عليهم.

- إتفقنا.

(22)

الأربعاء 23 أغُسطس سنة 2005

كشاهِد قبر، تقبع رسالة الانتحار على صدر جثة مراهقة، فوق سريرها، صغيرة السن وإن كانت ملامحها الطفولية تبدو وكأنها قد شاخت بفِعل الحُزن المطبوع عليها.

"سامحيني يا أمي.. أنا غلطت.. ويارب إبن الحرام اللي في بطني يسامحني"

(23)

صباح الثلاثاء 17 ديسمبر 2013

حسن يقف بجوار سرير صغير، في غرفة تخلو من كل شيء عداه والسرير، ينظُر لشاب مصلوب فوق السرير، يداه مُقيدتان في قائمي السرير. وقدماه مقيدتان في بعضها البعض. كانت ملامح الشاب هي نفسها ملامح حسن ولكن زاد عليها الفزع الشديد، كان الضوء خافت شِبه مُنعدم. قال حسن - الواقف - بصوتٍ عميق، تردد في الغرفة وكأنه ألف صوت:

- ما تسألش سؤال إنت عارف إجابته.. إنت اللي قتلت نادية.. وأنا مش محتاج دليل.. أنا عارف إن كلامي صح.. أنا دايمًا كلامي صح.

ارتعد الشاب المصلوب بشدة، وحاول بقوة انتزاع يداه من الأربطة القوية التي تُقيدها، فتسببت الأربطة، أو بالأحرى محاولة خلاصه منها، في جرح معصميه، وتاهت رعدة فزعة وسط محاولاته اليائسة للخلاص.

تحرك حسن ومد يده التي تحمل مشرط جراحة، وقام بقطع شرايين معصم الشاب الأيمن بثقة جرّاح متمرس. كان الفزع باديًا على ملامح الشاب المصلوب، الفزع كان حاضرًا في أنفاسه المتسارعة، وتأوهاته التي يطلقها كلما حاول تخليص يده من قيدها، فيؤلمها، ولا يقترب بها من خلاصها. دار حسن حول السرير، وقطع

شرايين معصم الشاب المُقيّد اليُسرى بنفس الثقة والسلاسة. ثم وقف عند قدمي الشاب يشاهد جولة عذابه الأخيرة، في هذه الحياة على الأقل، باستمتاعٍ ساديّ.

انتفض حسن مفزوعًا من كابوسه المُزعِج، على صوت رنين هاتفه المُلِحّ، كان يتصبب عرقًا وينهج، وكأنه يحاول أن يحصل على نصيبه من هواء الغرفة قبل أن ينفُد. نظر لهاتفه ليجد رقم هاتف الصحفية غادة عثمان يُطالبه بالرد الفوري. فتح الخط وقال بصوتٍ بالكاد يُسمَع:

- أ... لم يخرج صوته في المحاولة الأولى، فحاول مرة أخرى:

- ألو.. أيوة أيوة سامعِك.. مع.... ثواني بس إسمعيني.. إديلي ١٠ دقايق بس وهكلمك.. سلام.

ألقى الهاتف بجواره على السرير، واستطاع بعد أكثر من محاولة أن يجلس على طرف السرير. كانت رأسه تؤلمه بشدة، ولا يعرف السبب تحديدًا، إن كان بسبب السهر، أم بسبب الكابوس الذي أقلق نومه.

أمسك رأسه بكفيه، وأسند مرفقيه على ركبتيه، وتنهّد تنهيدة طويلة، وكأنه يحاول طرد بقايا الكابوس من روحه.

بعد ساعة ونصف، كان حسن يقف أمام باب النادي الذي اعتاد أن يذهب إليه كل صباح، قبل أن يبدأ التحقيق في القضية التي انتزعته من روتين حياته انتزاعًا. يمسك الجريدة اليومية في يده، رنّ هاتفه المحمول برقم غادة، فنظر حوله، فرآها قادمة في اتجاهه، جميلة كأحلام اليقظة، لم يرُد على مكالمتها،

وتوجه إليها. نظرت له بتساؤل، فابتسم وقال:

- حسن الشريف. ومدّ يده ليصافحها.

ابتسمت، وصافحته، وقالت:

- معلش لو إتأخرت.. أصل الركنة هنا صعبة جدًا.

قال هو يفسح لها الطريق لتتقدمه ليدخلا النادي:

- هنا بس؟

ابتسمت وقالت:

- عندك حق.

جلسا على نفس الطاولة التي اعتاد أن يجلس عليها كل صباح، وبدأت غادة تحضّر للحوار الصحفي، كعادتها، بنفس خطواتها، وكأنها طقوس مُقدسة. أخرجت المُسجل ووضعته أمامها، ثم الكراسة التي تحوي أسئلتها، ثم أقلامها، وحسن يتابعها باسمًا. جاء عم عِفت بدون قهوته المعتادة، وسأل:

- الهانم تشرب إيه؟

نظرت له غادة بشرود لثوانٍ، بعدما قطع طقسها التي كانت منغمسة فيه بكل حواسها، وقالت بعد أن أدركت الموقف:

- قهوة مظبوطة.. بس في كوباية من فضلك.. حبة كتير كده. وابتسمت بوِد ابتسامة عريضة.

نظر عم عِفت لحسن، نظرة ذات مغزى، وقال:

- العادي يا حسن بيه؟ ولا في جديد النهاردة؟

ابتسم حسن عندما أدرك ما يرمي إليه عم عِفت بسؤاله، وقال:

- لأ مفيش جديد يا عم عِفت.. إنت عارفني.

ذهب عم عِفت، واعتدلت غادة ووضعت قدمًا فوق الأخرى كعادتها عند بداية أي حوار صحفي، وقالت:

- من فضلك أنا هسجل الحوار علشان أرجعله في الجرنان وأفرّغه.. يضايقك؟

قال حسن، وكأنه لم يسمع سؤالها:

- إيه رأيك في مقالة مجدي كارم النهاردة يا آنسة غادة؟

عقدت حاجبيها، فهي لم تتوقع السؤال، وقالت:

- أنا ما قريتهاش للأسف.. جيت من البيت على حضرتك على طول.. ليه بتسأل؟

- مش عارف.. أصله بيطرح وجهة نظر جديدة خالص.. فكنت عايز أعرف رأيك.. بصفتك المُحققة اللي ماسكة القضية في الجرنان.

لم تستطع غادة كتمان فضولها، فمدّت يدها لهاتفها المحمول، وفتحت صفحة مقالات مجدي كارم، وبدأت تقرأ المقالة.

ليه لأ

بقلم مجدي كارم

منذ ظهور جثة البلطجي في حدائق القبة، وكل وسائل الإعلام، والبرامج المُهتمة بالشأن الداخلي، وأكاد أجزم أن الداخلية أيضًا، تتحدث عن "عودة" سفاح الأرقام، الذي أطلقت أنا عليه منذ سنوات لقب "سفاح الأرقام". وكأن السفاح كان في إجازة وضع، وعاد بعدها ليكُمل ما بدأه.

في حقيقة الأمر، ليس من المنطقي أن نتحدث عن عودة من كان يقتل منذ ثمانية أعوام للقتل، لعدة أسباب. منها عامل السن، فالذي كان يقتل منذ ثمانية أعوام، ليس لائقًا بدنيًا بالطبع كما كان وقتها، خاصة لو كان يأكل ويشرب "من نيلها".

كما أن دوافع القتل التي انعدمت عند القاتل لمدة ثمانية أعوام، كيف تعود فجأة لتدفعه للقتل بعد سبات أهل الكهف الذي أصابه؟ فليس من المنطقي أن يتوقف فجأة عن القتل طوال هذه المُدة، ويعود فجأة بعدها. فلا توقف فساد، ولا استيقظت ضمائر، ولا اعتدلت مائلة. فلماذا توقف في البداية؟ ولماذا يعود الآن؟

كل ما أحاول توصيله هنا، هو أن اعتبار السفاح مُجرد شخص، هو عين الخطأ.

لماذا لم تُطرح نظرية أن القاتل هذه المرة، هو رجل ألهمته تجربة السفاح،

فقرر تكرارها. أو أنه شخص وجد أن المجتمع مازال في حاجة لمثل هذا السفاح الذي لا يقتل الأبرياء، ولكنه يُعاقِب الذين أفلتوا من عِقابٍ يستحقوه.

بالطبع لست ممن يؤيدون هذا الفكر، أو يعتقدون أن وجود مثل هذا السلوك هو شيء مطلوب. بالرغم من أن النظام القضائي مازال أمامه الكثير ليصبح قادرًا على ردع وعقاب كل من يستحق. وعلى الرُغم من زيادة نسبة الفساد عما كانت عليه عند ظهور السفاح، ولكن في النهاية، نحن كشعب لابد أن نقف خلف القانون ونطالب بتنفيذه، وأن نُجرّم مثل هذه الجرائم، حتى ولو كانت تُرتكب ضد من يستحقها.

هذا لأننا نحلم بوطنٍ أفضل، وليس غابة وإن كانت عادلة.

أنهت غادة قراءة المقالة، وسرحت بعدها لدقائق، وعندما أفاقت نظرت لحسن بدهشة، ثم بخجل، لتركها إياه كل هذه المُدة دون Interview أو اعتذار. ابتسم حسن وأشار للقهوة التي لم تلحظ وصولها، وقال:

- قهوتك هتبرد.

ابتسمت بارتباك، وأعادت خصلة من شعرها خلف أذنها اليمنى، وقالت:

- معلش يا أستاذ حسن.. سامحني.. بس القضية دي أصلها شاغلاني جدًا.

- شاغلاكي إزاي؟

مدّت يدها للقهوة ورشفت منها رشفة سريعة، وقالت:

- مش عارفة.. بس مش متطمنة ومش فاهمة حاجة.

سألها حسن:

- إيه رأيك في وجهة نظر مجدي كارم؟

قالت باندفاع:

- مش مقتنعة بيها طبعًا.. هو إيه اللي حد غيره هو اللي قتل؟ ده كده بيحاول ينفي التهمة عن السفاح ويعمم الإشتباه.

أدركت بعدما أنهت الجملة أنها ما كان يجب أن تندفع هكذا، خاصة أمام غريب تقابله للمرة الأولى، وخاصة أيضًا أنها تهاجم مديرها ووالدها الروحي في مهنة الصحافة، فصمتت ونظرت لقهوتها وملامحها تحمل كل ضيق الدنيا. لاحظ حسن ضيقها، فاعتدل في جلسته، واقترب بوجهه منها وقال بصوتٍ هادئ:

- ممكن ما تزعليش من نفسك كده؟ إنتي ما قولتيش أكتر من وجهة نظرك.. وده حقك.. زي ما مجدي بيعمل بالظبط.. مالك بقى مخنوقة من نفسك كده ليه؟

نظرت له غادة لثوانٍ، وكأنها تسأل نفسها عن إمكانية الفضفضة معه فيما تحمله من همّ، ثم هربت منه لقهوتها مُجددًا. أراح حسن ظهره على كُرسيه، وهو ينظر لها بتركيز، وأعاد المشهد في باله منذ جلسا حتى هذه اللحظة، ثم ابتسم وقال:

- غادة.. إسمحيلي اقولك يا غادة. فابتسمت وأومأت برأسها إيجابًا، ورشفت رشفة من القهوة، فأكمل:

- إنتي شاكّة إن مجدي كارم على علاقة بالقاتل أو يعرفه وعلشان كده كتب

مقالة النهاردة ينفي فيها عنه التهمة.. مش كده؟

نظرت له غادة بدهشة لثوانٍ، وتجمّعت دموع داخل عينها الجميلة، وكأن شكواها ترفض أن تظل داخلها بعد أن شعر بها أحدهم. تأثر حسن بدموعها، فاقترب منها وقال باهتمام:

- في إيه بس؟ مالك يا غادة؟

صمتت لثوانٍ في محاولة يائسة للسيطرة على انفعالاتها، ثم اندفع منها الكلام، كخيل السباق عند سماعها رصاصة الانطلاق:

- أستاذ مجدي ده صاحب فضل كبير عليا.. يمكن أكتر من أهلي.. بس من كام يوم وانا بعمل معاه Interview هاجمني بشدة لمجرد إني لمّحت لبشاعة السفاح.. غلط فيا وشكك فيا كصحفية.. ودافع عنه باستماتة كأنه أخوه أو يعرفه. مسحت دموعها التي خرجت باندفاع أكثر من الكلام، بعد أن صمتت عن هذا الحِمل منذ السبت، ولم تستطع تحمله أكثر من ذلك. أخرجت منديل من حقيبتها، ومسحت وجهها، وبدأت تعيد السيطرة على انفعالها، ثم نظرت لحسن بخجل، وقالت:

- مش عارفة أعتذر لك إزاي.. بس كنت مخنوقة.. من فضلك إعتبر اللي حصل ده ما حصلش.

- مفيش داعي للاعتذار خالص.. إحنا بشر.. على فكرة.. من وقت للتاني البني آدم بيحتاج حد يشيل معاه شوية.. ده العادي.. مش حاجة نعتذر عنها.. ومن فضلك بقى إسمحيلي أشتكيلك أنا كمان.. وأنكد عليكي أنا كمان زي ما نكدتي عليا.. ممكن؟

ضحكت غادة ضحكة سريعة، بعد ما شعرت بارتياح لأسلوب حسن، الذي أخرجها تمامًا من حالة الضغط التي كانت بها منذ أيام، وقالت:

- يا ريت.. علشان ما أفضلش حاسّة بالذنب.

- النهاردة شوفت كابوس كان بقالي سنين كتير مش بشوفه.. من بعد ما ماتت مراتي وانا فضلت أشوف الكابوس ده.. إني بقتل نفسي بنفس طريقة السفاح.. وبحمّل نفسي مسؤولية موتها.. وبعد فترة روحت لدكتور نفساني فسّر ده بإني حاسس بالتقصير لإني ما كنتش جنبها علشان أحميها.. وأخدت أدوية وبقيت تقريبًا مُدمنها.. وبعد فترة وقفت مع نفسي وبطّلت الأدوية وتدريجيًا الكوابيس اختفت.. النهاردة رجعت شوفت الكابوس تاني لأول مرة من سنين.. غالبًا علشان القضية اتفتحت تاني.. شوفتي بقى إنك حالتك أحسن كتير من غيرك؟

ظهر التأثُر على ملامح غادة جليًا، ولم تعرف ماذا تقول، فأكمل حسن:

- أنا قبلت الواقع الحمد لله يا غادة.. ومش محتاج تعاطف ولا شفقة.. ربنا ما بيظلمش حد.. أنا بس حبيت أشاركك زي ما شاركتيني.

ابتسمت غادة له بصِدق، وقالت:

- شكرًا يا حسن.. إسمحلي أقولك حسن.

أومأ برأسه موافقًا، وقال:

- شكرًا على إيه؟

- علشان إنت ما كنتش مضطر تعمل اللي عملته ده علشان تخفف عني..

بس إنت عملت كده علشان تحسسني إن إحنا زي بعض.. فتخفف عني.. وفعلًا نجحت في كده.. بس أنا عندي سؤال مهم جدًا.

ابتسم وقال:

- خير.

- إنت عرفت منين إن أنا بشُك في مستر مجدي إنه يعرف السفاح؟

- من ساعة ما شوفتك الصبح وباين عليكي القلق و قِلة النوم.. بس ده أنا توقعت إن سببه القضية الكبيرة اللي إنتي شغالة عليها.. لكن لما سألتك رأيك في نظرية مجدي بافتراض إنك قريتي المقال.. لقيتك إتاخدتي.. ونسيتي أصلًا إني قاعد قصادك.. وقريتيها مرتين. اتسعت عينا غادة بدهشة رغمًا عنها. فأكمل حسن بعدما أدرك صِحة تحليلاته كالعادة:

- ودي بصراحة غلطة ما تغلطهاش صحفية شاطرة زيك.. وأنا عرفت إنك شاطرة لأنك لو مش شاطرة كان لا يمكن مجدي يسيبلك القضية دي تشتغليها.. التفسير الوحيد اللي يفسر اهتمامك بكلام مجدي أكتر من حوارك معايا هو إنك منتظرة منه حاجة مُحددة.. ولما سرحتي بعد المقالة.. كان باين جدًا على ملامحك خيبة الأمل.. وبالتالي إتأكدت إنك ما لقيتيش اللي كنتي مستنياه.. وفي الحالة دي إنتي كنتي مستنياه يهاجم السفاح ليطمئن قلبك.. بس بعد طرح نظريته دي إتأكِدِت نظريتك وزاد شكِّك فيه.. وما إحتجتش أنا أكتر من سؤال "إيه رأيك؟" علشان تقولي إنتي بنفسك إنه بينفي التهمة عن السفاح.. بس كده.

كان الذهول قد تملك من غادة، تنظر لحسن بانبهار، وبعد ثوانٍ من الصمت، قالت:

- أنا بعد كده أخبي وشي وانا بتكلم معاك بقى.

ضحك حسن وقال:

- هعرف برضو اللي عايزه من صوتك.. وبعدين أصلًا تخبي ليه؟ مفيش حاجة تستاهل تستخبى.. الكلام بيريّح.. إسأليني أنا.

- عندك حق فعلًا.. متشكرة بجد.

اعتدل حسن ونظر لغادة في عينيها وسأل باهتمام:

- بس إنتي مش شايفة إنه من الظلم إنك تشُكّي في مجدي لمُجرد إنه دافع عن السفاح؟

- أنا مش مرتاحة من ساعة ال Interview.. من ساعتها وهو بيعاملني رسمي.. وكأنه بيوصلّي رسالة.. مش عارفة يقصد إيه.. أو بيعمل كده ليه.

فكر حسن لثوانٍ، ثم قال:

- عمومًا.. أحسن طريقة تحسمي بيها الشكّ ده.. علشان تقدري ترجعي لطبيعتك تاني.. هي إنك تواجهي مجدي بشكوكِك.. وهو اللي هيحدد بِرَدّ فعله إن كنتي هتتأكدي إنها مُجرد شكوك.. ولا هيزيد اقتناعك إنه مش تمام.

ردّت غادة باستنكار واضح:

- نعم؟!!! إنت أكيد بتهرج.. بقولك كان هياكُلني لمُجرد إني قُلت على السفاح

كلمتين.. أروح أواجهه؟!! أنا عمري ما شُفته كده.. ده بجد كان مش طبيعي.

- مش يمكن علشان هو مقتنع بتجربة السفاح.. وبيدافع عنها.. أقصد عن فكرة إن يكون عندنا Vigilante.. مش لازم يكون يعرف السفاح شخصيًا.

نظرت له غادة ثواني لتقيّم تحليل حسن، ثم قالت:

- منطقي.. ممكن يكون بيدافع عن الفكرة.. مش الشخص.. ولا عن أساليبه.

سرحت غادة لثوانٍ، في محاولة لإقناع نفسها بنظرية حسن، فهي تتمنى أن يكون على حق، وأن يكون اختلافها مع رئيسها في وجهات النظر، وليس أخلاقيًا كما تظُن. ثم قالت فجأة:

- إيه ده؟!! الوقت سرقنا وما عملناش أي حاجة.. ينفع كده؟ ونظرت لحسن بابتسامة وهي عاقدة حاجبيها في تمثيل للغضب، مما زادها جمالًا. نظر لها حسن متسائلًا، فمدّت يدها للمُسجل، ولكن سبقتها يد حسن إليها، بعدما أدرك نيّتها، فنظرت له بنظرة تساؤل، فقال بهدوء:

- عايز أصارحك بحاجة.. بس يا ريت ما تزعليش.

- خير. قالتها بتوجُس.

- أنا اصلًا مش موافق أعمل Interview مع الجرنان.. بس وافقت أقابلك علشان كنت عايز أتعرف عليكي.

نظرت له غادة وملامحها تجمع بين الاستغراب والتساؤل، وقبل أن تتكلم، أكمل حسن:

- إنتي زي القمر آه.. بس ما تفهمينيش غلط.. أنا ما كنتش عايز أقابلك عشان كده.. أنا بصراحة يا غادة بدوّر على اللي قتل تذاكر.. ومحتاج كل مساعدة ممكن أوصل لها علشان أعرف مين هو.. وإنتي صحفية وليكي مصادرك.. وفي المقابل كل حاجة هوصل لها إنتي أول حد هيعرفها.. تبادل منفعة يعني.. إنتي مش خسرانة حاجة.

كانت غادة تنظُر له وبوادر غضب تلوح على أُفُق ملامحها، لاحظها حسن بالطبع، فقال:

- أنا آسف لو ضايقتك.. بس صدقيني أنا مبسوط إني كدبت عليكي علشان أقابلك.. مش ندمان. قالها وابتسم لها، حاولت هي أن تمنع نفسها من الابتسام ولكنها فشلت، فالتقطت قهوتها لتداري ابتسامتها. لاحظ حسن محاولتها الفاشلة في التماسُك، وهروبها منه بادّعاء الانشغال بقهوتها، فاحترم خجلها ونظر بعيدًا لثوانٍ حتى تمر موجة الخجل دون إحراج.

بعد دقائق من الصمت، قالت غادة بصوتٍ جاهدت لتجعله طبيعيًا في محاولة منها لتغيير الموضوع:

- طب ماشي.. أنا مش زعلانة.. بس عندي كذا سؤال محتاجة أعرفهم.. ومش علشان الجرنان.. ده ليا أنا. ثم تداركت نفسها، وقالت:

- كمُحققة في القضية يعني.. لو... لو مفيش عندك مانع.

ابتسم حسن عندما لاحظ ارتباكها الواضح، وقال:

- إسألي اللي إنتي عايزاه يا سيادة المحققة.

قالت بجدية مُصطنعة:

- ماشي.. إتريق إتريق.. س سؤال: هتعمل إيه لما تعرف إن شاء الله القاتل؟

- ج جواب.. هقولك عليه.. وهبلغ الشرطة.

عقدت حاجباها وسألت بجدية و لكن غير مصطنعة هذه المرة:

- امممم.. س سؤال: إنت ليه إتقبض عليك زمان واشتبهوا فيك إنك السفاح؟!!

كسَت الجدية ملامح حسن، واعتدل في جلسته، وظهر الضيق على ملامحه، فلاحظت غادة، وقبل أن تنطق، لاحظ حسن ضيقها بسبب ضيقه، فقال وهو يشير بيده:

- أنا ما إتضايقتش من السؤال.. بالعكس.. كل الحكاية إن دي فترة من أصعب الفترات اللي مرّيت بيها في حياتي.. وطبيعي سيرتها بتجيب معاها ذكريات.
ثم أخذ نفس طويل وأخرجه بتنهيدة مماثلة، وأكمل بصوتٍ حزين:

- ج جواب.. اللواء مصطفى ما إشتبهش فيا إني السفاح على فكرة.. هي بس الجرايد اللي كتبت كده ساعتها.. شغل جرايد يعني.. الاشتباه كان إني قتلت دكتور.. بنفس طريقة السفاح علشان السفاح اللي يلبسها.. وطبعًا حصل اللي حصل.

كانت ملامح غادة تكسوها الشفقة، وقالت بصوتٍ خرج منها ضعيف:

- وكان إيه سبب الاشتباه فيك من الأساس؟

- إني إتخانقت مع الدكتور ده ليلة ما اتقتل.. ماهو العيادة بتاعته في نفس العمارة عندي.. بس كده. قالها وأشاح بنظره بعيدًا، وكأنه ينظُر لأفُقِ ذكرياته، ليخفي عن غادة ضيقه الشديد.

احترمت غادة صمته، وضيقه، وجلست صامتة، حتى قطع صمتُهم عم عِفت الذي جاء ليأخذ الأكواب الفارغة، وقال بودِ:

- تحب يا حسن بيه أجيب لسعادك منيو الغداء؟

نظر له كل من حسن وغادة، ثم نظر كل منهما لساعته، ثم نظر كل منهما للآخر بذهول، وكأنهما شخص واحد وانعكاسه في المرآة، ثم ضحكا بعدما لاحظا ما حدث. شعر عم عِفت أنه لا وجود له في المشهد، فانسحب دون الحصول على رد، فقام حسن وناداه:

- عم عِفت.. شكرًا.. إحنا مش هنتغدى.. كتر خيرك. وأعطاه حساب القهوة.

اعتدل في اتجاه غادة، ليجدها تجمع أدواتها وتضعها بالترتيب داخل حقيبتها، فاقترب منها وقال:

- أنا عزمتك على القهوة.. وموافق إنك ترُدي لي العزومة وتعزميني على الغداء علشان ميّت من الجوع.. هتعزميني فين؟

نظرت له وعقدت حاجبيها وابتسمت، ثم نظرت لحقيبتها، وأعادت خصلة من شعرها خلف أذنها اليمنى، وأكملت ترتيبها حتى لا يلاحظ ملامحها، وقالت:

- إيه التدبيس ده؟

فضحك حسن، وقال:

- إنتي لسة شوفتي حاجة؟

غادرا المكان، ونظرات عم عِفت تلاحقهما، وهو مبتسم بسعادة واضحة.

(24)

عصر الثلاثاء 17 ديسمبر 2013

وصل حسن وغادة إلى مطعمها المُفضل، المُطِل على النيل. قالت غادة بمجرد جلوسهم في الشرفة الخارجية، غير المغلقة، بناءً على رغبة حسن:

- إنت بتدخّن.. صح؟

- لأ الحمد لله.. إشمعنى؟

- علشان اخترت تقعد برة يعني في البرد ده.

- لو بردانة تعالي ندخل جوا.. أنا بس بحب البرد.. مش بيضايقني.. فلما سألتي نقعد فين.. قولت اللي بحبه.

ابتسمت وقالت:

- لأ مش بردانة.. أنا كويسة.

ابتسم حسن ونظر لها مُضيّقًا عيناه، وسأل:

- بتضحكي ليه؟

اتسعت ابتسامتها رُغمًا عنها، وأرجعت خصلة من شعرها خلف أذنها اليمنى، ونظرت للمائدة، وقالت:

- أصل أنا كمان بحب البرد.

ثم نظرت ناحية اليمين للنيل، الذي تعشقه، هربًا من عيناه، حتى لا يلحظ إعجابها به، الذي لا تجد له تفسيرًا منطقيًا، فهي لا تعرفه على الإطلاق، والأدهى أن كل ما تعرفه عنه، أنه كان مُتهمًا في قضية قتل، وأنه مريض نفسي، أو كان، ولكن بالتأكيد ما تعرض له قادرًا أن يجعل من أي شخص سَويّ مهما كانت قوة تحمله مريضًا نفسيًا، أو على الأقل، مجروح جرح يصعُب حتى على الزمن مداواته. ولكنها برغم كل هذا، شعرت مذ قابلته أنه شخص سويّ لأقصى درجة، ذكي لدرجة مُبهِرة، خفيف الدم، حنون، يحمل بداخله الدرجة المثالية من الحزن والغموض، التي تجعل منه شخصية جذابة غير كئيبة أو منطوية.

نظر لها حسن لثوانٍ وهي تنظر إلى النيل، ثم توجه للنيل هو الآخر في حالة اعتراف صامت، كان يشعر أن ما يدور في عقل غادة في تلك اللحظات يتعلق به، حدسه في الغالب على حق، لم يحاول إنكار سعادته بأنه مازال قادرًا على لفت نظر فتاة على قدر مُلفِت من الجمال والذكاء والنجاح له، ولكن هل لفتت هي نظره كما فعل معها؟ هو واثق أن مشاعره أصبحت غير قابلة للتحفيز، ولكن هناك احتمال أن يكون غروره هو الذي يرفض الاعتراف بإعجاب بدأ ينمو بالفعل داخله، وإن كان هو فعلًا شخص غير قابل للشعور تجاه أي فتاة بأي شيء كما يدّعي سِرًّا، فبما يُفسر تفكيره بها حاليًا وهو ينظر إلى النيل؟!! صديقه الصامت...

قطع تفكيرهما النادل، فالتفتا له وطلبا ما يريدان، ثم قال حسن، بجديّة، وكأنه ينفي عن نفسه تهمة الإعجاب بغادة:

- طب نتكلم في الشغل بقى؟

اعتدلت غادة وأخرجت من حقيبتها كراستها، وفتحتها على صفحة بيضاء، وكست الجدية ملامحها من جديد، حيث أن عملها طالما كانت تعتبره الأهم في حياتها، وإعجابها غير المُفسر بحسن لم يستطع - بعد على الأقل - تغيير هذا المبدأ، وقالت:

- إنت رأيك نبدأ منين؟

- لازم نكمّل معلومات بعض.. ها؟ إنتي تعرفي إيه عن القضية غير اللي نزل في الجرنان؟

فكّرت لثوانٍ، ثم قالت:

- مفيش غير حكاية مستر مجدي.

- أنا وصلت لمعلومات كتير مش موجودة حتى عند الداخلية.. ومحتاج أشتغل على كذا محور في نفس الوقت.. ودي إنتي هتساعديني فيها بشكل كبير.. بس عايزك توعديني إنك ما تنشريش إلا اللي نتفق عليه إنه ممكن يتنشر الأول.. علشان مش عايزين نكشف أوراقنا كلها للقاتل في الجرنان.. هنبقى كده بنشتغل لحسابه.. ممكن؟

صمتت لثوانٍ، ثم قالت:

- أوعدك.. بس إنت برضو تراعي إن أنا أصلًا صحفية.

- الصحفي مش مُجرد ناقل أخبار يا غادة.. إنتي مُحققة دلوقتي.. إنتي ممكن تكوني السبب في حل قضية ممكن من غيرنا ما تتحلّش أو تتقفل زي اللي قبلها ضد

مجهول.. وبعدين أنا مش ممكن أكون شايف إن ليكي مصلحة في حاجة وأرفض تعمليها.. إتطمني. قالها وابتسم ليُطمئنها، ونجح في ذلك.

جاء النادل بالطعام، فقال حسن:

- سيبك من الشغل دلوقتي.. أنا هموت من الجوع.. نخلّص أكل وبعدين أحكيلك على اللي وصلت له.

- ماشي كلامك.. أنا كمان بصراحة نفسي مفتوحة النهاردة.

ابتسم لها حسن وقال:

- بالهنا.

ابتسمت له وقالت:

- إنت صحيح بتشتغل ولا إيه نظامك؟

فنظر لها حسن صامتًا لثوانٍ بوجهٍ جامد، فتوقفت غادة عن الأكل وهي تنظر له بقلق، وقالت:

- آسفة لو كنت بتطفل على حاجة شخصية.. أنا بس مش بعرف آكل وانا ساكتة.

فضحك حسن، وقال:

- أنا بَخُضِّك بس.. حبيت أشوف قلبك جامد ولا خفيفة.. طلعتي على نياتك خالص.

عقدت حاجبيها وهي تبتسم وظهرت ملامح الارتياح على ملامحها، وقالت:

- تصدق كده عيب؟ أنا افتكرتك قفشت فعلًا.

- لأ خُدي على كده.. أنا غير متوقع بالمرة.. إتعوّدي لو ناوية تكمّلي معايا.

قالت بدون تفكير:

- ناوية. قالتها ونظرت لطبقها وهي تبتسم.

ابتسم حسن، ثم قال دون أن ينظر لها:

- أنا من يوم ما نادية الله يرحمها ماتت وانا بيعت كل ما أملُك وسيب الشغل.. عندي ورث وفلوس كتير ما أعتقدش هعيش لحد ماشوفها بتخلص.. وما عنديش أي نِفس يزيدوا بصراحة.

- بس الشغل مش بيكون علشان الفلوس وبس.. مش متفق معايا في كده؟

- أنا شخصيًا شايف إن دي حاجة بتختلف من شخص لشخص.. وكل واحد ظروفه بتأثر في طموحاته وأحلامه.. أنا كنت يوم من الأيام زيّك كده.. لحد ما حصل اللي حصل وفقدت كل رغبة في تحقيق أي حاجة.

توقفت عن الطعام، ونظرت له بحُزن وتعاطُف، فابتسم وقال:

- ما تزعليش قوي كده.. صدقيني يا غادة أنا مرتاح كده.. مش من النوع اللي خلاص فقد الأمل في الحياة وعايز يموت وكده.. لأ خالص.. بالعكس.. أنا بس مفيش حد في حياتي يشاركني تحقيق أي حلم.. وبالتالي بطلت أحلم.

هزّت غادة رأسها في علامة على فهمها لشعوره، وسألت وهي تحاول أن تتحاشى النظر له:

- يعني لو إتوجد شخص في حياتك يشاركك أحلامك.. هترجع تحلم؟

ابتسم هو الآخر، ونظر لها ولكنها لم تنظر له، فقال بهدوء:

- غادة. حتى تنظُر له.

فنظرت إلى عينه بنظرة ثابتة كلها تساؤل، فأكمل:

- آه.. هرجع أحلم تاني.

تملك منها الخجل، ولكنها لم تحاول أن تتحاشى النظر له مثلما تفعل كل مرة، ربما بسبب نظرته التي أجبرتها على مواصلة التحديق به، وربما بسبب أنها أرادت أن تتأكد من صدق كلامه، أو مشاعره، إن وُجِدت. ولكن الحقيقي والثابت أنها أرادت أن ترى عيناه وهو يُحدثها عن نفسه.

بعد صمتٍ طال لنصف دقيقة كاملة، وهي مازالت لا تستطيع أن تحوّل نظرها عنه، وهو كذلك، قالت بصوتٍ خرج ضعيف مليء بالأنوثة رُغمًا عنها:

- طب مش هنتكلم في الشغل بقى؟ اليوم قرّب يخلص.

قال وهو يمسح يداه:

- يللا بينا.. جاهزة تسمعي الشغل اللي بجد اللي عملته؟

أخرجت كراستها وقلم من الحقيبة مرة ثانية، وقالت بجدية:

- جاهزة.

قال بهدوء لا يتناسب مع المفاجأة التي ألقاها:

- سفاح الأرقام ما قتلش تذاكر.. ده حد بيقلده فعلًا زي ما مجدي بيقول.

تركت القلم، ونظرت له في محاولة للتأكد من جدية كلامه، وقالت:

- ده بجد ولا حركة من بتوعك؟

- لأ بجد.. وطالما بنتكلم في الشغل مش ههزر.. إتطمني.

ثم اعتدل وقال:

- ببساطة أي حد يشوف الموضوع بتركيز هيلاقي إن لا يمكن يكون السفاح هو اللي قتل.. أنا روحت المشرحة وشوفت جُثث داليا وتذاكر بنفسي.. كان في دم على ضوافر داليا المفترض إنه من تذاكر وهي بتقاومه.. لكن لما شفت جثة تذاكر ما لقيتش فيها أي علامة خربشة ضوافر خالص على جسمه وده مش منطقي؟ وبعدين تاني حاجة.. المُدخن عمومًا أول حاجة بيعملها بعد ما يتعرض لموقف صعب بيولع سيجارة.. وعلبة السجاير اللي متحرزة كانت تقريبًا مليانة.. معقول تذاكر بعد ما خرج من بيت داليا بافتراض إنه قتلها.. دوّر على سجايره ما لقاهاش وما إفترضش إنها وقعت منه عندها؟ معقول واحد بالذكاء اللي يخليه يدخل بيتها وما يسيبش بصمة واحدة بس عليها أو على أي حاجة في شقتها.. يكون بالغباء اللي يخليه يسيب احتمال إن سجايره تكون عندها وعليها بصماته؟

كانت غادة تكتب مُلاحظات في كراستها وتتابع ما يقوله حسن بانبهار واضح، الذي أكمل:

- غير كل ده.. أنا قابلت كربونة صديق عمر تذاكر.. وأكّد لي إن في حد كان عايز تذاكر في شغل.. ووعده بمبلغ كبير بعد ما يخلصه واشترط عليه إنه يسيب

تليفونه وهو رايح يعمل الشغل ده.. وده من وجهة نظري كمين.. مش عقد عمل أبدًا.. والدليل إنه إتقتل.

توقف ليشرب بعض الماء، فانتهزت غادة الفرصة وسألت:

- إنت عندك معلومات كافية عن قضايا السفاح القديمة؟

- حافظها وعندي في البيت تفاصيل كل قضية بالحرف.

- لازم أبقى اشوفها.. علشان هتساعدني في التحقيق ومقالاتي.. لو تسمح يعني.

- مفيش مشكلة.

- طب بخصوص القضية دي.. كلامك منطقي فعلًا.. بس دي كلها تحليلات تنفي التهمة عن السفاح.. مفيش عندك نظرية مين اللي عمل كده أو ليه و نعرفه إزاي؟

- بالظبط.. هو ده اللي أنا بعمله من أول يوم.. مين اللي له مصلحة في موت تذاكر؟ ووصلت إن محدش له مصلحة في موت واحد زي ده إلا بلطجي زيه إتخانق معاه مرة.. وده ما عندوش العقلية ولا الإمكانيات اللي تسمحله يعمل كل ده.. وده وصّلني لنتيجة إن الحكاية كلها إتعملت علشان موت داليا مش تذاكر.. داليا تتقتل والقضية بتاعتها تتقفل.. وفي نفس الوقت يحصل حدث كبير وهو "عودة السفاح" اللي يغطي على قضية داليا.. اللي الداخلية هتفترض إنها محلولة وتركز في البحث عن "السفاح".

قالت غادة بانبهار لم تُخفِه:

- يا ولاد الصايعة.

ابتسم حسن، وأكمل:

- ومن هنا.. بقيت مركز في محاولة اكتشاف مين اللي وجود واحدة زي داليا بيهدده؟ وده اللي محتاج مساعدتك فيه.

هزت رأسها في علامة على استعدادها، فأكمل:

- القصة ابتدت من عند واحدة صاحبة داليا.. وأظن هي مفتاح القضية أصلًا مش داليا.. اسمها هبة.. هبة كانت عايشة في القاهرة.. وداليا لجأت لها لما خالتها اللي كانت عايشة معاها سافرت.. وهبة هي اللي جابت شغل لداليا في مستشفى الكرامة.. ودي تبع نفس المجموعة اللي تبعها مستشفى التكامل اللي بتشتغل فيها هبة.. وكانت صاحبتها الوحيدة في القاهرة.. هبة فجأة وبدون سبب أو حتى استقالة.. سابت القاهرة ورجعت بلدها أول ديسمبر.. وبعدها تقريبًا بإسبوع غرقت في النيل.

اتسعت عينا غادة في خوف واضح، بغير قدرة على التعليق، فهي لم تتوقع أن تتخذ القضية هذا الشكل فجأة، فأكمل حسن:

- وطبعًا أهلها ما فكّروش في التشريح وبالتالي القضية اتقفلت في ثواني بدون شوشرة.

قالت غادة بصوتٍ خفيض، بعدما تملك منها شعور بأنها مُراقبة كما يحدث في الأفلام التي تتذكرها:

- مش ممكن تكون دي صدفة طبعًا.

ابتسم حسن من طيبتها، وقال:

- لأ طبعًا.. اعتقد إن التفسير المنطقي بيقول إن التهديد الحقيقي للقاتل كان من هبة مش داليا.. وهي كانت خايفة من حاجة علشان كده سافرت البلد.

- طب وقتل داليا ليه؟

- أفتكر إن كونها صاحبتها الوحيدة.. ده منطقيًا معناه إنها كان عندها معلومات من هبة تهدد حد.. أو هبة سابت لها ورق.. معرفش.. بس اللي متأكد منه إن هبة رجعت البلد فجأة علشان خايفة من حد.. والحد ده هو اللي قتلها وقتل داليا وقتل تذاكر.

صمتت غادة لثوانٍ، في محاولة منها لاستيعاب كل هذا الكمّ من المعلومات الخطيرة، ثم قالت:

- وليه ما تقولش إن الحد ده هو اللي خلّى تذاكر يقتل داليا.. وبعدين قتله؟

- هو وارد طبعًا.. بس أنا حاسس إن عملية قتل هبة وداليا اللي عملها محترف.. مش بلطجي وشمّام.

- ودلوقتي إحنا محتاجين نعرف هبة كانت خايفة من إيه.. أو من مين.

- بالظبط كده.. عايزك تنزلي مستشفى التكامل اللي هبة كانت شغالة فيها.. كإنك صاحبتها.. وحاولي تعرفي أي حاجة.. أي حاجة يا غادة.. وأنا من ناحيتي لو وصلت لأي حاجة هقولك.

- طب وبالنسبة للنشر؟

- أنا شايف إنك تبتدي تطرحي نظرية إن مش السفاح هو اللي عمل كده.. يمكن ده يكون سبب في خروج الطرف التاني عن شعوره.. ويتسبب في إنه يغلط.. بس بلاش سيرة هبة خالص دلوقت.

فكّرت لثوانٍ ثم قالت:

- إنت صح.

ثم أغلقت كراستها، ووضعتها داخل حقيبتها، ثم نظرت لساعتها وقالت:

- أنا للأسف مضطرة أمشي.

أشار حسن لل Waiter، ليحضر فاتورة الغداء، وقال:

- هنبقى على اتصال.. وياريت تخلي بالك من نفسك.. الناس اللي بندوّر وراهم قتلوا ثلاثة فعلًا علشان يخبّوا حاجة إحنا بنحاول نكشفها.. مفيش هزار.

ابتسمت له وأومات برأسها أن "حاضر"، ثم قالت له وهو يأخذ الفاتورة من النادل:

- مش إنت قلت أنا اللي عازمة؟

فقال وهو يضحك:

- وانتي بتصدقي أي حاجة بتتقالك كده؟ مش بقولك على نيّاتك؟

(25)

الأربعاء 20 سبتمبر سنة 2005

يجلس حلمي التُهامي على القهوة التي اعتاد أن يقابل فيها صديقه منصور كلما سمحت ظروف عمل كل منهما أن يتقابلا. يصل منصور يحمل ابتسامته المُعتادة. يقابله حلمي بابتسامة، ويترك الشيشة التي كان يدخن "حَجَرها" الرابع ويُسلم على صديقه بودِ، ويسأله:

- تشرب إيه ياض يا صرصور؟

أجاب منصور بصوتٍ عالٍ، ليسمع عامل النصبة:

- شاي تقيل يا سيكا يسهّرني لبكرة.

ثم نظر لحلمي وقال بصوتٍ خفيض، في رغبة منه ليداري على شمعته حتى تقيد:

- جبت ورقة "بنج" بـ 25 جنية يا حلمي.. شومة بنت الجزمة.

ملحوظة: "بنج" هي الإسم الحركي "للبانجو" المتفق عليه بينهم.

قال حلمي باستنكار واضح، وخرج صوته عاليًا:

- 25 جنيه يا خبوء؟ دا أجدعها ورقة فيكي يا بلد ب١٥ جنيه.

نظر حلمي حوله، ثم نظر لصديقه بلومٍ واضح:

- وغلاوة أمك عندي لولا إنت صاحبي ما كنت دوّقتك منّها.. يابن الغشيمة دا اسمه "الشبح".. الورق لونه إسود مش أخضر زي اللي موجود.. أنا جيبتلك نُصّها معايا.. ومش عايز منك فلوس إلا لما ترجع.. إنت طالع فين الفجر؟

- عندي نقلة مطروح.. طريق طويل ومش عايز أجرب حاجة تفصلني.

- عيب عليك.. الشبح هيركبك طول السكة.

وضحكا بصوتٍ عال.

خبر في صفحة الحوادث

بتاريخ الجمعة 22 سبتمبر سنة 2005

مقتل عائلة كاملة في حادثة سير، حيث خرجت سيارتهم من الطريق الأسفلتي، وانقلبت على جانب الطريق عدّة مرات. شهادات الشهود أكّدت أن السبب كان خروج سيارة نقل من الطريق العكسي، وقطعها الطريق أمام سيارة العائلة، مما دفع السيارة للخروج عن الطريق في محاولة لتفادي سيارة النقل، ولكن السيارة الصغيرة كانت أضعف من أن تقوم بتلك المناورة المفاجئة فانقلبت.

تقوم الشرطة بالبحث عن سائق سيارة النقل المتسببة في الحادث، مُستعينة فقط بأوصاف السيارة غير المؤكدة، حيث أن الرؤية كانت صعبة في وقت الحادث، بسبب الظلام والضباب الكثيف.

(26)

غروب الثلاثاء 17 ديسمبر سنة 2013

يقود حسن سيارته في اتجاه عبد المنعم رياض، كلما يقف به الطريق، يهرب من زحامه بالنظر للنيل. حالته المزاجية في أفضل حال، يبدو متفائلًا وسعيدًا، وهو الذي لم يعتد تلك الحالة منذ سنواتٍ عديدة. فمنذ تعرُفه على عصام، ومقابلاتهم التي تكررت، وقد بدأ تدريجيًا في الخروج من حالة التقوقُع التي لازمته منذ مقتل زوجته، وها هو اليوم يقابل فتاة جميلة وذكية وناجحة، ويشعر أنها مُعجبة به، وبالتأكيد هذا كفيل بإضافة بعضًا من البهجة وألوان الفرح إلى نظرته للحياة، ولو لبعض الوقت، حتى وإن كان مازال مُصِرًّا على اعتبار نفسه خارج نطاق الخدمة، فيما يخُص العلاقات العاطفية بعد رحيل زوجته التي كان يعشقها وتعشقه.

أمسك حسن هاتفه وطلب رقم عصام، وقال بعد سماع صوته:

- أنا فاضي النهاردة.. كالعادة يعني.. ما تيجي نتقابل.. لو فاضي.. أو مزنوق في قضية أحلّها لك.

- هاهاهاها.. لأ أنا تقريبًا مفيش ورايا غير السفاح اللي مش هيتمسك أصلًا.. باين كده.

- زي الفل.. إنت فين؟

- في القسم.. نُص ساعة وهكون مخلّص.

- خلاص إديني ساعة هكون عندك إن شاء الله.. علشان الشارع زحمة شوية.. يمكن في شوية قلق في الجامعات أو حاجة.. سلام.

مدّت غادة يدها للمقعد المجاور لها، فتحت حقيبتها وعبثت بمحتوياتها للوصول للهاتف دون أن تضطر لأن تحوّل نظرها عن الطريق. وجدت هاتفها أخيرًا، أخرجته واتصلت بصديقتها الوحيدة نورهان:

- نونو.. تقدري تعدّي عليا في البيت النهاردة؟

- أقدر.. بس اشمعنى؟

- لما نتقابل بقى.. هكلمك لما أقرب.. هحاول ما أتأخرش.

- بعد ما سمعت صوتك ده مش هنام ولو جاية الفجر.. بس وحياتي عندك تقوليلي الموضوع عن إيه؟

- يا بنتي مفيش حاجة.. عايزة أتكلم معاكي شوية.

- كده أنا إتأكدت.. اسمه إيه طيب؟

- إقفلي يا مصيبة.. مش عايزة منك حاجة.. نامي.

- خلاص هستناكي هستناكي.. هتوصلي البيت تلاقيني مع طنط أصلًا.

- سلام. قالتها وأغلقت الخط وهي تبتسم بسعادة.

يقف حسن وعصام حيث اعتادا، في منتصف كوبري قصر النيل، ينظُران للنيل في صمت، وكلًا منهما يخوض حواره الخاص مع النيل، الذي يتسع صدره للكل، ولا يكل من شكواهم.

يقطع عصام الصمت بصوتٍ خفيض، وكأنه يحاول ألا يُخرج حسن من حالة التواصل التي تبدو عليه:

- مش هتقولي مالك النهاردة؟

نظر له حسن لثوانٍ بملامح شاردة، وقال:

- مالي؟

- مش هنا خالص من ساعة ما إتقابلنا.

- لأ أنا هنا.. بس متلخبط شوية.

اعتدل عصام وواجه حسن، وقال:

- إيه يا عم القضية تقيلة عليك؟ ما قُلت سيبها في حالها.

ابتسم حسن ونظر لعصام لثوانٍ، ثم أعاد نظره للنيل وقال بصوتٍ مهموم وكأنه يعترف بذنب:

- حاسس بنفسي بتغيّر ومش متطمن. صمت لثوانٍ ثم قال:

- مش هتفهمني يا عصام.. ما تتعبش نفسك.

قال عصام وهو يعتدل مُجددًا ليواجه النيل:

- جرّب.. مش إنت بس اللي عندك مشاكل على فكرة.

نظر حسن لعصام لثوانٍ، وكأنه يقيس مدى قدرته على فهم كلامه الذي يريد أن يبوح به:

- أنا زمان يا عصام في سنتين خسرت كل اللي كنت عايش عشانه.. ومن ساعتها حلفت ما يكونش عندي حاجة غالية تاني علشان ما يجيش عليا يوم واجرب شعور فقدانها تاني.

- تمام.

- الموضوع ده استمر كذا سنة.. بس بدأت أحس إنه بيتغيّر.

- إزاي؟ بدأت تكوّن علاقات تاني؟

- بالظبط كده.. وده مخوّفني.. أنا مش حِمل الشعور ده تاني.. المرة دي لو لا قدر الله حصل حاجة زي دي تاني.. هتكسر ومش هرجع سليم تاني.

نظر عصام لحسن، ثم وضع يده على كتفه القريب منه، وقال:

- الإنسان ما يقدرش يعيش منعزل يا حسن.. ولو قِدر لفترة.. مش هيقدر على طول.. ولو فاكر إنك كنت عايش الكام سنة اللي فاتوا تبقى غلطان.

ثم أشار للنيل وقال:

- هي دي العيشة.. إنك تشارك حاجة بتحبها مع صاحب.. إنك تحب وتخاف على اللي بتحبه.. وأحيانًا تتجرح.. هي دي الحياة.. غير كده يبقى موت.

نظر له حسن وقال بصوتٍ مبحوح:

- بس الموت ما بيوجعش زي الحياة.

- بس الحياة تستاهل نستحمل وجعها. قالها وابتسم لحسن، الذي ابتسم بدوره ونظر للنيل من جديد، وكأنه يستشيره فيما قال عصام. ومرّت دقائق من الصمت لم يقطعها سوى الإزعاج الصادر عن المراكب، الذي أصبح سِمة للمكان للأسف.

مر في تلك اللحظات من خلفهما عم حكيم وكان كعادته يتحدث دون توجيه الكلام لأحد:

صحيح بتاخد الدنيا.. لكن بتديلك..

قدّم عشانها خطوتين.. وهي هتجيلك..

لكن تسيب نفسك وتفضل محلك سِر..

لما هتتعب يوم.. ولا حد هيشيلك..

وصلت غادة للعمارة التي تسكنها مع والدتها منذ وفاة والدها. صعدت درجات السلم الواسعة، حيث أن العمارة قديمة، يعود تاريخ بنائها إلى أيام

التصميمات الأوروبية ذات الزخارف على الواجهات، والسلالم الواسعة، والسقف العالي، والشقق ذات الأربع والخمس غُرف. صعدت للدور الأول، وقبل أن تصل يدها المُمسكة بالمفتاح لباب الشقة، فتحت نورهان صديقتها الباب. فزعت غادة وكادت تصرخ، ولكنها أدركت في اللحظة الأخيرة أنها نورهان، فقالت بحدة:

- يخرب بيتك.. قلبي كان هيقف يا جزمة.

ضحكت نورهان بمرح، واحتضنت غادة وقبّلتها، وقالت:

- اللي واخد عقلك.

لكزتها غادة في كتفها، وقالت بشراسة مُصطنعة:

- إهبطي.. إستني في الأوضة.. هجيلك.

توجهت للمطبخ حيث توجد والدتها، التي كرّست حياتها كلها لرعاية ابنتها الوحيدة، بعد وفاة زوجها. قالت غادة وهي تدخل المطبخ:

- يا هدى حرام عليكي مش كده.. ريحة الملوخية جاية الشارع.. الناس هتبُص لنا في اللقمة. ضحكت وهي تحتضن والدتها وتقبّلها.

قالت هدى:

- قلقت عليكي يا بنتي.. كلّمتك في الجرنان ما كنتيش هناك.. وموبايلك غير متاح.

قالت غادة وهي تغادر المطبخ:

- الموبايل ساعات بيسقط شبكة.. مستنية أقبض واجيب واحد جديد..

وبعدين ما تخافيش على بنتك يا هدى.. إنتي مربية راجل.

- ربنا يحميكي يا بنتي.. أصل في التلفزيون جايبين حرق في الشوارع وضرب وقنابل الله يخرب بيوتهم ويحرق قلوبهم كلهم.

- اللهم آمين.. هغيّر هدومي وأحضّر السفرة.

دخلت غادة لغرفتها، وألقت حقيبتها على السرير في إهمالٍ. قالت لها نورهان التي كانت تقرأ بعضًا من المقالات المُعلقة على الحائط:

- أنتي اشتغلتي في المباحث يا بت؟ إيه ده؟ ثم ضحكت بخُبث وأكملت:

- بس وّشك منوّر وخدودك حمرا وحالتك صعبة.. إيه؟ وضحكت وهي تنظر لغادة بنظرة متفحصة.

ألقت غادة بجسدها كله على السرير، ونظرت للسقف وقالت دون وعي:

- مش طبيعي يا نور.. مش طبيعي.. مش عارفة ماله!!

قالت نورهان وقد زالت الابتسامة من على ملامحها، وحلّ محلها الحماس الممزوج باللهفة لمعرفة التفاصيل:

- إنتي اللي مالك؟ إجمدي يا بت مش كده.. الله يرحم زمان كنتي بتقولي إيه.. اللي يشوفك دلوقت تصعبي عليه.. إيه إحكيلي.

قامت غادة وقد أفاقت نسبيًا من حالة الانتشاء التي أصابتها، وقالت:

- الموضوع طويل.. تعالي ناكل الأول وهحكيلك كل حاجة.. بس باختصار كده.. الراجل اللي قابلته النهاردة مالوش زيّ أبدًا.

قطع عصام حالة الصمت التي امتدت لدقائق قائلًا:

- بس مoodك ده فيه "إنّه".

نظر له حسن وعقد حاجبيه في تساؤل، فأكمل عصام:

- إنت فيك حاجة جديدة.. الكلام ده مش عليا لوحدي.. في حد تاني.. إعترف يا حسن.

ضحك حسن وتجنب النظر لعصام وقال:

- هتعملي فيها إنت هولمز النهاردة.

قال عصام بمرح:

- ما تغيّرش الموضوع.. إنطق.. إيه؟

نظر له حسن، ثم اعتدل وقال:

- هو مفيش حاجة.. علشان بس ما تعملش شغل الأطفال ده.. كل الحكاية إني قابلت بنت صحفية النهاردة اللي ماسكة القضية في جرنان الملا...

قاطعه عصام وقال مندفعًا:

- غادة عثمان؟!!!

- إنت تعرفها؟!!!

- يا ابن اللعيبة.. دي حتة سُكر.

- ياعم لعيبة مين وبتاع إيه؟ ما حصلش حاجة.. كل الحكاية إن إحنا الاتنين شغالين على القضية.. فقررنا نساعد بعض.

- طب وإيه؟ وغمز له بخُبث.

- يا عم عصام مفيش حاجة.. هي زي ما إنت قلت فعلًا.. حتة سكر.

- صح كده. قالها واعتدل لمواجهة النيل، ثم قال بعد صمت دقائق:

- غادة دي أنا بعتبرها أختي.. من كام سنة كان صديق عمري شريف نِفسه يتعرف عليها.. ورفضت بشدة.. مع إنه صاحبي من أيام ثانوي.. وكان دفعتي في الكلية.. واسمه شريف ناجي.. الناس كانوا بيفتكرونا توأم أصلًا من كتر ما كنا دايمًا مع بعض.. بس ما رضيتش أعرفه عليها.. علشان هو مش هيخاف عليها.. شريف طول عمره لِعَبي ومش بتاع مسؤولية والتزام.

نظر له حسن وقال:

- كلامك ده مالوش غير معنى من إتنين.. يا بتوصيني عليها.. يا متطمن عليها لو بقِت معايا.

- الإتنين. قالها وابتسم. ثم قال بلهجة من تذكر شيئًا:

- صحيح.. إعمل حسابك يوم ٢٦ عيد ميلاد مَلَك بنتي.. في البيت عندي.. لازم تيجي.

- أكيد.. ربنا يخلّيهالك.

ثم سأل حسن:

- إنما شريف صاحبك ده فين؟ مش بتقول توأمك؟

- من ساعة ما مشي من الداخلية وهو بقى واحد تاني.

- مشي ليه؟

- إتعرض عليا أنا شغل عند الدكتور حازم البدري.. راجل أعمال كبير وشغال في كل حاجة.. أكيد سمعت عنه.. إترشح يكون وزير صحة قبل كده.. بس رفضت الشغل مع إني مش مرتاح في الداخلية.

- باين عليك إنك مش مرتاح فيها.

أكمل عصام:

- بس هو طلب مني أرشحه وراح بدالي.

- وبيشتغل إيه؟

- مدير أمن لمجموعة استثمارات الدكتور حازم كلها.. مكتب أد كده وسكرتيرة وشقة جديدة.. وما بقاش بيفضى خالص.

- ولما إنت يا عصام مش مرتاح في الداخلية.. ليه ما روحتش؟

تنهّد عصام بضيق، وكأن هذا السؤال ثقيل على قلبه، وقال:

- أنا عدم راحتي في الداخلية سببه إننا مش دايمًا بنكون في صف العدالة.. أحيانًا بسبب ضعف الإمكانات.. وأحيانًا الفساد.. وأحيانًا بسبب فقر أو ضعف

وخوف المجني عليه وإفترا الجاني فبيتسحب البلاغ.. أو بيتم تصالح ظالم.. وإني أروح مكان أشتغل فيه بلطجي بس شيك مش هيحل المشكلة. صمت قليلًا ثم أكمل:

- لو بلدنا فيها داخلية قوية.. مالهاش إيد ضعيفة تتمسك منها.. ما كانتش الشركات جابت اللي زي شريف علشان يعملوا شغلنا لصالحهم.

- عندك حق.. الظلم بقى الطبيعي في البلد للأسف.

أخرج عصام سيجارة وأشعلها وقال:

- عارف يا حسن؟ أنا جه عليا وقت كنت مقتنع إن لازم يكون عندنا حد بيشتغل للعدالة خارج نطاق القانون.. من كتر الظلم اللي بشوفه بحكم شغلي.

نظر له حسن، وقال:

- زي سفاح الأرقام كده؟

نظر له عصام وقد أدركه الخجل مما قال، لأنه يتحدث عن نموذج قاتل زوجته:

- أنا آسف يا حسن.. ما أقصدش طبعًا.. ده مجرم.. أنا بتكلم عن حاجة تانية خالص.

- مفيش داعي للأسف.. أنا عارف إنك ما تقصدش.. وما تنساش إن القاتل باستثناء نادية.. كان زي ما إنت بتقول كده.

اعتدل عصام وقال لحسن بحماس دعمه اتفاق حسن مع وجهة نظره:

- ده اللي أقصده.. إن الناس تبدأ تخاف من عقاب جاي جاي.. ولا ثغرة في إجراءات تمنعه.. ولا محامي شاطر يحميك منه.. إحنا محتاجين كده.

ابتسم حسن وقال:

- مش غريبة إنك تكون ظابط وتقول كده؟

- كوني ظابط بيخليني أشوف حاجات أكتر بكتير منك مثلًا.. بس إنت عندك حق.. أنا المفروض أكون في الطرف التاني من المعادلة. صمت لثوانٍ وأخذ نفسًا من سيجارته وأكمل:

- زمان كان دايمًا عمي الله يرحمه يقولي كده.. وفاكر مرة كنت أنا وشريف في مكتبه في بيته وزعّق فيا جامد لما قولتله إن اللي اتقتل كان يستاهل وإني لو مكان السفاح كنت قتلته.. ويومها لولا شريف أخدني ومشي كان ضربني بالنار من كتر ما كان متنرفز. قالها وابتسم، ثم قال:

- الله يرحمه.. كان شخصية مالهاش زيّ.

اعتدل حسن وقال:

- وانت وشريف كنتوا...

قاطع كلامه رنين هاتف عصام، الذي نظر في ساعته وهو يرُد:

- ألو. صمت لثوانٍ ليستمع للطرف الآخر بملامح جامدة، ثم تحوّلت ملامحه للانفعال الشديد الممزوج بالغضب، وأغلق الخط وقال لحسن بصوتٍ مُرتجف، انفعالًا:

- السفاح قتل تاني يا حسن.

لم يقم حسن بأي رد فعل لثوانٍ، حتى تحرك عصام في اتجاه التحرير ليركب سيارته ويذهب لمسرح الجريمة، فتحرك حسن خلفه بصمت لم يمنع كلًا منهما من التفكير في المنحنى الجديد الذي اتخذته القضية فجأة.

(27)

ليل الثلاثاء 17 ديسمبر سنة 2013

تجلس غادة على سريرها وأمامها نورهان صديقتها، التي كانت تنظُر لها وهي تحكي لها تفاصيل لقاءها بهذا الشخص الذي استطاع أن يهُز ثوابت غادة صديقتها منذ الطفولة. فغادة كما تعرفها نورهان، لم يتمكن أي شاب ممن قابلتهم في حياتها أن يجعلها ترى فيه أكثر من صديق. كانت دائمة القول أن الحُب أكبر من أن يُطلب أو يُهدى، الحب يُنتزع، الحب يَنتَزِعُ من عَشِق انتزاعًا من حياته، ليُلقي به في عالمٍ جديد عليه، ليعود طفلًا يتعلم المشي من جديد، ولكن بمساعدة من أحب، بدلًا من أمه. وكانت نورهان دائمًا ترُد أنها ستعيش وحيدة طوال عمرها في رحلة البحث عن فتى أحلام ولن تجده، لأنه يعيش فقط في خيالها وفي الروايات الكلاسيكية. ولكن ها هي ترى صديقتها تعود طفلة، تتحدث بحماسة طفل اشترى له والده لتوه ملابس العيد. تتعلم المشي، حيث تراها لا تعلم كيف تتعامل مع هذا الإعجاب الذي اقتحمها دون إذنٍ أو إنذار.

- عارفة يا نور.. في رجالة كده لما يفتحولك باب المطعم أو العربية.. تحسي إنه بيعمل كده بس علشان يِبهرك.. بس دي مش طبيعته.. فاهمة حاجة؟

ولم تنتظر رد من نورهان، حيث أنها - غادة - في الحقيقة كانت تُحدث نفسها من خلال صديقتها، فهي تشعر بلذة غريبة حين تتحدث عنه، فأكملت:

- حسن حاجة تانية.. بيعمل كل حاجة كأنه هو اللي اكتشفها.. له طريقة

خاصة في كل حاجة.. بتاعته لوحده.. بيعمل كل حاجة زي ما كتابه الخاص بيقول.. مش زي أي حد.. ساعات تلاقيه خجول بيتهرب بنظراته.. وفجأة تلاقيه بيقتحمك بقوة.. بيفهم أنا بفكر في إيه قبل حتى ما أفهمه أنا شخصيًا.. بيحس بيا وبضيقي وبيقدر من غير مجهود يخرّجني من المود الوِحش وكأنها حرفة هو ابتكرها ومُسجلة باسمه.. راجل بس مش خشن.. ناعم بس مش ملزّق.. هادي بس مش بارد.. حسّاس بس مش طري.. فاهمة حاجة؟

صمتت لثوانٍ وتنهّدت وهي تنظر للا شيء تحديدًا في محاولة منها لاسترجاع دقائقها معه، فقالت نورهان وهي مُتسعة العينان:

- بصراحة أنا مش فاهمة حاجة.. إزاي عمل فيكي كل ده وانتوا أصلًا ما إتكلمتوش غير في شغل وبس.

تنهدت غادة مُجددًا وقالت:

- تبقي مش فاهمة حاجة.

قالت نورهان وهي تضرب كفًّا على كفّ:

- إذا كنتي انتي مش فاهمة.. هفهم أنا؟

- تصدقي عندك حق.. أنا فعلًا مش فاهمة.. إزاي...

رنّ هاتف غادة، فنظرت لساعتها، ولكن نورهان قفزت من على السرير في اتجاه المكتب، وهنا أدركت غادة ما يحدث، فقفزت بدورها في محاولة للوصول للهاتف قبل نورهان، ولكنها تعثرت في طرف السرير وسقطت بدوي مثير للضحك على الأرض. وصلت نورهان وهي تضحك للهاتف لتجد اسم حسن يحتل شاشة

هاتف غادة كما يحتل تفكيرها، فرّدت دون تردد:

- ألوو.

- أيوة يا غا.. ألو؟

- أيوة؟

- مساء الخير.. أنا حسن أقدر أُكلم غادة من فضلك؟

- أه طبعًا طبعًا يا حسن ثواني؟

قالتها وهي تبعد يد غادة عن الهاتف، فوصل لحسن صوت جلبة غير مُفسرة فانتظر صامتًا. استطاعت غادة أن تُخلّص الهاتف من يد نورهان، وقالت بصوتٍ حاولت عبثًا أن يبدو طبيعيًا في ظِل "بحلقة" نورهان فيها:

- أيوة يا حسن.. معلش دي نورهان صاحبتي كانت جنب التليفون.

قال حسن بصوتٍ جامد:

- ولا يهمك.. أنا متصل أقولك إن السفاح قتل تاني.

- نعم؟!!!!!!

- أنا كنت مع عصام ناجي.. وجاله تليفون بكده.

- إنت تعرف عصام؟!!

- أه من كام يوم.. المهم بس أنا قلت أبلّغك.

- كتّر خيرك.. أنا بس لازم أنزل أغطّي الجريمة دي قبل عدد الصبح.

- ماشي.. بس خلي بالك من نفسك.. وحاولي تعرفي كل حاجة عن جريمة النهاردة دي.

- أكيد.. سلام.

بعد أقل من ساعة كانت غادة تطرق باب مكتب مجدي كارم، الذي كان مفتوحًا، فدخلت، لم تجده بالداخل. ولكن أنفها التقط رائحة دخان سجائر في المكان. كان غادة تعلم جيّدًا أن مجدي كارم قد أقلع عن التدخين منذ فترة طويلة، ولكنه يحتفظ بعلبة سجائر في مكتبه للطوارئ، ليلجأ لها في حالات الضغط العصبي أو التوتر، وكأن الإضرار بالصحة هو علاج التوتر والعصبية. ولطالما - بحكم صداقتها له وخوفها عليه - حاولت أن تقنعه ألا يحتفظ بسجائر إلى جواره حتى لا يستسهِل التدخين، ولكنه أصر، فقررت وأعلمته أنها ستتخلص من أي سجائر تجدها معه كلما تراها حتى يقتنع أو يُفلِس أيهما أقرب، ومنذ ذلك الحين وهو يحتفظ بها في خزانته، حتى لا تصل لها. وعندما لاحظت وجود دخان سجائر في هواء غرفة مكتبه، اتجهت بتلقائية لمكتبه فلم تجد السجائر في أدراجه، فاتجهت للخزينة، وأدارت ذراعها، فاستجابت لها الخزينة، حيث أن مجدي كان في عجلة من أمره، فلم يغلقها عندما التقط سيجارته منها منذ دقائق، ولم يتوقع أن يتجرأ أحدًا على فتحها، وخاصة أنها لا تحوي نقود أو متعلقات ذات قيمة مادية. فتحت غادة الخزانة، فوجدت علبة السجائر أعلى كومة من الأوراق، فلم تهتم في البداية سوى بالسجائر، فمدّت تدها لتلتقطها، ولكنها لمحت أطراف مظروف كبير يبدو عليه القِدم، فساقها فضولها، مدّت يدها ورفعت الأوراق التي تعلوه، لتجد كلمة واحدة مكتوبة عليه بجهاز كمبيوتر؛ "جرائمي".

تملّك منها خوفٌ شديد، وعاد لذاكرتها دفاعه عن السفاح منذ أيام، ارتعشت يدها رُغمًا عنها، ولكن كونها صحفية، ففضولها لم يعطِها فرصة التقاط الأنفاس، ولم

يتهاون معاها، نظرت خلفها لباب المكتب، فكان كل شيء هادئ هدوء مُغري لأي صحفي يتميّز بالفضول، وجدت نفسها تحت تأثير الفضول تزيح طرف المظروف بيد مرتعشة، لتحاول أن تُلقي نظرة سريعة بداخله، وبالفعل تمكنت، حيث رأت صورة مطبوعة على ورقة جريدة قديمة لوجه قتيل، بالأرقام محفورة على جبهته التي تميّز ضحايا سفاح الأرقام. شهقت غادة بصوتٍ مكتوم، وتحركت بسرعة البرق بدافع الخوف أكثر من الحيطة، وأعادت كل شيءٍ لمكانه، وتحركت في خطواتٍ سريعة ناحية الباب، في اللحظة التي دخل فيها مجدي للمكتب مُسرعًا. أجفل مجدي لأنه لم يتوقع أن يجد أحدًا في مكتبه، توقف عند الباب للحظات، ونظر لغادة بدهشة، ثم نقل بصره بينها وبين الخزانة عدة مرات، ثم تحرك باتجاه المكتب وأطفأ سيجارته، وهو يقول:

- بقالِك قد إيه؟

تلعثمت لثانية، ثم تماسكت وقالت بصوتٍ مرتعش:

- لسة جاية حالًا.. كنت بشوف حضرتك فين.

نظر لها وقال وهو يتجه للخزانة ويفتحها:

- بالليل كده؟ ليه؟ في حاجة؟

ارتعشت غادة كمنّ يتعرض لتيار كهربائي وهي تراه يفتح الخزينة، وكادت أن تفقد توازُنها، ولم تستطع أن تُجيب. نظر مجدي للخزينة، وعَلت ملامحه نظرة ارتياح عندما وجد كل شيء في مكانه، فأغلق الخزانة وعاد لمكتبه وقال بشَك:

- مالك يا غادة؟

بذلت هي مجهود خرافي لتسيطر على نفسها ولو قليلًا لتقول:

- السف.. السفاح قتل واحد تاني يا مستر مجدي.

قام مجدي من خلف مكتبه وتوجه لها، والدهشة تكسو ملامحه، وقال منفعِلًا:

- معقول؟!!!

وقبل أن يصل حيث تقف، عادت هي تلقائيًا للخلف وهي تنظر له بخوف، فلاحظ هو فزعها، فنسي ما كان ينوي قوله وقال مُطمئنًا، وهو يقترب منها بودٍ:

- ما تخافيش يا غادة.. مالك؟ لو شايفة القضية تقيلة عليكي ممكن نادر يمسكها.. مالك يا بنتي؟ إنتي بتترعشي!!

قالت بخوف:

- لأ أنا كويسة.. ما تديش القضية لنادر.. أنا بس مخضوضة شوية.. أول مرة أحقق في جريمة زي كده.. بعد إذنك.

ودارت لتغادر المكتب، ولكنها توقفت لتشرح له موقفها حتى لا يشُك بها، فأضافت:

- أنا هروح أحاول أوصل لعصام علشان ينزل الخبر في عدد بكرة.. وهشوف لو عرفت أجيب صور.. بعد إذنك. وغادرت مُسرعة.

لم يتحرك من مكانه لثوانٍ ونظره مُعلق على باب مكتبه الذي أغلقته غادة خلفها، ثم نقل بصره صوب المقالة المُعلقة على الحائط بجوار مكتبه وتنهّد بضيق.

(28)

ساعات الأربعاء الأولى 18 ديسمبر سنة 2013

كانت غادة ترتعد وهي تخرج من سيارتها، والسبب كان بعيدًا كُل البُعد عن برودة القاهرة في ديسمبر. كانت بحُكم عملها مُعرضة لمُقابلة مجرمين وبلطجية، وبرغم أنها فتاة جميلة، وتبدو من النوع السطحي للبعض الذي لا يهتم سوى بالموضة والمظهر، كانت هي في الحقيقة ذات شخصية قوية جدًا، وعنيدة على مستوى العمل. كانت ترفُض تمامًا أي محاولة من "ولاد الحلال" لمساعدتها في عمل يظنّوا أنها أضعف من أن تقوم به، مثل دخول المشرحة، أو مُجالسة مجرمين ومحاورتهم إذا اقتضى العمل ذلك، فكانت تقوم بكل شيءٍ بنفسها، وعلى الوجه الأكمل ما استطاعت. ولهذا تمكنت من أن تحتل مكانة خاصة في جريدة لها اسمها في الشارع المصري، في وقتٍ قصير.

ولكنها اليوم لم تقابل مُجرمًا، أو قاتل متسلسل، أو حتى سفاح فحسب. اليوم اكتشفت أن رئيسها في العمل الذي عملت معه سنوات طويلة لم يكن هو هذا الرجل الذي تظُنه. أن تكون قاتل فهو شيء مُقزز بالطبع، ولكن أن تستطيع إخفاء هذه الحقيقة بكل هذا الذكاء والبراعة، حتى على أقرب الناس إليك في العمل، الذي تقضي فيه معظم ساعات يومك هو شيء مرعب بالتأكيد.

كانت فكرة قدرته على التلوّن والتمثيل هي التي هزّت ثقة غادة في كل شيء، كل شيء تقريبًا، فمجدي كارم كان يُعد أحد المُسلّمات في حياتها. وحدة

قياس، تقيس عليه الكفاءة في العمل، والإخلاص، والمروءة، وها هي ترى كل لحظاتها معه أمام عينها كأنها شريط سينمائي ولكن يداه مُلطخة بالدماء في كل المشاهد.

كانت ترتعد في انتظار حسن الذي لم يفهم منها عبر الهاتف حرفًا واحدًا وسط دموعها، وما أن اطمئن أنها بخيرٍ حتى طلب منها أن تنتظره حيث هي، فطلبت منه أن يقابلها بعيدًا عن الجريدة، فاتفقا على الكوربة.

على الرغم من مرور ما يزيد عن ثلث الساعة على وقوفها وحيدة، وبرغم أنها تمكنت من السيطرة على دموعها وانفعالها بشكلٍ كبير، ولكنها في اللحظة التي رأت فيها حسن ينزل من سيارته وعلامات الخوف عليها تنطق بها ملامحه، انهارت، وشعرت لثوانٍ أن رجليها لا تستطيعان حملها، وكأنها كانت تنتظره ليحمل عنها ماتحمل من همٍّ ثقيل.

ولكنها في اللحظة التي تصوّرت أنها ستسقُط، شعرت بحسن يلتقطها بين ذراعيه، وبرغم دقّة الموقف، وصعوبته، شَعَرت بالأمان. فجأة اختفى الخوف، وحل محلّه الاطمئنان، هذا لم يوقف دموعها، دموعها زادت في الحقيقة، ولكنها كانت أشبه بدموعِ طالبٍ كان واثقًا من رسوبه، في لحظة سماع خبر نجاحه، دموع ارتياح. اختبأت بداخله، احتواها، شعر من ضعفها أنها لا تملك غيره، فأراد أن يطمئنها، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يحتويها.

بكَت بصوتٍ عالٍ، ضمّها بقوة، فبكَت أكثر. لم يحاول أن يفهم منها سبب كل هذا، كان كل اهتمامه مُنصَبًّا على هذه اللحظة، وهذا الشعور الذي يتملّكه، تلك

اللذة التي تأتي مع عودة الروح لجسد جَفّت مشاعره منذ سنوات. شعر بقلبه يخفِق وكأنها أول مرة، شعر بروحه وهي تتساءل عما يحدث لهما. احتضنها وكأنها الدنيا، واختبأت فيه من الدنيا. ولم يجرؤ أحدًا منهما على إيقاف تلك المقطوعة الصامتة التي تُعزف، حتى بعد أن بدأت الأمطار في الهطول، وكأنها أرادت أن تشارك في تلك اللحظة بما تستطيع، لم يتحرك، ولم تتحرك، وكأنهما خارج الزمن.

(29)

ساعات الأربعاء الأولى 18 ديسمبر سنة 2013

يصل عصام ناجي لمسرح الجريمة الذي شهد الجريمة الثانية للسفاح بعد عودته من رحلة غياب استمرت لثمانٍ سنوات. كانت المنطقة تشبه كثيرًا منطقة مسرح الجريمة السابق، وإن كانت الشوارع أوسع نسبيًا. كان المنزل يقع في أحد الشوارع المتفرعة من شارع مصر والسودان.

لم يكُن أيًّا من فريق البحث الجنائي أو الطب الشرعي قد وَصل لمكان الجريمة بَعد، حيث وصل هو سريعًا لقُرب المكان من وسط البلد. طلب عصام من الأمين رأفت أن يَخلي له مدخل الشقة من أقارب الضحية الذين يسكنون على بُعد دقائق سيرًا من منزله، حتى يتمكن من فحص مسرح الجريمة بهدوء.

وقف عصام كعادته بعد أول خطوة له داخل الشقة، ونظر حوله في كل الاتجاهات، بحثًا عن أي شيء في غير موضعه، فلم يجد. كانت الشقة متوسطة المساحة، بمجرد أن تدخل تكون مائدة طعام في مواجهتك، عليها طبقة رقيقة من الأتربة، التي لَم تُمَس، مما يشير لعدم وجود ربّة منزل غالبًا، وأيضًا إلى أن القاتل لم يلمسها، وإلا لكان قد ترك علامة في وسط الأتربة. إلى اليسار توجد ردهة طويلة تصل بعد خطوات للحمام والمطبخ، الذي لم يجد فيهما عصام أي دليل على دخول القاتل إليهما.

في مواجهة باب الشقة يوجد باب كبير خشبي، فتحه ليجد نفسه في غرفة الضيوف، ليجد أول دليل على وجود القاتل، فقد كانت الطاولة التي في منتصف الغرفة في غير مكانها المُعتاد، حيث أن الطاولات بعد بقائها لفترة طويلة في نفس المكان، تحفُر كل قدم مكانها في السجادة تحتها، وهي علامة يصعُب إزالتها كالذنب. وكانت الطاولة تبعُد مسافة نصف قدم عن موقعها التي اعتادت أن تكون فيه، رفع عصام بقبضة يده وهي مُغطاه بمنديل ورقي الطاولة، ليتأكد أن ظنّه كان في محله، حيث أن أقدام الطاولة بالكاد تركت علامة سطحية على السجادة، مما يؤكد أنها - الطاولة - في هذا المكان منذ ساعاتٍ فقط. دار ببصره في الغرفة فلاحظ أن ثمة عدم انتظام في وضع أحد الكراسي أيضًا.

خرج عصام ودخل الردهة الطويلة الأخرى التي تقود لغُرف النوم، كانت الغرفة الرئيسية هي الوحيدة مفتوحة الباب، فدخل ليرى نفس المشهد الذي أصبح يراه في كوابيسه ليلًا. صاحب المنزل شاحب الوجه، في نفس وضع ضحايا السفاح الذين سبقوه، وقد كُسِرت مرآة الغرفة، وجزء منها مُلقى بلا عناية على صدره، وبالطبع محفور على جبهته، انعكاس تاريخ (12 / 1)

خرج عصام من الشقة بعد نصف ساعة من الفحص، ليجد مُعاوني المباحث في انتظار انتهائه من جولته، ومعهم الرائد هادي، الذي تبدو عليه علامات الجديّة والانفعال، حيث أنها أول مرة يعاين مسرح جريمة من جرائم هذا السفاح على الحقيقة، فلقد قرأ عنه كثيرًا، ولكن التجربة الحية شيءٌ آخر.

أشار عصام لرأفت الذي كان يقوم بدور المُنظِم للمكان، وسأله:

- إيه يا رأفت؟ إحكي.

قرأ رأفت من ورقة في يده عِدة معلومات تحصّل عليها:

- قناوي الشيخ.. ٥١ سنة.. تاجر فاكهة.. عنده محل كبير تحت البيت هنا.. بس هو في الحقيقة تاجر صنف.. حشيش وبانجو وأفيون وأقراص والذي منه.. متجّوز وعنده ٧ عيال.. محدش منهم قاعد معاه.. ومراته في السجن.. واخدة ٣ سنين في حيازة مخدرات.. اللي ماسك شغله وبيراعيه سعيد إبن أخوه.

قال هادي:

- بعد إذنك يا عصام بيه هدخل أعاين الجثة.

أوما عصام برأسه إيجابًا، وهو يسأل رأفت:

- مين اللي لقى الجثة؟

- سعيد إبن أخو القتيل.. كان القتيل موصّي...

قاطعه عصام بإشارة من يده قائلًا:

- خلاص يا رأفت.. إبعتهولي أسمع منه.. وهاتلي كوباية الشاي التقيل بتاعة كل مرة.

جلس عصام وتابع رأفت بنظره ليعرف من هو سعيد، تعرف عليه عندما وجّه له رأفت كلامه وهو يشير في اتجاه عصام، فحصه عصام جيّدًا وهو يقترب منه، ولاحظ ارتباكه وخوفه الشديد من عصام، فتذكر مقولة حسن "الكلام ده منطقي في أي دولة في العالم.. في مصر الموضوع مختلف.. الناس بترتاح في الكلام مع المدنيين

أكتر بكتير من الحكومة.. ده غير إن أنا الناس بتثق فيا بسرعة"، فابتسم، وتمنى أن يكون صديقه حسن معه في التحقيق ليحِلّ له القضية كما حلّ قضية السرقة في ثواني. أشار عصام لسعيد أن يجلس قبالته في الردهة المواجهة لباب شقة القتيل على كرسي خشبي من النوع المُستخدم في القهاوي في تلك المناطق، فجلس، اعتدل عصام وهو يشعل سيجارته، ونظر لسعيد باسمًا، وقال:

- مساء الفل يا سعيد.. إيه ياعم مالك مخشّب كده؟

قال سعيد بصوّت حزين مرتجف:

- يا بيه ولا مخشّب ولا حاجة.. الله يرحمه بس كان أبويا التاني.

سأله عصام بهدوء وهو ينظر له بشَك:

- وهتورث فيه طبعًا.

لم يرُد سعيد، وإن ظهرت علامات الغضب على ملامحه، وتسارعت أنفاسه، فأكمل عصام:

- إحكيلي بقى.. إيه اللي جابك هنا بالليل كده؟

- الحاج كان موصّيني اجيبله شوية حاجات بعد الشغل على هنا.

- حاجات زي إيه؟

- أدوية سكر يا بيه.. والكيس مع الواد إبني. قالها وأشار لطفل يقف بعيدًا مع بعض رجال الحي المُتطفلين.

نظر عصام للطفل لثوانٍ، ثم قال لسعيد وهو يلتقط كوب الشاي من رأفت:

- عايزك تحاول تفتكر كده أي حاجة غريبة حصلت يوم 1 الشهر ده.. كان...

ورفع عينه لأعلى لثوانٍ، ثم أكمل:

- كان يوم الأحد من 3 أسابيع.

عقد سعيد حاجبيه وكأنه يحاول أن يتذكر، ثم قال:

- لا والله يا بيه مش فاكر حاجة.

- أي حاجة يا سعيد.. حاول تساعدني.. إفتكر.

ظهرت علامات التفكير على سعيد لثوانٍ، ثم قال مُستسلمًا:

- والله يا بيه الكدب خيبة.. أنا بالعافية بفتكر يومين فاتوا.. ليه يا بيه بتسأل ع اليوم ده بالذات؟

أكمل عصام دون أن يلتفت لسؤال سعيد في إشارة غير مباشرة لأنه هو الوحيد الذي يطرح الأسئلة:

- شوف يا سعيد.. أنا هنا بحقق في جريمة قتل.. ما يهمنيش أي حاجة تانية.. دلوقت على الأقل.. ممكن تقولي مين من مصلحته يقتل عمّك؟ حد اشترى منه بضاعة مش تمام.. اختلفوا على فلوس.. حد علّمتوا عليه وسلّمتوه للمخبرين بحاجة وهو خارج من عندكم.. أي حاجة.. إفتكر.

نظر سعيد للأرض لثوانٍ، وقد وصلته رسالة عصام، فقال بصِدق:

- والله العظيم يا بيه الحاج كان في المنطقة هنا.. وفي الكار.. زي الجنية الدهب.. عمره مازعّل حد منه لدرجة القتل.. ولا حصلت حاجة من دي قريب

خالص.

- ماشي يا سعيد.. روح شوف اللي وراك وعدّي علينا في القسم بكرة علشان نكتب المحاضر.. وعايز معاك كل اللي شغالين في المحل معاك.. وقرايبك اللي ساكنين قريّب من هنا مبدأيًا.

كان هادي ومعاوني المباحث قد انتهوا من فحص مسرح الجريمة، فقام عصام وقال لهادي:

- وصلتوا لحاجة؟

- واضح إن في خناقة حصلت في الصالون.

قال عصام مؤكِدًا:

- ده صحيح.. وده معناه إن اللي قتل يعرف القتيل.. علشان يدخّله الصالون.

قال هشام:

- تفتكر إن اللي عمل كده بيقلّد السفاح واستغل ظهوره تاني عشان يخلص من القتيل ده؟

قال عصام بضيق:

- أنا ما أفتكرش حاجة.. القضية كده بتتقفّل كل جريمة.. والمفروض العكس.

ثم زفر بضيق وقال:

- بس إحنا مبدئيًا زي ما إحنا.. أنا ورامي شغالين على الجديد بما فيهم قضية

الليلة دي.. وإنت وهادي شغالين على القديم يمكن توصلوا لحاجة.

ثم وجّه كلامه لرامي وقال:

- عايز القضية دي يتحسم فيها الكلام في خلال يومين يا رامي.. لو حد من معارف القتيل بيقلّد السفاح لازم نجيبه في يومين علشان نرجع نشتغل على القضية الكبيرة.. أو نتأكد إنه السفاح وبكده يبقى لقينا أول الخيط للقبض عليه.

سأل رامي:

- إزاي؟

- لو السفاح هو اللي قتل الليلة دي يبقى أخيرًا قتل حد يعرفه.. وهتبقى مسؤوليتنا نعرف هو مين من معارفه.. ودي حاجة ما حصلتش قبل كده.

ثم نظر في اتجاه الشقة وقال وكأنه يُحدث نفسه:

- يمكن تكون دي الغلطة اللي هتوقّعه.

(30)

ساعات الأربعاء الأولى 18 ديسمبر سنة 2013

كانت الأمطار قد بدأت تهطُل بشدة، وبدأ صوتها يطغى على صوت بُكاء غادة، التي كانت لاتزال متشبثة بحسن وكأنه القشة التي ستنقذها من غرق مؤكد ووشيك.

تراجع حسن بلُطف، ونظر في عينيّ غادة، ومسح بيده اليُمنى خصلات شعرها التي كانت تغطي جبهتها وجزء من عينها الجميلة. فرفعت يدها وأزاحت خصلة من شعرها خلف أُذنها اليُمنى، ونظرت لعينه، وكأنها تطلب منها أن تحتويها، ليزول خوفها من كل شيء. كانت يده خلف ظهرها، ويدها على كتفيه، والبكاء هو الثابت الوحيد منذ قابلته حتى اللحظة، هو وتلك النظرة التي استمرت لدقيقة كاملة، برغم البرودة والأمطار.

فكل شيء تغيّر في تلك الدقائق للأبد؛ شعورها به، وشعوره بها، وخوفها الذي زال بين يديه، وروحه التي عادت معها، فهو لم يشعر منذ زمنٍ بعيد بحاجة أحد له لهذه الدرجة، أن تعتمد عليه فتاة لهذه الدرجة، وأن يشعر بضعفها، وأنه مصدر قوّتها، وهو شعور أجمل من أن يوصف في كلمات. وهي لم تشعر بكل هذا القدر من الأمان منذ توفى والدها، وكانت ترى في مجدي البديل المؤقت،

حتى انهار كل شيء أمامها منذ ساعة، فلم تجد إلا حسن، الذي لم يتأخر. ابتعد حسن خطوة للوراء، فتشبثت به تلقائيًا خوفًا من أن يضيع - إحساس الأمان - بعد أن استعادته، ولكنه ابتسم مُطمئنًا، ودفعها بلُطف بيُمناه في اتجاه سيارته، فسارت معه كالمسحورة.

فتح باب سيارته، وأجلسها وأخذ منها مفاتيح سيارتها، وذهب إليها، ركبها وصفّها بجوار الرصيف، وأخذ منها حقيبتها وهاتفها وأغلقها وعاد لسيارته، وضع مُتعلقاتها على الكنبة الخلفية، وأدار السيارة، وقال بصوتٍ حنون وهو يتحرك:

- الوقت إتأخر قوي.. إنتي لازم تروّحي.

أومأت برأسها إيجابًا وهي تنظر له في محاولة منها لفهم ما حدث منذ ثواني، وهل يشعُر هو بمثل ما تشعر به. ابتسم لها حسن بحنان، وقال:

- قادرة تتكلمي؟

قالت بصوتٍ ضعيف:

- أنا آسفة لو كـ...

قاطعها بإشارة من يده وقال:

- ما تقوليش كده تاني.. أبدًا.

- حاضر. قالتها وهي تمسح دموعها، وسألت:

- إنت رايح فين؟

فضحك وقال:

- ما أنا مش عارف إنتي ساكنة فين.. فبتمشّى على ما تقولي.

ابتسمت وقالت:

- في الضاهر.

فابتسم لأنها تسكُن في المنطقة التي تربّى وعاش بها طفولته. وقال:

- ممكن بقى تطمنيني وتقوليلي مالك؟

تذكرت ما كانت نسيته لثوانٍ، فعقدت حاجبيها، وكسى الحزن ملامحها، وقالت:

- مستر مجدي هو السفاح يا حسن. ولم تتمالك نفسها، فبَكَت مُجددًا، وقالت وهي تبكي بحُرقة:

- مستر مجدي هو اللي قتل مراتك يا حسن.

نظر لها حسن بملامح تكسوها الدهشة والاستغراب، ولم يستطع التفوه بأي شيء للحظات وهي تبكي. وبعد لحظات من الصمت تمالك نفسه وقال بشَك:

- ممكن تهدي شوية وتفهّميني إيه الحكاية؟

قالت وهي تحاول السيطرة على دموعها:

- النهاردة بالصدفة فتحت خزنته وهو برّة.. لقيت ظرف مكتوب عليه جرائمي في خزنته.. بصّيت فيه بسرعة قبل ما يرجع المكتب لقيت صورة واحد من اللي قتلهم السفاح.. وكان مليان صور وورق.. بس ما لحقتش أشوف حاجة تانية.

نظر حسن أمامه، وظَل جامدًا كالحجر، وهو يستمع إليها، وبعد أن انتهت وصمتت لترى ردة فعله، أغمض عيناه لثوانٍ وكأنه يحاول أن يهرب من شيء رآه أمامه، أو شعور انتابه، ثم تنهّد بضيق واكتفى بالصمت.

بعد دقائق مرّت بطيئة، كحركة المرور في القاهرة وقت الذروة، أوقف حسن سيارته عند منزل غادة، وقطع الصمت الثقيل وهو يعتدل بتنهيدة طويلة تحمل همًّا ثقيلًا، وقال:

- اللي إنتي شوفتيه مش معناه إن مجدي هو السفاح.. إنتي نفسك قولتي إن الظرف كان مليان.. وانتي ما شوفتيش منه غير صورة واحدة.. إزاي ده دليل كافي؟

قالت وكانت قد توقفت عن البكاء تمامًا:

- مش الصورة بس يا حسن.. يوم الInterview كان بيقول حاجات ما فهمتهاش إلا النهاردة.. قال إن السفاح ضِعف قودام نرجسيته.. وإنه توقف عن القتل ندمًا على خطيئته اللي هي الضعف ده.. وكان بيتكلم كأنه عارف السفاح ومذاكره.

أغمض حسن عينه لشعوره بالمرارة وهي تتحدث عن مقتل زوجته، فأدركت غادة مشاعره، فقالت وهي تمد يدها للباب:

- أنا آسفة يا حسن.. أنا ما كانش المفروض أكلمك إنت خالص في الحكاية دي.. سامحني.. واعتبر الل...

قاطعها حسن بنظرة لوم واضح، فقطعت كلامها ونظرت له بتأنيب ضمير،

فقال:

- أنا مش قلتلك ما تقوليش كده تاني؟

- أنا آس... ولكنها قطعت كلمة الآسف ونظرت لجهة الباب المجاور لها هربًا من لومه. فقال:

- أنا فكّرت كويس.. وإن بعض الظن إثم يا غادة.. ماينفعش نتّهم راجل زي ده بحاجة زي دي إلا لما نتأكد.

- وهنتأكد إزاي؟

- أنا فكّرت في الحكاية دي واحنا في السِكة.. ومفيش غير طريقة واحدة.

قالها وصمت، فنظرت له بتساؤل، فأكمل بطريقة من اتخذ قراره بالفعل:

- هنسرق الظرف.

(31)

صباح الجمعة 17 نوڤمبر سنة 2005

الدكتور وسام حجازي، أخصائي أمراض النساء والتوليد، يدخُل المُستشفى الذي اعتاد أن يجري فيها عمليات الولادة صباحًا، يبتسم بودٍّ لعائلة سِهام، التي حددّ لها تاريخ اليوم لتلِد قيصريًا، تجنُبًا لمتاعب حمل متوقعة في حالة انتظارها حتى تحدث الولادة طبيعيًا.

غاب لفترة ليست بالقصيرة داخل غرفة العمليات، لتخرُج ممرضة تدفع الجنين على عربة مُتحركة، وهي تطلب من أهل سِهام أن يسمحوا لها بالمرور سريعًا، لحاجة الجنين للدخول فورًا للحضانة، لعدم اكتمال رئتيه بعد.

السبت 18 نوڤمبر سنة 2005

سفر الدكتور وسام لفرنسا، لحضور حفل زفاف ابنته.

الأحد 19 نوڤمبر سنة 2005

وفاة طفلة سِهام، بسبب عدم اكتمال رئتيّها. الطفلة التي كانت اختارت لها سِهام اسم سما، الذي استغرقها إقناع زوجها به، ٣ شهور كاملة من الزنّ.

(32)

الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

- صحّ النوم يا أستاذ. قالتها غادة لحسن بمرح، بمُجرد أن أجاب اتصالها.

فابتسم وجلس على طرف السرير، وقال بصوّتٍ مازال نائمًا:

- ربنا يسامح بقى اللي سهّرني للصبح.

قالت بصوّتٍ مليء بالحنان:

- أنا مش عارفة إنت إزاي كده.. مش قادرة أفهم بجد.. إيه اللي خلاك تجيبلي العربية تحت البيت؟ وإيه اللي إنت عملته في ماما ده؟

- عملت إيه؟!!!

- معرفش.. بس هي الصبح وهي بتديلي مفاتيح العربية.. كانت بتدعيلك.. إنت سحرت لها؟ وضحكت بسعادة واضحة.

قال حسن وهو يبتسم:

- سحر إيه بس؟ أنا استنيت الصبح جه وطلعت سيبتلك المفاتيح واتطمنت عليكي منها.. وشربت كوباية شاي زي العسل من إيديها ونزلت.. بس كده.

ابتسمت غادة بسعادة لم تعهدها منذ فترة، وقالت:

- مش عارفة أشكُرك إزاي بجد.

- بطّلي تقولي شكرًا وانتي تبقي كويسة.

- ربنا يخليك ليا. قالتها وابتسمت بخجل برغم أنه لا يراها.

فابتسم كأنه يراها ولم يُجيب، فقالت للهروب من الخجل:

- أنا عملت اللي اتفقنا عليه.. كلمت عصام كتّر خيره بعتلي صورتين لجريمة إمبارح.. وكتبت موضوع نزل صفحة أولى.. ولمّحت فيه زي ما إتفقنا إن اللي بيقتل ممكن يكون مش هو نفسه قاتل زمان.

- واضح إن فاتني كتير فعلًا.. طب وإيه أخبار مجدي؟

- النهاردة كنت طبيعية جدًا وناقشته في كل حاجة ومفيش حاجة بانت عليا خالص الحمد لله.. ودلوقت لسة خارجة من مستشفى التكامل بتاعة هبة.

انتبه حسن وأنصت بكل حواسه وهي تكمل:

- مش عارفة يا حسن.. بس مش مرتاحة.

- إزاي؟

-كل زميلاتها ما يعرفوش عنها حاجة.. كلهم بيقولوا إن أول الشهر مشيت بدون سبب.. في الـHR المدير قال إنها طلبت تمشي بعد قبض شهر نوڤمبر.. سألته كتبت استقالة قالّي لأ.

- طب وبتقولي مش مرتاحة ليه؟

- أصل تحسهم واخدين تعليمات ما يتكلموش في الموضوع.

- مممم يبقى غالبًا شكوكي في محلّها.

- اللي هي إيه؟

- أصبري عليا بس أتأكد وهقولك.. بلاش تتسرّع.

فكّر لثوانٍ ثم قال:

- عندك تفاصيل جريمة إمبارح؟

-كلها في الجرنان.

- تمام.. هشوفه.

قالت غادة بلهفة وقد أدركت أنه أوشك أن يُغلِق الخط:

- هتعمل حاجة النهاردة؟

صمت لثوانٍ، فتداركت:

- أقصد علشان القضية يعني.

ابتسم وقال:

- أنا هنزل كمان شوية أشرب القهوة في النادي.. وبعدين هحاول أوصل لمعلومات بخصوص جريمة إمبارح. ثم أكمل:

- إنتي هتعملي إيه دلوقت؟

- مش عارفة.

قال مازحًا:

- أنا عارف.

بعد ساعتين كان حسن ينتظر غادة أمام باب النادي، قابلها بابتسامة مختلفة تحمل من اللهفة والإعجاب الكثير بغير مواربة. وما أن اقتربت حتى تقدم منها وقال:

- إنتي إحلوّيتي كده إمتى ؟

ضحكت بخجل ورفعت خصلة خلف أذنها اليُمنى، وقالت:

- متشكرة.. بس مش قوي كده.

أفسح لها الطريق لتتقدمه، وقال:

- هو قوي.. بس اللي تشوفيه.

ابتسمت بخجل، وصمتت، حتى لمحته يتأمّل ملامحها وهو يسير بجوارها، فنظرت له لترى ابتسامة تكسو ملامحه، لم ترها منه قبل اللحظة. كانت ابتسامته عذبة كصوت الطيور بعد الفجر، وعيناه كانتا تتأملها بشغف، كان كأنه لا يرى سواها. لم تجرؤ على أن تحوّل نظرها عن عينه ولو لثانية، مما أجبرهم على التوقف تلقائيًا دون اتفاق، حتى لا يصطدموا بشيءٍ يقطع تلك اللحظة، التي تمنّوا أن تستمر للأبد.

وكأن الزمن استجاب؛ توقف كل شيء حولهم لثوانٍ، خفتت أصوات كل شيء، غابت التفاصيل حولهما وبقى كل منهم فقط أمام عين الآخر. بدأ قلب غادة رغمًا عنها يدق بقوة، وتسارعت أنفاسها، وكانت تتمنى أن ترتمي في حضن هذا الرجل، الذي قالت عيناه كل الكلام دون أن يتحدث. ولكنه لم يكتفي بكلام عينه، وقطع

الصمت الجميل بصوت أجمل قائلًا:

- إسمحيلي. ومدّ يده وأمسك يدها اليُسرى، فمدّت يدها بتلقائية، كعادتها عندما تخجل، لترفع خصلة من شعرها خلف أذنها اليمنى، ولكنه أمسك يدها اليمنى وأعادها إلى جانبها، ونظر في عينيّها ورفع هو بيده الخصلة التي تهرب منه إليها كل مرة، فسألت بلهفة طفل ينتظر قرار النزهة من والده:

- أنا مش عارفة إنت إزاي كده.. مش عارفة أقولك إيه.

صمتت ولكن تكلمت عيناها، سألته دون صوت إذا ما كان يشعر نحوها بأي شيء، وصله تساؤلها فابتسم وقال بكل حنان الدنيا:

- ما تقوليش حاجة يا غادة.. ما تقوليش حاجة.

بعد دقيقة كاملة من صمت الكلام، الذي لا يعني بالضرورة الصمت الكامل، سحبها من يدها وسار بها في اتجاه مائدته المُفضلة ليجد أن أحدًا قد سبقه إليها. عقد حاجبيه في محاولة تذكر متى كانت آخر مرة حدث هذا الموقف، فلم يستطع.

- هل هي إشارة أن قد حان وقت تخطي الماضي؟ هل تأتي الصُدف بهذه الدقة؟ قال مُحدّثًا نفسه.

جلس حسن بعد أن اختارت غادة مائدة أخرى، وقال وهو يبتسم:

- عايز أتفق معاكي على حاجة.

- ها؟

- مش عايز أشوفك خايفة تاني زي إمبارح بالليل.

تنهدت عندما تذكّرت ما رأت، وقالت:

- إنت ما تعرفش مستر مجدي بالنسبة لي إيه يا حسن.. لو تعرف هتُعذُرني.

- أنا عارف.. وعاذرك.. بس ما تنسيش إنك مستعجلة في حُكمك.. وكمان مهما كان اللي مخوّفك مش عايزك تخافي.. طول ما أنا موجود مش عايزك تخافي.. أنا مش هسمح لأي حد يأذيكي طول ما أنا عايش.. أوعدك.

قالت بصوتٍ خافت:

- حاضر.. مش هخاف.

ابتسم وقال:

- جاهزة؟

عقدت حاجبيها باستغراب وقالت:

- لإيه بالظبط؟

- نسرق الظرف.

اعتدلت واقتربت منه وقالت:

- إنت مش ملاحظ إنك بتتكلم على موضوع سرقة الظرف ده كأنك بتعزمني ع السينما؟

ابتسم واقترب منها بدوره وقال:

- عايزاني أعزمك على السينما؟

ضحكت وهزّت رأسها يمينًا ويسارًا في تعجب واضح:

- يا عم أنا بتكلم في إيه وإنت بتتكلم في إيه؟

- إنتي مكبّرة الموضوع على فكرة.

جاء عم عِفت حاملًا صينية عليها ما طلباه في مرّتهم السابقة دون أن يطلبوه اليوم، وقال مُخاطبًا غادة:

- أنا جيبت قهوة لسعادتِك في كوباية زي المرة اللي فاتت.. تمام كده؟

- تسلم إيديك يا راجل يا طيب. قالتها بوِد.

فقال عم عِفت:

- عم عِفت يا بنتي.. اسمي عم عِفت.. حسن بيه ده تربيتي على فكرة.

- ربنا يديك الصحة يا عم عِفت ويخليك ليا. قالها حسن وهو يقف ويضع يده حول كتف عم عفت، وقال لغادة:

- النادي ده كان لا يمكن أعتبّه لو الراجل ده مش فيه.

- ربنا يديم المحبة يا ابني. قالها عم عفت وغادر ونظراتهما المُحِبة تطارده.

اعتدل لها حسن وقال:

- جاهزة؟

قالت وهي تعيد كوب القهوة مكانه:

- جاهزة.. ممكن تقولي مطلوب مني إيه؟

- توصفيلي مكان مكتب مجدي بالتفصيل.. وتخلّيه يسيب المكتب نص ساعة بس.

- طب وإنت هتعمل إيه؟ دي خزنة مقفولة ومكتب وسكرتيرة وصحفيين.

قاطعها وقال:

- خليكي في اللي مطلوب منك.. لو عرفتي تبعديه عن مكتبه نص ساعة.. أنا هعرف أجيب الظرف.

- إتفقنا.. بس أمانة تخلّي بالك من نفسك.

- ما تقلقيش عليا.. يللا بينا.

(33)

الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

وصلت غادة عند المبني الذي يحوي في طابقه السابع المكتب الرئيس لجريدة الملامح المصرية في منطقة وسط البلد. تركت سيارتها للرجل الذي يتولى المُهمة المستحيلة؛ وهي البحث عن مكان للسيارة، كما هي العادة في تلك المنطقة المتكدسة بكل شيء.

كان حسن يتبعها في سيارة أجرة طوال الطريق من النادي للجريدة، نظرت له وهي تعبر الطريق، ولم تمنع نفسها من الابتسام للشخص الذي شعرت تجاهه بمشاعر لم تصدق وجودها سوى في الروايات الرومانسية. ابتسم لها بدوره وطلب من السائق أن يتوقف بعد ثوانٍ من مروره أمام المبني، وتابعها بنظره وهي تدخل المبني. وقف مكانه لدقائق ثم توجه للمبني بدوره.

كان نبض غادة متسارعًا للغاية، وكانت تجاهد حتى لا يبدو عليها التوتر الشديد الذي تعانيه. خرجت من المصعد واتجهت مباشرة لمكتبها وتركت عليه حقيبتها، وتوجهت لمكتب مجدي كارم وأطرافها ترتعش من التوتر، وكأنه سيُدرِك ما تنتويه بمُجرد رؤيتها.

كان باب المكتب مفتوحًا، فدخلت دون استئذان، كان ينهي مكالمة هاتفية، وقابلها بابتسامة ودودة وقال:

- الموضوع بتاعك ممتاز يا غادة.. وكمان عجبني تبنّيكي لفكرة إنه حد بيقلد السفاح.

قالت وقد ساعدها تشجيعه لها على التماسك، فخرج صوتها متماسكًا:

- مبسوطة إنه عجبك يا مستر مجدي.. أنا معطّلاك عن حاجة؟

أشار لها أن تجلس وقال:

- لأ أبدًا.. اتفضلي.

- أنا كنت عايزاك من فضلك تيجي معايا على مكتبي عايزاك تشوف حاجة مهمة.. ومش عارفة أجيبهالك هنا.. دقايق بس.

تعجّب لثوانٍ، ثم قام قائلًا:

- ماشي يللا بينا.

سبقت مجدي في اتجاه مكتبها، ونظرت في ساعتها لتبدأ حساب النصف ساعة التي طلبها منها حسن، ثم توقفت في وسط الطريق وقالت له بصوتٍ خفيض:

- أنا عرفت معلومات جديدة عن القضية يا مستر مجدي.. وكنت عايزة أسأل حضرتك رأيك إيه.

- رأيي في إيه بالظبط؟

- يعني تنصحني أعمل إيه؟ أسلّمها للشرطة؟ ولا أعمل بيها سَبق عندنا الأول؟

عقد حاجبيه، وسأل:

- وإنتي متأكدة إن الشرطة ما تعرفهاش؟

- بنسبة 90 % متأكدة.

- طب هي إيه المعلومات دي؟ مدى خطورتها وتأثيرها على القضية؟

قالت وهي تكمل السير في اتجاه مكتبها:

- هتقلب القضية كلها.

- للدرجة دي؟ قالها متعجبًا

وصلت لمكتبها وفتحت حقيبتها، وأخرجت منها كراستها التي تستخدمها باستمرار، وقلّبت صفحاتها، ثم افسحت له المكان وطلبت منه الجلوس، فانصاع. وبعد أن أصبحت تسد عليه طريق الخروج، قالت بانفعال مفتعل:

- في واحدة تانية إتقتلت قبل داليا.. بس اللي قتلها محترف.. غالبًا هو اللي قتل داليا.. وخلّى الحادثة تبان إنها وقعت في النيل وغرقت.. اسمها هبة.. اللي قتل هبة هو اللي قتل داليا هو اللي قتل تذاكر.. ولبّس تذاكر قضية داليا.. والسفاح قضية تذاكر وخرج منها زي الشعرة من العجين.

كان مجدي كارم مذهولًا من كم المعلومات الخطيرة التي تعرفها غادة، ومُشتتًا من كثرتها، فقال:

- واحدة واحدة بس.. إنتي عرفتي كل ده منين؟

ردّت غادة وقدّ اندمجت مع انفعالها المفتعل، وزاد من اندماجها انبهار مجدي بعملها، فأكملت بانفعال حقيقي:

- أنا اتعرفت على مصدر خطير في القضية دي.. وكل ده عرفته منه في

قاعدة واحدة. ورفعت خصلة خلف أذنها اليمنى عندما ورد ذكر حسن.

فسأل مجدي:

- وإتاأكدتي من المعلومات دي.. لا يكون بيضللك.

ابتسمت بثقة وقالت:

- عيب عليك يا مستر مجدي.. دا أنا تربيتك.

فقال وهو يقف:

- طب ما...

قاطعته حتى لا يغادر قائلة:

- ما قولتش أعمل إيه من وجهة نظرك؟ أبلّغ عصام باللي عرفته؟ وللا إيه؟

رنّ هاتف مجدي المحمول، فنظر له، وقال:

- تعالي معايا يا غادة نكمّل كلام في المكتب.. علشان لازم آخد التليفون ده في مكتبي.

قالها وتخطاها وهو يرُد على المكالمة دون أن تجد أي فرصة لتعطيله، هرولت خلفه ونظرت للساعة لتجد أنها أعطت حسن أقل من نصف المُهلة التي طلبها، ولكنها لم تستطع التدخل ومجدي يتحدث عبر الهاتف وهو يسير بخطوات سريعة في اتجاه مكتبه. فقررت الذهاب خلفه للتتدخل بأي شكل كان عندما يجد مجدي أن هناك غريبًا يعبث بخزينته.

وصل مجدي لباب مكتبه، ومد يده ليفتح الباب، أوشك قلب غادة أن يتوقف من التوتر والخوف.

دخل مجدي كارم لمكتبه، وجلس على كرسيه، وهو لايزال يتحدث عبر الهاتف، قلّب بعض الأوراق أمامه على مكتبه، لها علاقة بالمكالمة المهمة، التي منعته من أن يلاحظ شحوب وجه غادة، وتلفُتها يمينًا ويسارًا في المكتب بحثًا عن حسن، الذي لم يكن له أثر في المكتب، فنظرت للخزينة لتجدها مُغلقة كما هي في الظروف الطبيعية.

غادة في الحقيقة كانت تقف على بُعد متر واحد تقريبًا عن مجدي، ولكنها لا تسمع أي شيء يقوله، لا تسمع سوى دقات قلبها الذي يكاد يصرُخ رفضًا لكل هذا الكمّ من الأدرينالين الذي اندفع عبر عروقها.

فَزعَت غادة وسقطت منها كراستها، عندما أنهى مجدي مكالمته ونادى عليها بصوتٍ عاديّ لا يتناسب مع ردة فعلها، فقام مجدي ودار حول مكتبه مُتجهًا إليها، وقال:

- مالك يا غادة؟

نظرت له وهي تنحني لتلتقط الكراسة، وقالت بصوتٍ مُرتعش:

- ما ما ما مفيش يا مستر مجدي.. القضية دي بس موتّراني.

- طب أقعدي طب وإهدي.

قالت وهي واقفة، لأنها في الحقيقة تريد المُغادرة لتحاول أن تطمئن على حسن:

- أنا ورايا شوية حاجات.. وهاجيلك تاني على طول.

فسأل مُتعجبًا:

- طب وإيه اللي كنتي عايزاني أشوفه على مكتبك؟

- حاجات ع الإيميل.. بس مش مهم دلوقتي.. بعد إذنك. ثم خرجت وتركته مُشفقًا عليها من الضغط الذي تتعرض له بسبب القضية التي تعمل عليها.

اتصلت غادة بحسن وهي تُسرِع الخُطى في اتجاه مكتبها، ولكنها توقفت قبل مكتبها بخطواتٍ عندما رأته واقفًا بكل هدوء أمام مكتبها، يبدو عليه الملل من طولِ انتظارها.

اتسعت عيناها وهي تتجه إليه وتنظر حولها في حركة لا إرادية، حيث يشعر المرء وهو يقوم بأي عمل خاطئ أن كل من حوله يعرفون ما يخفيه وينظرون له. قال هو بمجرد أن أصبحت أمامه:

- إمسكي نفسك شوية علشان إنتي ناقص تعترفي.. بس تصدقي إنك بتحلوّي زيادة لما بتتوتري؟

تنهّدت عندما اطمأنت من كلامه ومظهره أنه لم يتعرض لأي مشكلة، وقالت:

- أنا آسفة ما لحقتش أعطله.. جاله تليفون ونط من قودامي.. بس كويس إنك ما دخلتش.. كنا لبسنا مصيبة.

سأل باستغراب:

- ما دخلتش فين؟

قالت بصوت أقرب للهمس، وهي تجمع أشياءها داخل حقيبتها لتغادر معه:

- مالك يا حسن؟ ما دخلتش مكتب مستر مجدي.

قال بمرح:

- مش بقولك حمارة؟ ثم أخرج هاتفه المحمول، وفتح الصور وأدار لها الهاتف وأكمل:

- أنا صوّرت كل الورق اللي في الملف خلاص.. الموضوع ما أخدش وقت.. ما كانوش كتير.. وبعدين الخزنة دي أغلب من الغُلب.. فكّرِتني بيكي.

(34)

عصر الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

تركت غادة قيادة سيارتها لحسن، لأنها كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة. كان مظهر حسن الهادئ لا يوحي أبدًا أنه انتهى لتوّه من السطو على خزينة مالك ورئيس تحرير جريدة مشهورة، في وضح النهار، وفي حضور تقريبًا كل موظفي الجريدة، والخروج من الجريدة بما أراد ودون خوف أو استعجال. كانت تتأمله وهو يقود السيارة في انبهار ممزوج بالريبة.

وبعد دقائق من الصمت والتأمُل، قالت:

- إنت عملت كده إزاي؟ وإمتى؟ واتعلمت السرقة فين؟ إنت متخيل إنت عملت إيه من دقايق؟ وشكلك إيه دلوقتي؟ كأنك خارج من السينما؟ مش فاهماك!!!

نظر لها باسمًا وقال:

- مش واخدة بالك إن دي تاني مرة تجيبي سيرة السينما النهاردة؟ ده تلميح واضح إنك عايزاني أعزمك على السينما.. كده أنا إتأكدت.

نظرت له بغضب حقيقي، وقالت منفعلة:

- إنت أكيد بتهزر!!!!

قال بهدوء لا يتناسب مع غضبها:

- بالظبط كده.. بهزر.. فيها إيه؟ ممكن تهدي شوية علشان مش هنستفيد حاجة من توَتُرِك ده؟

فنظرت له ولم تُعلِق، فوقف بالسيارة فجأة، واعتدل ليواجهها بصدره، وقال بجدية:

- أنا كنت متوتر فعلًا وانا بفتح الخزنة.. وإيدي كانت بتترعش وانا بصوّر الورق.. بس بمجرد ما خرجت من المكتب من غير ما حد يشوفني هديت.. ولا إنتي عايزاني أفضل متوتر اليوم كله؟ قالها واعتدل وتحرك بالسيارة مرة أخرى.

بعد دقيقة قالت غادة بصوتٍ حنون، حيث كانت قد اقتنعت بوجهة نظره، وبمبالغتها في الأمر:

- أول مرة أشوفك متعصب.. إنت كمان بتحلوّ لما بتتعصب على فكرة.

نظر لها نظرة جانبية ولم يُعقِب، فأكملت:

- يعني أنا غلطانة إني خايفة عليك؟ تصدق إنك فعلًا ما تستاهلش. وضربته بقوة في كتفه الأيمن.

فنظر لها وقال باسمًا:

- بذمتك ما أستاهلش؟

قالت بعِناد:

- أه ما تستاهلش. ونظرت أمامها.

- خلاص يا غادة.. ما تزعليش.. بس مش عايزك تخافي عليا كده.

نظرت له بلوم، ثم قالت بلهجة وكيل نيابة:

- ما جيبتش الظرف ليه؟

أعجبه تأديتها لدور المُحقِق، فتجاوب معها وأجاب بلهجة المُتهم:

- علشان مش عايزه يلاحظ إنه إتسرق يا ناصحة.. ويشُك قبل ما نعرف إحنا بنتعامل مع مين.

- اممم.. فتحت الخزنة إزاي؟

- الحقيقة إني آخر 8 سنين من عمري كنت فاضي فيهم.. فاضي بمعناها المُمِل.. 8 سنين فراغ ممكن يعلّموا الواحد أكتر من كده بكتير صدقيني.. فبطّلي تتفاجئي.

- يعني إنت إتعلمت الحكاية دي من زهقك؟

نظر لها حسن وسأل بمرح:

- إنتي شاكّة فيّ إني كنت بشتغل حرامي يا بت؟

ضحكت وقالت:

- حمارة وبت.. يا ابني إنت بهدلتني خالص.. وبعدين طبعًا مش شاكّة إنك حرامي.. بس مستغرباك.

- لأ ما تستغربيش.. أنا غريب أصلًا.

- طب ممكن بقى نقعد في حتة علشان نشوف اللي لقيته في الظرف ده يا عم الغريب؟

بعد ساعة جلس حسن وغادة في ركنٍ منزوٍ في كافيه كبير من طابقين في شارعٍ من شوارع مصر الجديدة، بعد أن عرجا على مكتبة وقاموا بطباعة الصور

التي التقطها حسن في مكتب مجدي، بعد التأكد من أن الفتاة التي تعمل في المكتبة لن تستطيع أن تلمح ما في الصور، حيث قامت غادة بتوصيل الهاتف والطباعة، وحسن كان يقف بجوار الطابعة لالتقاط الأوراق.

طلب كل منهما قهوته كما يحبها، انتظرا حتى تصل القهوة، حتى لا يقاطعهما شيء، وأخرجت غادة الأوراق من حقيبتها، وشرعت في ترتيبها، حيث أن الأوراق كانت مُرقّمة.

كانت تسعة أوراق فقط، كل الكتابات عليها كانت مطبوعة بالكمبيوتر. كان مطبوع أعلى كل ورقة رقم، وتحته صورة القتيل محفور على جبهته انعكاس نفس الرقم المطبوع أعلى الصورة. وتحت كل صورة مطبوع تاريخ ارتكاب السفاح جريمته، التي سمّاها "العقاب"، ثم تفاصيل جريمة القتيل التي ارتكبها في التاريخ المطبوع في أعلى الصفحة، والتي عاقبه عليها السفاح بقتله، وذكّره بها قبل مقتله، بأن أجبره على أن يكون آخر شيءٍ يراه قبل أن تغادره الروح هو تاريخ جريمته محفور على جبهته، ولذلك كان دائمًا يستخدم مرآة من بيت القتيل، ليضعها أمام عين من يقتل، وهي تفقد بريق الحياة تدريجيًا.

الجريمة 111 (11 يناير)

العقاب: 21 يناير

الشاب سامح نصّار 30 سنة، يقتل بسيّارته الفتاة رانيا غالي 26 سنة، ويتركها جثة هامدة في وسط الطريق ويهرب.

الجريمة 212 (12 فبراير)

العقاب: 19 مارس

صاحب معرض سيارات يتسبب في انهيار عقار ومقتل ستة أفراد تحت أنقاضه، وحصل على البراءة بعد رشوة بعض السُكان غير المتضررين، الذين مكّنوه من توجيه الاتهام لمتوفي، وهو المالك السابق للمعرض.

أسماء الضحايا:

- مصطفى الشيخ 39 سنة
- فاطمة كارم 31 سنة
- دكروري السيد 54 سنة
- قناوي عبد الله 49 سنة
- نجاة عفيفي 38 سنة
- ايمان قناوي 11 سنة

الجريمة 321 (21 مارس)

العقاب: 15 أبريل

صيّاد يقبض ثمن تهريب خمسة شباب لإيطاليا ويلقي بهم في عرض البحر ليلقوا حتفُهم غرقًا.

الشباب:

- محمود شعبان 22 سنة
- أحمد سامح 23 سنة
- حسين شلبي 21 سنة
- هاني محروس 20 سنة
- هيثم تحسين 21 سنة

الجريمة 411 (11 أبريل)

العقاب: 30 أبريل

عامل المزلقان سيد شعيب 39 سنة، يترك مكان خدمته ليذهب ليقابل الخادمة تهاني فهيم 33 سنة، في المنزل التي تعمل به، حيث يغيب أهل المنزل عنه في هذا الوقت من النهار. علمًا بأن كُلًّا منهما متزوّج من آخر.

الضحية:

- الطفل مازن السمري 9 سنوات

الجريمة 517 (17 مايو)

العقاب: 24 مايو

تمكنت الداخلية من إثبات تهمة قتل أربعة أطفال على سنارة النونو بعد القبض عليه، حيث كان يقوم بتعذيبهم حتى يعملوا تحت قيادته في مجال النشل والشحاذة. وهذا بخلاف تهمة الخطف لأكثر من 14 طفل.

لم يستدل على أسماء الضحايا حيث كانت الجثث قد بدأت في التحلل،

ولم تفيد التحقيقات مع المقبوض عليهم في التعرف على أيٍّ منهم.

الجريمة 729 (29 يوليو)

العقاب: 15 سبتمبر

مدرس الدرجة الإعدادية طلعت نجيب 38 سنة، متزوج، اعتاد أن يستغل سذاجة طالباته، وأن يشبع بهم رغباته المريضة أثناء حصص الدروس الخصوصية، حتى حَمَلت منه الطالبة هبة ياسر ١٦ سنة وقامت بالانتحار خوفًا من الفضيحة.

الجريمة 921 (21 سبتمبر)

العقاب: 13 أكتوبر

قتل سائق سيارة النقل حلمي التهامي 49 سنة، وهو تحت تأثير المُخدر، عائلة كاملة، حيث تسبب فقدانه السيطرة على السيارة، في خروج سيارة العائلة عن الطريق، وانقلابها عدة مرات ومقتل ركابها.

الضحايا:

- مصطفى محمد 43 سنة
- سهام درويش 35 سنة
- فرح مصطفى 12 سنة
- هشام مصطفى 9 سنوات

الجريمة 117 (17 نوڤمبر)

العقاب: 19 نوڤمبر

حدد الدكتور وسام حجازي 42 سنة، موعد ولادة للسيدّة سِهام 25 سنة، قبل موعد اكتمال نمو رئتا الجنين بأسبوع، حتى يلحق بموعد زفاف ابنته في فرنسا، وأيضًا لأن أجره يزيد عندما تكون الولادة قيصرية، كما أنه شريك في المستشفى وبقاء الجنين داخل الحضّانة لمدة أسبوع يعود عليه بالنفع.

الضحية:

- سما هاشم

العمر: بضعة دقائق

الصفحة التاسعة كان مطبوع بها:

يا من يحكم عليّ دون علم، حاكم من يستحق، فهو أولى بسوطك.

هذا إرثي، لست فخور به، ولكنها الحقيقة. لا أدّعي أني على حق، ولا أظُن أني أستحق مصيرًا أفضل ممن قتلت، فأنا قاتل. ولا أنكر مُتعتي بمشاهدة بريق الحياة يخبو في عيون من قتلت، ولا أعلم يقينًا - بعد - السبب في تلك اللذة،

هل هو ميلي للقتل وسفك الدماء وحصاد الأرواح عمومًا؟ أم هي لذّة تحقيق العدالة الغائبة؟ لا أعرف، ولن أعرف، لأنني لم أقتل سوى القَتلة. وهذا فقط ما أعرفه يقينًا.

بعد مدة ليست بالقصيرة من الصمت الثقيل، تحركت غادة في محاولة منها لكسر هذا الصمت، وجمعت الأوراق ووضعتها بعناية داخل مظروف كبير اشترته من المكتبة، ونظرت لحسن الذي كانت ملامحه جامدة كالصخر، فلم تتمكن من تخمين ما يدور في باله في تلك اللحظة.

وبعد أن تأكدت أن لا نيّة لديه للحديث، قالت بصوتٍ مبحوح:

- حسن.. الكلام اللي مكتوب ده مالوش غير معنى واحد.

فنظر لها بتساؤل، فأكملت:

- إن مستر مجدي هو القاتل بتاع زمان.. أنا آسفة يا حسن.. عارفة إنه مش سهل إنك تعرف مين اللي... ولم تكمل جملتها، لتتجنب ذكر مقتل زوجته، حتى لا تؤلمه.

بقيت ملامحه جامدة كما هي، وقال بصوتٍ هادئ:

- مش ملاحظة إن دول 8 جرايم بس؟ وإن جريمة نادية مش موجودة؟

أومات غادة برأسها إيجابًا، وقالت:

- لاحظت.. بس أنا أعتقد إني عارفة ليه.

عقد حسن حاجبيه وسأل مستغربًا:

- ليه؟

- يوم ال Interview مع مستر مجدي.. هو قال حاجة مهمة جدًا أخدت بالي من معناها دلوقت.. ثواني أسمّعها لك. ومدت يدها لحقيبتها وأخرجت المُسجِل، وبدأت تظبطه على ما أرادت أن يسمعه حسن.

انطلق صوت غادة من المُسجِل:

"سؤالي لحضرتك هو.. يا ترى حضرتك من البعض اللي بيحبه؟ ولا بيكرهه؟ وتصنيف حضرتك إيه للمقال ده.. غير إنه دفاع عن قاتل.. مفيش فيه ذرة إنسانية؟

مجدي:

- أولًا أنا كتبت المقالة دي بعد جريمتة الثامنة.. وارجعي للتاريخ لو مش مصدقة يا سيادة الصحفية.. واضح إنك محتاجة تراجعي القضية اللي بتحققي فيها قبل ما تشتغلي عليها.. وواضح كمان إني إستعجلت إني سيبتك تشتغليها.. ثانيًا هو لما قتل الضحية التاسعة كان تحت تأثير مرض نفسي.. ضعف.. كلنا عندنا نقطة ضعف.. اللي ضعيف قصاد الشهوة للجنس أو للسلطة أو للفلوس.. هو نقطة ضعفه الغرور والنرجسية.. مين فينا ما بيضعفش قصاد شهواته وما بيغلطش ولو مرة.. غروره عماه.. دفعه لارتكاب غلطة واحدة.. ولو تلاحظي إنه بعدها اختفى.. واضح إن السبب كان ندمه على الغلطة دي.. ثالثًا كل اللي قتلهم قبل مقالتي الأخيرة عنه كانوا يستحقوا القتل.. لكن نظامنا الأعرج كان عاجز عن إنه يرجّع الحقوق لأصحابها.. ومحدش كان عنده الشجاعة يجيب حق الناس غيره.

صوت خبطة قوية، ثم مجدي مُجددًا:

- طالما اللي المفروض يجيب حق الناس عاجز سواء عن قلة حيلة أو تواطؤ.. ما تزعلوش بقى من اللي ياخد حقه بدراعه."

أغلقت غادة المُسجل، وقالت:

- واضح جدًا من رد فعله إنه ندمان على جريمته التاسعة.. ومش عايز يعترف بيها.. وبيعتبرها غلطة المفروض نسامحه عليها مقابل خدماته للمجتمع.. وخصوصًا لما قال إن ندمه عليها هو السبب في إنه يبطل يقتل.. وكمان لو تلاحظ إنه تقريبًا قال نفس الكلام اللي مكتوب في الصفحة الأخيرة.

ونظرت لحسن في محاولة للاكتشاف من ملامحه مدى اقتناعه بتحليلها، ولكن ملامحه الجامدة حالت دون ذلك، وبعد دقائق من الصمت، قال بهدوء:

- تحليلك منطقي.. بس أنا لازم أسمعه بنفسي منه.

ثم تنهّد بغضبٍ مكتوم، وقال بطريقة من عقد النيّة على فعل شيء، ولن يوقفه عن فعله مخلوق:

- أنا قررت أواجهه شخصيًا.

اتسعت عينا غادة خوفًا على حسن، من مواجهة من اكتشفت لتوّها أنه قاتل لا يعرف الرحمة، ولكن ملامح حسن كانت في تلك اللحظة لا تُعطي غير انطباع واحد، أن ذلك القاتل هو من عليه أن يخشاه.

(35)

قبل غروب الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

كان مظهر عصام ناجي لا يدل إلا على أن هذا الرجل لم يغادر مكتبه منذ يومين على الأقل. والحقيقة أنه لم يغادر مكتبه منذ فجر الأربعاء بالفعل، منذ عاد من مسرح الجريمة الثانية للسفاح بعد عودته الغريبة. كان قميصه مفتوحًا لنصف صدره على غير عادته، وكان الإجهاد واضحًا على ملامحه، والهالات السوداء تحت عينه تؤكد أنه لم يذق النوم منذ فترة ليست بالقصيرة، وذقنه كانت غير حليقة بالطبع.

لم ينتبه لرنين هاتفه في بادئ الأمر، بسبب انغماسه في قراءة محاضر وأقوال القضية التي هو بصددها. ولكنه تنبّه لرنين الهاتف فجأة، كمن يصحو من نومه فجأة دون سبب. التقط الهاتف وأجاب دون وعي، ودون النظر لاسم المُتصل:

- نعم.

فجاءه صوت غادة عثمان منفعلًا:

- إنت في مكتبك يا عصام؟

قال بحدّة:

- مين معايا؟

- غادة معاك يا عصام.

نظر للهاتف بتلقائية وقد أدرك أنه لم يتأكد من المتصل قبل أن يرُد، فأعاد الهاتف لأذنه وقال مُبرِرًا:

- معلش يا غادة.. مش شايف قدامي اليومين دول.. أصبري عليا شوية.. وأنا هكلم...

قاطعته بقولها:

- لا أنا مش بتصل علشان عايزة معلومات.. أنا عندي معلومات عايزة أبلّغك بيها.. ومعايا حسن.

عقد عصام حاجبيه وأجاب:

- إيه يا غادة خير؟

- مش هينفع في التليفون يا عصام.. إنت فين نجيلك؟

- في المكتب.. مستنيكي. وأغلق الخط ورن جرس استدعاء حسين، فجاءه مهروِلًا، ولكن ملامحه كانت تحمل همّ ثقيل، لم تتمكن مشاغل عصام من أن تُخفيه عنه. فقال عصام:

- مالك يا ابني إنت كمان؟

فقال حسين وهو ينظُر للأرض هربًا من تحديق عصام:

- ولا حاجة يا عصام بيه.. الحمد لله.

- إقفل الباب وتعالى. فنفّذ حسين، فأشار له عصام بأن يجلس وقال:

- أنا مسحول ومش فايق لشُغل العيال ده يا حسين.. أمك تعبت تاني؟

نظر له حسين وجاهد دموعه حتى لا تظهر، ولكن كفاحه كان أضعف منها، فظهرت كحبّات الندى داخل مُقلتيه، فأضاف عصام:

- طب قوم إعملي القهوة بتاعتي في كوباية وسيبها على الله.

بعد دقائق دخل مكتبه كلًّا من غادة وحسن بعد أن طرقا الباب، فقام عصام من مكانه ودار حول مكتبه ورحّب بهما، وطلب منهما الجلوس، وقال وهو يجلس خلف مكتبه مُجددًا:

- أول مرة تدخل مكتبي يا حسن.. منوّر.

- منوّر بصاحبه.. إنت ما روّحتش من أول امبارح؟

قال عصام:

- باين عليا؟

- جدًا.

دخل حسين وترك قهوة عصام على مكتبه، وسأل:

- البهوات يشربوا حاجة؟

طلب حسن وغادة قهوتهما، وانتظرا حتى خرج حسين، وبدأت غادة الحديث وقالت:

- أنا وحسن عندنا معلومات مهمة جدًا بخصوص القضية اللي بتحقق فيها.

سأل عصام:

- أي قضية بالظبط؟ بتاعة تذاكر؟ ولا قناوي؟

قالت:

- قضايا سفاح الأرقام القديمة.. إحنا تقريبًا عرفنا مين السفاح.

ترك عصام قهوته وأعادها على المكتب قبل أن يرشف منها كما كان ينوي، وقال باستغراب:

- السفاح؟ عرفتوا السفاح؟!!!

قال حسن مُصحِحًا:

- تقريبًا.

قال عصام:

- أنا مش فاهم حاجة.. يعني إيه تقريبًا؟

دخل حسين بالقهوة لغادة وحسن، فقالت غادة بعد انصرافه:

- الموضوع ابتدى من كام يوم.. عملت Interview مع مستر مجدي قال فيه كلام غريب عن السفاح دون وعي وهو متعصّب.. وبعدها شكّيت في ظرف في الخزنة اللي في مكتبه.. ولما فتحناه لقينا فيه الأوراق دي.

ناولت عصام المظروف، ثم ضغطت زر التشغيل في المُسجلة ليسمع عصام المقطع الذي أعادته على حسن قبل ساعات. أنصت عصام جيّدًا لما يُقال،

ثم فتح المظروف وبدأ يقرأ الأوراق بترتيبها. بعد ما فرغ عصام من قراءة الأوراق، نظر لحسن وغادة، وقال:

- أنا مش فاهم.. إنتوا وصلتوا للحاجة إزاي؟

قالت غادة:

- مش مهم وصلنا لها إزاي.. المهم إن النسخة الأصلية موجودة في خزنة مجدي كارم دلوقتي.

- متأكدة؟

- طبعًا يا عصام.. مش هقول حاجة بالخطورة دي إلا لو متأكدة طبعًا.

نقل بصره بين غادة وحسن والأوراق أمامه، وقال:

- معقول؟ مجدي كارم الصحفي المشهور يكون هو السفاح؟

قال حسن الذي بدا هادئًا قليل الكلام:

- مش شايف إن الحكاية منطقية جدًا؟

- إزاي؟

أكمل حسن:

- هو الوحيد اللي كان بيدافع عن السفاح وقت ظهوره.. ومعلّق المقالة اللي اتسببت في طرده وكانت هتتسبب في حبسه على الحيط في مكتبه اللي دافع فيها عن السفاح.. ودافع عن السفاح بضراوة لَمَّا غادة هاجمته.. وهو اللي السفاح

بعت له معلومات عن اللي بيخطف الأطفال.. وهو اللي اختار اسمه.. معقول كل ده صدفة؟

صمت عصام لدقائق، كان يدرس فيها الأمر من كل جوانبه، وقال أخيرًا:

- الورق ده لوحده مش كفاية.. لازم اعتراف منه.. وياريت يا غادة مفيش حاجة من الكلام ده تنزل جرايد خالص.. الورق ده لو إتسرّب هيبقى مجدي ده بطل.. ومش بعيد تنزله مظاهرات تقولِك "Free Magdy" البطل اللي كافح ضد مبارك وفساده.

ثم لفت انتباهه عدم وجود الجريمة التاسعة، فقال وهو ينظر لحسن:

- وبعدين دول 8 بس!!

أجاب حسن:

- ما أنا لاحظت.. علشان كده جيت مع غادة. صمت لثانيتين ثم أكمل:

- أنا عايز أكون موجود وإنت بتواجهه بالكلام ده.

كان عصام يعلم مدى احتياج حسن لمواجهة مجدي، على الأقل حتى يتأكد من أن قاتل زوجته سيدفع الثمن أخيرًا. ولهذا لم يرفض طلبه فورًا، ولكنه أيضًا لا يستطيع تنفيذ طلبه بهذه البساطة. بماذا سيُبرر وجود مدني معه أثناء القبض على رجل بقوة وشهرة مجدي كارم، وخاصة أن القبض على شخص بهذا السيط والشهرة لن يكون بالأمر الهيّن، فبالتأكيد سيتم تصوير الواقعة، وهناك إمكانية أن تُذاع على الهواء أيضًا.

فقال عصام بعد صمتٍ استمر دقيقة كاملة:

- مش عارف هقدر أعمل كده ولا مش هقدر يا حسن.

قال حسن بتصميم:

- هتقدر.

فنظر عصام لغادة التي بدَت واثقة من كلام حسن، ثم أعاد نظره لحسن الذي أكمل:

- لو عملت بالظبط زي ما هقولك.. هتقدر.

(36)

بعد غروب الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

التقط عصام سترته من على الحامل الخشبي في ركن مكتبه، بعد موافقته - بعد إلحاح شديد من غادة - على الخطة التي وضعها حسن لمواجهة مجدي قبل القبض عليه. كان يعلم جيّدًا أن ما يوشِك على القيام به يُعتبر خطأ مهني جسيم، ولكن شعوره بحاجة صديقه لهذه المواجهة سهّل قبوله لارتكاب الخطأ طواعية.

قال عصام لحسن همسًا على باب مكتبه حتى لا تصل كلماته لغادة:

- معاك فلوس يا حسن؟

قال حسن دون تردُد ولكنه لم يمنع نفسه من الاستغراب:

- اللي إنت عايزه.

فقال عصام وهو يشير برأسه ناحية حسين الجالس في نهاية الممر الضيق:

- حسين أمه تعبانة.. وانا مش...

لم ينتظر حسن ليسمع باقي جملة عصام، أعطاه مفاتيح السيارة وقاطعه قائلًا:

- خلاص فهمتك.. روح إنت وغادة على العربية.. وأنا ثواني وهبقى معاكم.

تابع عصام بنظره حسن وهو يُسلّم بودّ على حسين الذي قام من على كُرسيه

باحترام زائد وسلّم على حسن وهو يحني رأسه قليلًا للأمام وعينه تحاول أن تفهم سبب الزيارة، فالطبيعي أن يستدعيه عصام في مكتبه إذا أراد ضيفه منه شيئًا.

وصل حسن للسيارة بعد دقائق من وصول غادة وعصام، واتخذ مكانه خلف عجلة القيادة، وانطلق في صمت في اتجاه منزل مجدي كارم.

بعد ساعة من الصمت الثقيل، وصلت سيارة حسن أمام منزل مجدي كارم في التجمع الخامس. كان بيته مكوّن من طابقين، ذات تصميم عصري، يغلب عليه اللون الأبيض من الخارج. يحيط به سور أسود عالي، وكانت البوابة الحديدية السوداء مفتوحة على مصراعيها، والكابينة المُخصصة للحارس خالية.

تقدّمت غادة وصعدت الدرجات السبع الخارجية وخلفها يمينًا ويسارًا كلٌ من حسن وعصام وكأنهما حارسين شخصييّن. وقفت لثوانٍ أمام الباب لتلتقط أنفاسها. كانت تعلم جيّدًا أنه بمجرد ضغطها على جرس الباب ستتغيّر حياتها - مهنيًّا على الأقل - للأبد، فكأنها كانت تحاول أن تستعد لهذا التغيُر بلحظة من الاسترخاء. احترما حسن وعصام وقفتها بصمت، وكأنها دقيقة حداد صامتة اتفقوا على وقوفها مع غادة حِدادًا على علاقتها بمجدي كارم الذي ظَنّت إنها تعرفه.

بعد ثواني استجمعت شجاعتها وضغطت على جرس الباب، الذي أطلق صوتًا عاليًا داخل المنزل مُعلنًا عن وصول زائر غير متوقع. مرّت ثواني الانتظار بطيئة كالزمن وقت المِحَن، وغادة تجاهد لتبدو طبيعية لمَن سيُجيب نداء جرس الباب.

فتح مجدي الباب مُرتديًا ملابس رياضية غالبًا تُستخدم كملابس منزل لا علاقة لها بالرياضة. ابتسم عندما رأى غادة ولكنه ما لبث أن عقد حاجبيه عندما لاحظ توتُرها التي جاهدت لتخفيه. ثم نقل بصره بينها وبين عصام وحسن، وعاد بنظره إليها مُستفسرًا دون كلام عما يحدث. ابتسمت وقالت بصوت متوتر حاولت عبثًا أن يبدو مَرِحًا:

-كنت قريبة قلت أعدّي أشرب معاك قهوة.. ممكن؟

تنحى جانبًا وأشار لهم بالدخول ولكن ملامح الاستغراب رفضت أن تتنحى عن وجهه، فهو كان واثقًا من أن الزيارة تحمل أكثر مما قالت هي. قادهم مجدي للصالون، ورحّب بهم وقدّم نفسه وهو يمِد يده لعصام قائلًا:

- مجدي كارم.. شرّفت بيتي.

فأجاب عصام:

- عصام ناجي.. رئيس مباحث قسم الحدايق.. ورئيس فريق البحث اللي ماسك قضية السفاح. قال كلمة السفاح بتأنّي وهو ينظر مباشرة في عيني مجدي، الذي لاحظ كيف أن طريقة عصام غير ودّية في الحقيقة كما يجب أن تكون في الحالات العادية، ولكنه تغاضى عن تلك الملاحظة حتى لا يستبق الأحداث، فهو مازال يجهل ما يحدث تحديدًا، ولكنه كان واثقًا أن الزيارة تحمل سببًا غير سار. نظر لحسن ومدّ يده قائلًا:

- ما إتشرفتش بحضرتك.

سلّم عليه حسن بملامح لم يتبيّن مجدي تحديدًا ما تخفيه، وقال:

- حسن الشريف. واكتفى بالاسم.

طلب مجدي منهم الجلوس، وسأل ماذا يُريد كل منهم أن يشرب كما تقتضي أصول الضيافة، ولكن غادة طلبت منه أن يجلس قائلة:

- مستر مجدي.. من فضلك أقعد علشان عصام بيه عايزك في موضوع خطير لا يحتمل التأجيل.

جلس مجدي وكَست ملامحه علامات الحيرة، ونظر لعصام تلقائيًا، الذي اعتدل في جلسته واقترب بجسده من حافة الكنبة التي يجلس عليها ليبدو وكأنه أسد على وشك الهجوم على فريسته. أخرج من داخل سترته مظروف الأوراق التي تحوي خزينة مكتب مجدي نُسخها الأصلية وألقاها على الطاولة التي تقع في منتصف الغرفة بينهما ولكن أمام مجدي. نظر مجدي للمظروف ثم عاد بنظره لعصام، الذي قال وهو ينظُر لعينيه مباشرة:

- ده الورق اللي إحنا جايين هنا بسببه.

ثم أخرج من جيب سترته ورقة مطوية وضعها أمامه هو وقال وهو يشير لها:

- وده إذن النيابة اللي هنفتش بيه مكتبك وبيتك الجميل ده.

عقد مجدي حاجبيه في توتُر ونظر لغادة حتى يتبيّن إن كانت موافقة على ما يُقال، ولكنها راوغت عيناه ونظرت لعصام الذي انتزع من حزامه الكلابشات ووضعها أمامه، ثم أخرج سلاحه الميري وأغلق زر الأمان وسحب طلقة لماسورة السلاح في تهديد واضح لا تُخطئه عين، وقال وهو يضع السلاح فوق إذن النيابة

ويشير له:

- وده سلاحي الميري.. اللي مش هنحتاجه النهاردة علشان إنت مش هتعمل شوشرة.

تنحنح مجدي وقال بصوّتٍ بحّته الصدمة حيث وصلته رسالة التهديد واضحة:

- ممكن أعرف إيه الحكاية؟

ردّ عصام بإشارة من يده صوب المظروف الذي ألقاه أمامه منذ ثوانٍ، وقال:

- أنا اللي جاي هنا أفهم الحكاية.

مدّ مجدي يده للمظروف وفتحه وسحب الأوراق من داخله. وبمُجرد أن وقعت عيناه على أول ورقة حتى توقف ونظر لضيوفه نظرة تحمل شعور بالدهشة واضح، وقال:

- أنا لسة مش فاهم.

قال عصام:

- واضح إنك عارف الورق ده جاي منين.. دا إنت حتى ما فكرتش تشوف كل الورق.

قال مجدي:

- واضح انك عارف كل حاجة إنت كمان.. ليه إذن النيابة ده مش في إيد قوة بتفتش المكتب والبيت؟ ولية الكلابشات دي مش في إيدي؟

ابتسم عصام إعجابًا بذكاء مجدي، وقال:

- غادة عثمان عزيزة عليا جدًا.. وإنت عزيز عليها جدًا.. طلبت مني إنك تاخد فرصة تفسّر بيها كل ده.

- وممكن أعرف أنا المفروض مُتهم بإيه؟

عصام:

- بقتل على الأقل 8 أشخاص. وأشار للورق.

أجفل مجدي لثوانٍ ثم نظر لحسن وقال:

- ومين الأستاذ؟

قال عصام:

- إنت مش في موقف يسمح لك تسأل يا أستاذ مجدي.. أظن واضح.

رد مجدي:

- ما تنساش إنك في بيتي يا عصام بيه.. وإني لحد اللحظة دي مش مُتهم بحاجة رسمي.. على الأقل من حقي أعرف بتكلم قدام مين.

تكلم حسن لأول مرة منذ دخل بيت مجدي، وقال:

- أنا حسن الشريف.. نادية مراتي الضحية التاسعة.. الجريمة اللي مش موجودة وسط الورق ده.

خفق قلب مجدي لثوانٍ، ثم نقل بصره بين الثلاثة وجوه بتأنٍّ، ثم تنحنح وبلع ريقه وقال:

- السر اللي هقوله دلوقت فضلت محتفظ بيه سنين.. بس واضح إن حتى الأسرار ليها تاريخ صلاحية وبتختار تكشف نفسها بنفسها بعده.

(37)

ليل الأربعاء 18 ديسمبر سنة 2013

- الحكاية مش زي ما حد فيكم شاكِك خالص. قالها مجدي ونظر لغادة بلوم واضح، وأكمل:

- معقول يا غادة شاكّة إن أنا السفاح؟ إنتي؟!!!

قالت غادة بصوّت مبحوح حزين:

- أرجوك يا مستر مجدي وضّح الموقف الأول وبعدين إعمل فيا إللي إنت عايزه.. إرفدني.. إحبسني.. أي حاجة مش هقولك لأ.. بس أرجوك إثبت لي إنك مش قاتل.. علشان أرتاح.

ثبّت مجدي عينه عليها لثواني، ثم أراح ظهره وتنهّد بضيق و ونقل بصره بين ثلاثتهم، ثم نظر لعصام مباشرة وبدأ يتكلم بهدوء:

- الظرف ده يا عصام بيه وصلني الجرنان يوم القبض على المشتبه فيه اللي... قطع كلامه فجأة ونظر لحسن؛ حيث أدرك أنه يتحدث عنه، فأشار له وقال:

- الأستاذ. سكت لثوانٍ ليرى رد فعل أيًّا منهم، ثم أكمل عندما لم يتلقى أي شيء:

- وموجود معايا من يومها لحد النهاردة.. ومعرفش النسخ دي وصلت لكم إزاي!!

عصام:

- وما بلّغتش الشرطة ليه؟

- إنت لو تعرف أنا حصل فيا إيه بعد ما كتبت المقالة اللي إتسببت في رفدي وتحويلي للمحكمة كنت هتعرف إجابة سؤالك.. دي كانت أصعب فترة مَرّت عليا في حياتي.. أنا كنت متحوّل للتحقيق في الجرنان.. وجالي استدعاء للنيابة بقائمة تُهَم تليق بإرهابي.. ولو الظرف ده كان ظهر وقتها معرفش كان هيكون في مصلحتي ولا إثبات للتُهم.

رَفع كتفيه لأعلى وأضاف:

- خبّيته.

عصام بشَك:

- ما خُفتش يُقع في إيد الداخلية بأي طريقة وتروح فيها رسمي؟

- خُفت طبعًا.. وعلشان كده الظرف ما كانش معايا.. كنت شايله عند المحامي بتاعي.. وبالمناسبة.. هو يعرف محتوياته.. وحيّ يُرزق.. ممكن تسأله بنفسك.

خيّم الصمت على المكان لدقيقة كاملة، حتى قطعت غادة الصمت قائلة:

- يعني حضرتك فعلًا ما تعرفش أي حاجة عن السفاح ده؟

نظر لها مجدي بلومٍ غاضب ولم يرُد. فقالت بإصرار:

- حضرتك ما شوفتش نفسك دافعت عنه إزاي يوم ال Interview!!

قال بغضب:

- وحضرتك ما شوفتيش نفسك هاجمتيني إزاي.. برضه يوم ال-Interview.. إنتي يا غادة؟ كلامك كان فيه إتهام واضح إني موافق على قتل أبرياء.. فرقتي إيه إنتي عن اللي رفدني واللي كان هيحبسني؟

- حضرتك لما شرحت لي تفاصيل الجريمة التاسعة إتحرق دمي بصراحة.. كنت مُستَفَزة جدًا.

قال مجدي مُندفِعًا:

- وتفتكري إن أنا كمان مش محروق دمي من يومها لحد النهاردة؟ ليه؟ مش بني آدم؟ إنتي مش واخدة بالك إني ممكن أكون شريك ولو بنسبة 1 % في الجريمة دي؟ مش واخدة بالك طبعًا.. محدش فاهم.. ومحدش هيفهم.

قال حسن الذي كان قليل الكلام بصوت هادئ لا يتناسب مع حِدة المناقشة بين مجدي وغادة:

- أنا هفهم.. إزاي ممكن تكون شريك في الجريمة؟

زفر مجدي بضيق، وعاد الهدوء لصوته مُجددًا ولكنه خرج حزينًا يحمل شعور واضح بالذنب وهو يقول:

- يا سيّد حسن.. أنا كنت السبب الرئيس في شُهرة المجرم ده.. ومش

هخبي عليكم أنا كنت سعيد بيه في البداية.. كنت فاكره مُختلف.. مش مُجرد قاتل بدم بارد.. اخترت له اسم.. ونشرت خبر مساعدته في القبض على المجرم بتاع الأطفال.. وكنت مهتم بكل جرايمه.. واكتشفت بتحقيقات كنت بعملها خارج شغلي أكتر من حاجة.. عرفت سبب قتله لصاحب معرض السيارات.. وللدكتور.. وكنت متأكد إنه بيجيب حق ضايع.. كنت متحمس له جدًا.

صمت لثوانٍ، وأكمل بكل حُزن الدنيا:

- وبسبب الشهرة اللي أنا عملتها له فقد هو السيطرة على نفسه لما شَعر إن غيره بدأ يخطف منه الأضواء. قالها وأشار لحسن، وأكمل:

- فارتكب جريمته الأخيرة.. ومن يومها وانا عايش بالذنب.. ومش قادر أسامح نفسي على الذنب ده.. يمكن لو كنت هاجمته زي ما كان بيتطلب منّي كان ارتدع.. يمكن.. الله أعلم.. بس اللي اعرفه عن يقين إني لو كنت هاجمته من أول يوم كنت هبقى مرتاح الضمير الكام سنة اللي فاتوا.

دخلت غرفة الصالون زوجة مجدي تحمل على وجهها ابتسامة صافية، تحوّلت لترحاب شديد عندما رأت غادة:

-كده يا مجدي؟ غادة هنا بقالها شوية وما تقوليش؟ إزيّك يا بنتي؟ منوّرين.

قامت غادة واحتضنتها وقالت:

- الحمد لله يا ماما.. وحشاني والله.

نظرت مدام سامية زوجة مجدي للضيوف وقالت بابتسامة صادقة:

- ساقع؟ ولا سُخن؟

نظر لها حسن بوِدّ وابتسم وقال:

- اللي غادة هتشرب منه.

وقال عصام وهو يخفي سلاحه خلف سترته، الذي التقطه لحظة دخول زوجة مجدي حتى لا تلاحظ وجوده:

- وأنا زيّهم.. شكرًا.

نظرت سامية لزوجها وأدركت من ابتسامته المُصطنعة -كأي زوجة مُحِبة عاشرت زوجها لسنواتٍ عِدة- أن عليّها المغادرة فورًا، فغادرت بهدوء.

ساد الغرفة صمتٌ كئيب لدقيقة، ثم قطعه عصام قائلًا:

- المقالة القديمة اللي كتبتها كانت قبل ما تستلم الظرف ده.. صح؟

- مظبوط.. بكام يوم.

- وإيه اللي كان مأكّد لك إنه مُختلف حتى قبل ما يبعت لك التفاصيل؟

مجدي:

- بعد أكتر من جريمة بدأت أهتم بحكاية السفاح ده.. وبقيت أحاول أحلّ لغز الجريمة مع الشرطة بس بشكل منفصل عنها طبعًا.. زي ما غادة بتحاول تعمل دلوقت في الجرايم الأخيرة.. وتحقيقي وصلّني للربط بين حوادث بتحصل وبتتقيّد ضد مجهول وجرايم السفاح.. على سبيل المثال: الجريمة الثالثة.

بحث في الأوراق التي أمامه والتقط منها ورقة الجريمة (321) وأعطاها لعصام. ثم أكمل:

- اكتشفت إن فيه 5 شباب غرقوا في البحر في نفس اليوم اللي مكتوب على جبهة القتيل.. في نفس المنطقة.. طبعًا مفيش دليل يربط بين الجريمتين.. بس أنا كنت واثق إن دي الجريمة اللي بيتعاقب عليها.

مدّ يده لعصام بالورقة التي تحمل تفاصيل الجريمة (1117)، وأكمل:

- الدكتور ده عمل عملية ولادة في التاريخ ده.. والجنين مات بسبب عدم اكتمال الرئة.. مش ممكن تكون صدفة.

صمت لثوانٍ ليُعطي فُرصة لعصام أن يراجع الورق، ثم أكمل:

- ساعتها كنت إتأكدت بالدليل إنه مُختلف.. وده اللي شجّعني إني أكتب المقالة.. علشان كنت عايزه يعرف إن في حد فاهمه وعارف هو بيعمل إيه.. وبعدين حصل اللي حصل للأسف.

قالها ونظر جانبًا حتى يتجنب النظر لأيٍّ منهم. فقالت غادة بصوت ضعيف:

- ولما المقالة دي بتسبب لك كل تأنيب الضمير ده.. والألم ده.. ليه معلّقها على حيطة مكتبك.. وكأنك فخور بيها.

ضحك مجدي ضحكة قصيرة بسُخرية، وقال:

- أنا معلّقها قدامي علشان دايمًا تفكّرني إني لازم أفكّر ألف مرة قبل ما أغلط الغلطة دي تاني.. مش فخور بحاجة.. دا إختيار غلط مش هنكِره.. بس سايبه قُصادي

علشان أتعلم منه.

دخلت مدام سامية بالقهوة للجميع، تركتها على الطاولة في المنتصف، وقالت وهي تُغادر مُسرعة:

- خلّصوا شغل براحتكم علشان نجهّز العشاء.

انتظر مجدي حتى أغلقت الباب خلفها وأكمل وهو ينظُر لغادة:

- ودا يا غادة اللي خلّاني في أول أيام ثورة يناير أمتنع عن تأييدها برغم الهجوم الشديد اللي طالني وقتها.. مع إني كنت واحد من أشدّ مُعارضي مبارك.. بس الغلطة اللي غلطّتها زمان خلتني أفكر قبل ما أندفع.. ولو تفتكري كلامي ليكي أيامها وانتي منفعلة.. قلتلك هييجي يوم هيبان فيه كل شيء.. ويمكن أطلع غلطان.. لكن مش هندم على موقفي.. "عدم الوقوف مع الحق، أخف وطأة من الوقوف مع الباطل" وده كان عنوان مقالي اللي عمل ضجّة يومها وخسرت بسببه أصدقاء.. لكني مش ندمان عليه.

مدّ حسن يده والتقط فنجان قهوته في إشارة واضحة على استرخاءه وتصديقه لمجدي، فقال عصام بعد أن وصلته رسالة حسن الصامتة:

- ياريت يا مجدي بيه تعترف إنك غلطان في اللي حصل زمان وتكون فعلًا إتعلمت من غلطك.. حد غيرنا ما كانش هييجي بشكل وِدّي.

قال مجدي:

- إنت تقريبًا رفعت عليا السلاح يا عصام بيه.. ومعاك إذن نيابة بتفتيش بيتي.. وِدّي مين بس؟

ابتسم عصام وقال وهو يدفع إذن النيابة بسبابته في اتجاه مجدي:

- ماتنساش إن قبل ما ندخُل هنا كان في احتمال وارد إنك تكون قاتل.. كان لازم تكون رسالتي واضحة إني مش جاي أهزر.

مدّ مجدي يده وتناول إذن النيابة وفضّها، ليكتشف أنها إعلان عن افتتاح محل جديد قُرب منزله. ضحك على سذاجته، ونظر لعصام وأومأ برأسه مُبديًا إعجابه بالخدعة. ثم نظر لغادة وقال:

- ممكن بقى حد يجاوب على سؤالي؟ الورق ده وقع في إيدك إزاي؟

- يوم ما دخلت مكتبك وكان فاضي.. فتحت الخزنة أشوف علبة السجاير شوفته.

سأل مجدي مُستغربًا:

- بس أنا يومها غيبت دقيقة بالظبط.

قالت غادة في محاولة تغيير الموضوع، وكأنها تذكرت شيئًا. لتوها:

- بس حضرتك يومها لما دخلت المكتب جريت فتحت الخزنة وكان شكلك بيتطمن على حاجة.

أوما برأسه مؤكدًا:

- بالظبط.. علبة السجاير.

خبطت جبهتها وقالت وكأنها تُحدث نفسها:

- وانا اللي فسّرت خوفك إنه على الظرف.

رد مجدي:

- حسابك معايا بعدين.

ثم اعتدل ونظر لحسن وقال:

- يا سيد حسن.. مفيش كلام ممكن يوصف أسفي على خسارتك.. أنا من يومها مش بعرف أنام وبالي مرتاح لحد النهاردة.. وعارف إن ده مش كفاية.. ومش هطلب منك تسامحني.

قال حسن وهو يبتسم:

- مش المفروض حد يشيل ذنب غيره.. مش إنت اللي قتلت نادية.. ولا ساعدت في ده.. ما تحمّلش نفسك همّ وذنب مش بتاعك.. أنا عملت زيّك لفترة بس قدرت أتعامل مع الواقع وارضى بالقدر.. الحمد لله على كل شيء.. وصدقني مفيش حاجة علشان أسامحك عليها.. ولو كانت غلطتك إنك صدّقت إن القاتل نواياه طيّبة وإنه مُختلف.. فأنا كمان مُذنب زيّك بالظبط.. لأني كنت مقتنع بيه ومتحمس له زيّك بالظبط.. وعلى فكرة؛ قلت كده في التحقيق معايا.. مع إن عمّك الله يرحمه يا عصام نصحني إني ما أقولش كده لأنه مش في صالحي بعد ماحس إني بريء.

قال مجدي:

- غريبة الدنيا دي بشكل!!

نظر له ضيوفه بحيرة، فأكمل:

- حاجة حصلت من كام سنة هتكون سبب في إننا نتعشى سوا النهاردة وممكن تكون سبب في أكتر من كده. قالها ونقل بصره بين غادة وحسن، فراوغت غادة نظراته، ولكنها رفعت خُصلة من شعرها خلف أُذنها اليُمنى، فتأكدت شكوك مجدي.

(38)

يسير الفقير العجوز على كوبري قصر النيل دون أن يلحظ وجوده أحد، وكأنه جُزء من جماد الكوبري. على الرغم من أنه لا يصمت أبدًا، إلا أن أحدًا لا يسمعه، ولكن هذا لم يمنعه يومًا من الكلام، وكأن هذا هو ما خُلِق من أجله.

حسن الشريف جالسًا في غرفته الخاصة، التي لا يدخلها غيره، يتطلع بثبات للوحته التي أضاف إليها الجريمة الأخيرة التي ارتكبها السفاح، تبدو عليه علامات التفكير العميق.

للقدر تصاريف.. فينا بيتحكم..

يقلب ربيعنا خريف.. ويا ويل من اتعشم..

وساعات نقول سلّمنا ورضينا بالتكشيرة..

نلاقيه بيضحك لنا.. والفرحة بتقدّم..

يرشف عصام ناجي من قهوته رشفة سريعة وهو يراجع ملف قضية السفاح، يُريح ظهره على كُرسيه وينظُر بضيق للورق أمامه، وكأنه يلومه على ألغازه. تبدو على ملامحه خيبة أمل وكأنه على وشك الاستسلام لأمر واقع يرفضه.

مفروض عليا الاختيار..

وإنّي أغزل برجل حمار..

لو ضاع في يوم مني الأمل..

هيبوخ الجد ويبقى هِزار..

تشرب غادة من "مج النسكافية" الخاص بها، الذي تحتفظ به منذ كانت طفلة. يحمل رسمة طفلة في ملابس النوم رافعة يدها في الهواء "تتمطّع" في محاولة لطرد النعس و الكسل من جسدها. تجلس نورهان أمامها على السرير عاقدة ساقيّها تحتها مثل غادة، وتتحدث لغادة بحماس. وبالرغم من أن غادة كانت تنظر لها مباشرة إلا أنها كانت لا تراها حيث كانت غارقة في أفكارها التي كانت تتخبط كسفينة تائهة وسط العاصفة. لحظات تتخيّل نفسها مع حسن في مكان جميل كالحلم، ثم فجأة يختفي أمامها كالسراب. منذ اليوم الأول الذي قابلته فيه وهي لم تتمكن يومًا أن تعرف يقينًا حقيقة مشاعره تجاهها، وهل يشعر نحوها بأي شيء أم لا؟ ولا تعرف أيضًا كيف استطاع دون جهد منه أن يسكن روحها بهذا الاستقرار؟ وهل سيأتي يوم ويشعر بما تشعر به تجاهه؟

الدنيا رحلة والصديق مطلوب..

يا سلام بقى لو كان صديق محبوب..

صاحب حبيبك قبل ما تملّه..

أصعب ملل.. ملل القلوب..

يشعل مجدي كارم سيجارته وينفث دخانها إلى السماء، ينظر من فوق سطح العمارة التي يوجد بها المكتب الرئيس لجريدته، يرى وسط البلد كلها تقريبًا. ينظر لميدان التحرير ويتذكر أحداث الثورة المصرية، وهي على وشك إتمام عامها الثالث، وكيف كانت ومازالت مثارًا للجدل. يشعر بحجم المسؤولية التي يحملها

جيله، وخاصة في مجال عمله، وهي توصيل الصورة الحقيقية عما حدث في مصر في تلك الفترة. تنهّد وهو يحدث نفسه صامتًا: "كيف ننقل صورة حقيقية عما حدث ونحن لا نعرف الحقيقة كاملة؟ عندما تكون ممثلًا على مسرح الأحداث، لن تتمكن أبدًا من أن تحكم على الحدث ككل. الوحيد القادر على الحُكم هو من لم يشارك، حيث يرى الصورة كاملة... هل ظلمنا الثورة بالمشاركة فيها؟ هل كان يجب علينا أن نتفرغ للتوثيق؟ هل كان يجب علينا أن نقف موقف المحايد حتى يتثنى لنا الحكم عليها بموضوعية؟ هل كانت ثورة أم مؤامرة كما يؤكد البعض الآن؟ هل كان النظام فاسدًا ويستحق أن يثور عليه الشعب؟ أم أن فساد هذا النظام هو جزء لا يتجزأ من فساد الشعب الذي لن يزول بثورة؛ وإنما بسنواتٍ من العمل الجاد المدعوم بالإرادة على مستوى الشعب والدولة على حَدٍّ سواء؟ هل نستحق كشعب نظام أفضل مما سبق؟ ومن يتحمل الجزء الأكبر من ذنب الفساد؟ الراشي أم المُرتشي؟ أم أن كلاهُما فاسد بنفس الدرجة؟ هل يجب أن يكون من يقف في مواجهة الفساد قاتلًا مثل سفاح الأرقام؟ ولماذا أشعر بالسعادة عندما ينتصر القاتل على القاتل؟ أو عندما يقتل القاتل من أفسد؟ أليس كلاهما مُخطئ؟ أم أن اليأس يمكن أن يتلاعب بالقيَم على نحوٍ لا نشعر به ولكن ندرك تأثيره فجأة؟ هل هذا هو ما حدث أثناء الثورة؟ هل نستطيع مواجهة الظلم بالعدل؟ ومواجهة القتل والفساد بالقانون؟ ومواجهة الجهل بالتنوير؟ وإن كُنّا لا نستطيع، هل سنستطيع يومًا؟ وإن كُنا لا نستطيع سوى أن نخوض الحرب بقذارة، فلماذا ندّعي الشرف والمثالية والسلمية كما نفعل؟ ولماذا ننكر أفعالًا نعلم

يقينًا أنها حدثت؟ هل كانت ثورة سلمية كما ندّعي؟ إذن فمن حرق كل ما تم حرقه؟ وهل كانت ستنجح الثورة دون حرقٍ أو تدمير؟ وهل نجحت بهما؟ هل رحيل رئيس يعني نجاح الثورة؟ هل سأتمكن يومًا من الإجابة على أيٍّ من تلك التساؤلات بضميرٍ مُستريح؟"

إزاي يكون الصح سايب شعور بالذنب..
وعشان تعيش مرتاح لازم يموت القلب..
مقلوبة يا موازين والمخلصين خاينين..
قول للضمير لو نطق.. إخرس يا إبن الكلب..

(39)

الخميس 26 ديسمبر سنة 2013

خرج مجدي كارم مرتديًا حلّة أنيقة دون رابطة عُنق من مصعد العمارة التي يسكنها عصام، ولم يحتج أكثر من ثانية واحدة ليعرف إلى أين يتجه حيث سمع صوت الأغاني تنطلق من خلف باب الشقة المواجهة للمصعد، نقل هدية عيد ميلاد مَلَك وحيدة عصام ليده اليسرى وضغط الجرس بيمينه.

فتحت مَلَك باب الشقة بوجه سعيد، ما أجمل الطفولة؛ حيث لا شيء يعكِر المزاج، فتلك الطفلة السعيدة بحلول ليلة عيد ميلادها سعادة من امتلك الدنيا، ستتحوّل بتقدم العمر لسيّدة تذكّرها تلك الليلة بالشعرة البيضاء التي ستظهر عما قريب وسط شعرها الأسود الجميل، لتتحوّل تلك السعادة لابتسامة مصطنعة ثم لاكتئاب مؤقت بعد رحيل المدعوّين. قال مجدي لنفسه سِرًّا وهو يُسلم عليها ويناولها هديّتها "ياليتني ما تمنيت أن أتقدم في العمر عندما كنت في مثل عمرك" وكأن عدم التمني كان ليوقف تقدم الزمن.

مال عليها مجدي وسألها بوِد:

- بابا فين يا مَلَك؟

فأشارت للخلف دون أن تنظر له، حيث كانت عيناها متعلقة بتلك العلبة المغلقة التي ناولها إياها. رفع عينه للداخل ليرى عدد غير قليل من الأطفال

يتحركون في كل اتجاه، منهم من يرقص ومنهم من يبتسم ابتسامة مصطنعة ليلتقط صورة لنفسه مع أصدقاء يُحيطون به. ولمح بعض السيدات يتحدثن مع بعضهن البعض دون اكتراث لصوت الأغاني العالي. ثم أخيرًا رأى عصام قادمًا نحوه مرتديًا قميصًا أبيض مفتوح الأزرار وبنطلون چينز وعلى وجهه ابتسامة سعيدة، قال عصام فاتحًا ذراعيه:

- كده أنا إتأكدت إنك مش زعلان مني علشان زيارة البيت.. بجد تشريفك النهاردة فرّحني.

- مفيش زعل ولا حاجة.. أنا اللي متشكر على العزومة.. والمدام بتعتذر علشان ما قدرتش تيجي.

أغلق عصام الباب وأشار لمجدي ناحية الصالون، وقال:

- خسارة.. كان نفسي تشرفنا.. بس تتعوّض إن شاء الله.

تحرك مجدي خلف عصام في اتجاه الصالون، متفاديًا العديد من البالونات والأطفال الذين يطاردونها في سعادة، واضطر لرفع صوته ليصل لعصام بسبب الأغاني التي تملأ المكان:

- غادة لسة مجاتش؟

التفت له عصام وأفسح له الطريق ليتقدمه وقال:

- ولا حسن كمان.. شكلهم جايين سوا.

ثم أكمل وهو يشير للجالسين معه في الصالون تباعًا:

- الأستاذ راشد غريب.. حمايا.. شريف ناجي.. صديق عمري.. هاني

محفوظ.. مهندس وصديق.

حيّا مجدي كلًّا منهم، وقبل أن يقدمه عصام، قام راشد وقال:

- الأستاذ مجدي كارم شخصيًا؟ ما كنتش أعرف إنك تعرف عصام!!

مجدي:

- إتشرفت بمعرفته قبل أسبوع لحسن الحظ.. ومعرفش إنه نسيب رجل الأعمال المشهور راشد غريب.. تشرفت.

راشد:

- الشرف ليا يا مجدي بيه.. ده حضرتك شخصية وطنية نادرة حقيقي.

مجدي:

- ده من ذوق سعادتك.

أشار عصام لهم بالجلوس قائلًا:

- إتفضلوا.. تشرب إيه يا أستاذ مجدي.. إحنا سبقناك.

مجدي:

- ميّة بس.. كتر خيرك.

جاءت ريم راشد أخت رضوى ونظرت لمجدي نظرة لوم واضحة وجلست قبالته وقالت قبل أن يستفسر عن نظرتها:

- أستاذ مجدي كارم المعارض الكبير لمبارك واللي باع الثورة في ثانية.. يادي الهنا يادي الهنا.. ما كنتش أعرف إنك صاحب عصام.

أدرك مجدي بذكاءه أن ريم من الشابات التي تراه خائنًا للثورة بعد انتقاده

لسلبياتها، وبحكم عمله فقد تعوّد على هذا النوع من السخرية منه، فابتسم وقال وهو ينظر لها:

- ما إتشرفتش بحضرتك.. واضح إنك عارفاني.

ريم:

- وهو في حد في مصر ما يعرفش حضرتك؟

فقال راشد:

- دي بنتي.. ثورجية من النوع اللي دماغه أنشف من الحديد.

قال شريف ناجي:

- شايف يا مجدي بيه؟ أدي اللي خدناه من نكسة يناير.. الناس في مكان زي ده بتخوّن بعض. وأشاح بنظره بعيدًا ليتفادى نظرة ريم الغاضبة.

فقال مجدي:

- إسمح لي أختلف معاك على تسميتها نكسة.. ماهو ده برضه استفزاز في غير محله.

شريف:

- كل الأرقام اللي لا يمكن تزويرها مش بتقول غير إنها نكسة.. سياحة.. احتياطي.. جرايم.. اقتصاد.. سوق العمل.. أمن قومي.

أومأ مجدي برأسه متفهمًا، وأضاف:

- دي سلبيات محدش يقدر ينكرها.. لكن إغفال إن تغيير نظام مبارك كان ضرورة لمجرد إن التغيير تم بطريقة غلط هو عين الظلم برضه يا شريف بيه.. نظام

مبارك كان فقد كل شعبية له في الشارع وكل تعاطف وخاصة بين الشباب.. وده اللي سهّل مهمة إسقاطه.

ريم:

- دلوقت حضرتك بتدافع عن الثورة؟ أنا مستغربة حضرتك بصراحة!!

ابتسم مجدي وقال:

- الغريب فعلًا إنك تفترضي إن انتقادي للشيء هو هجوم وتشويه.. يا آنسة ريم.. الدفاع عن الغلط هو عين الغلط.. إنتي وكل الشباب اللي تحمّس لفكرة الثورة غلطتوا غلطة عمركم يوم ما إتجريتوا للدفاع عن أخطاءها.. فأصبحتم في الجانب الغلط من المعادلة.

ريم:

- المعادلة ما فيهاش غير مع الثورة أو ضدها.. بلاش تحاول تقنعني بالكلام اللي بتكتبه في مقالاتك إن في مكان في النُص.. لأنه مفيش.

مجدي:

- أنا ما قلتش أبدًا إن في مكان في النص.. الحقيقة إني طول عمري كان عندي هدف من الوقوف في وش الفساد والظلم.. وهو إني أشوف مصر أحسن.. المصيبة يا ريم إني شايف ناس كتير أصبحت الثورة عندهم هي الهدف مش وسيلة لتحسين الوضع.. وبالتالي لما وصل الحال للحظة اللي تعارضت فيها مصلحة مصر مع مصلحة الثورة.. وقفوا دون وعي منهم ضد مصلحة مصر.. مع إنهم فاكرين نفسهم بيخدموا مصر عن طريق الثورة.

ريم:

- وهو مصلحة مصر مش مصلحة الثورة؟ ماهي الثورة كانت علشان مصر.

مجدي:

- بكل تأكيد.. الخطر الحقيقي اللي كان بيهدد مصر قبل يناير كان الفساد.. لكن دلوقت الخطر الأول على مصر هو أمنها القومي.. الظروف اتغيّرت وبالتالي لازم تتغيّر الأولويات.. الثبات على الموقف في الظروف المتغيّرة هو عين الغلط.. ولا هنبقى عاملين زي الراجل اللي عايز يغيّر ستاير البيت.. بس في وسط تغيير الستاير باب الشقة اتكسر.. فيقول أنا طالما شغال في الستاير لازم أخلصها الأول.. ونقعد من غير باب شوية مش مشكلة.. هو ده اللي أقصده بالأولويات.

ريم:

- وليه ما تعملش الإتنين؟

مجدي:

- ماهو ده اللي بيحصل.. شغالين في الخطة اللي المفروض كانت تحصل بعد 11 فبراير.. بس ربنا ينتقم من اللي منع تنفيذها.

ريم:

- يعني إنت موافق ييجي راجل عسكري تاني؟

مجدي:

- أنا موقفي ثابت.. فين معيار الحكم على الرئيس؟ أنا شخصيًا شايف إن معيار الكفاءة هو اللي المفروض نستخدمه.. ماهو مش كل عسكري فاسد ولا كلهم

ملايكة.. ولا كل مدني ملاك.. ما إنتي جربتي المدني.. والتجربة الفاشلة دي تسببت في وصم كل من هو مدني بالعار عند غالبية الشعب.. ليه؟ علشان إنتوا فضلتوا تدافعوا عن الثورة في الصح وفي الغلط لحد ما حفرتوا قبرها.. يا ريم الموقف سهل وواضح.. هديلك مثال سهل.. أتوبيس فيه ركاب كتير.. واحد سايق بقاله كتير.. قام كام واحد من الركاب طلبوا تغيير السواق.. وبعد شد وجذب إتغيّر السواق فعلًا.. الجديد كان هيقع بالأتوبيس في الترعة.. الطبيعي إن غالبية الركاب يطلبوا من اللي كان سايق يرجع يكمّل الطريق.. مش معنى كده إنهم عبيد.. معنى كده إنكم فشلتوا.. وبتكرروا نفس الغلطة تاني.. عايزين تجيبوا واحد غير مؤهل تاني يسوق.. ما تتعلموا من الغلط علشان كلنا نستفيد وتجهّزوا واحد شاطر الأول ومتعلم السواقة كويس.. علشان لما تيجي الفرصة يكون على قدر المسؤولية.

ريم:

- موت يا حمار على ما تيجي الفرصة.

مجدي:

- وارد إن الفرصة تتأخر.. بس تغيير البلد مش بييجي في يوم وليلة.. ولكن اللي إتسبب في تأخير الفرصة هو إنتوا.. وكل ما تعترفوا بده بسرعة.. كل ما هترجعوا تشتغلوا صح بدري.. لو عايزة تعملي تغيير النهاردة وبيان نتيجته بكرة تبقي أنانية.. سامحيني بس هي دي الحقيقة.. لو فعلًا عايزة مصلحة البلد.. تبتدي النهاردة بتغيير بسيط وتأثيره مش هيبان في عمرك.. بس على المدى البعيد.. كل حاجة هتتحسن في وقتها.

شرب كوب الماء أمامه وأكمل:

- يا ريم.. إنتي والدولة في فريق واحد.. إيّاكي حد يجُرك وتقفي ضد الدولة.. إنتوا بقيتوا عاملين زي الفريق اللي بيموّت لاعيبته بعضهم في التدريب.. ونص نجوم الفريق تتصاب في التدريب وساعة الماتش بيستغربوا لما بيتغلبوا.. انتقدوا الدولة بهدف الإصلاح.. انتقدوا المؤسسة بهدف تقويتها.. مش بهدف إنهاكها وإسقاطها.. وما تغلطوش غلطة يناير تاني.. لأن النتيجة هتكون هي هي أو لا قدر الله أسوأ.

تدخل عصام في الحديث قائلًا:

- على فكرة يا ريم.. دي أول مرة أستاذ مجدي يشرّفني في بيتي.. أبوس أيدك بلاش تبقى أخر مرة.

ضحكت ريم وقالت:

- ده نقاش هادي.. أنا مش بعُضّ يا عصام.

مجدي:

- يا عصام.. ريم من أكتر الشباب اللي مختلف معايا أدبًا واحترامًا.. إنت لو تشوف بيعملوا فيا إيه على الـ Social Networks هتعرف قصدي.

راشد:

- دي ضريبة إنك تكون مشهور في بلدنا للأسف.

مجدي:

- في كل حتة مش مصر بس.. دي ضريبة الشهرة عمومًا.

فتح حسن في تلك اللحظات باب سيارة غادة، التي وجدت مكان مناسب

لتترك به السيارة بأعجوبة بقرب العمارة التي يسكنها عصام، وقال:

- مستنيكي بقالي ربع ساعة في الشارع.

اتسعت عيناها وقالت:

- والله ما أعرف.. وبعدين بقالي إسبوع مش عارفة أوصلّك.. تستاهل أصلًا.

- حقك عمومًا تزعلي.. بس أنا كنت شغال في القضية.. وعايزك في حاجة مهمة قبل ما نطلع.

غادرت السيارة، فاقتربت منه رغمًا عنها حيث أنه كان يقف بجوار بابها، فنظرت إلى عينيه مباشرة وقالت بهمس:

- عيني.

فقال بجدية لا تتناسب مع توقعاتها:

- أنا شاكك في حد.. شبه متأكد إن هو اللي قتل هبة وداليا وتذاكر أو له علاقة بقتلهم على الأقل.

قالت بلهفة:

- بجد؟ مين؟!!

أشار لأعلى وقال بقلق:

- موجود فوق.

نظرت بتلقائية دون وعي لأعلى، ثم عقدت حاجبيها وقالت مستنكرة:

- فوق فين بالظبط؟

- في عيد ميلاد مَلَك يا غادة.. هيكون فوق فين يعني؟

- نعم؟!!

- يارب يطلع شكّي مش في محله. قالها بضيق.

- مين يا حسن؟

أسند ظهره إلى جانب السيارة وقال:

- مين اللي يعرف كل تفاصيل قضية السفاح وله علاقة بالضحايا؟ هو ده السؤال اللي كنت بسأله لنفسي من أول يوم.. لحد ما وصلت للإجابة من كام يوم.. ومن ساعتها بفكر في طريقة أتأكد منها ومش لاقي.

صمت لثوانٍ ثم أكمل:

- إنتي عارفة إن المستشفيات اللي كانت بتشتغل فيها هبة وداليا تابعة للمجموعة الاستثمارية اللي بيملكها رجل الأعمال حازم البدري؟

قالت دون فهم ولكن بتوجُس:

- لأ.

- الراجل ده شريك راشد غريب في مشاريع كتير في مصر.

أسندت غادة ظهرها على السيارة، كمن تحاول منع انهيار متوقع، وقالت:

- معقول؟

- معقول إيه؟

- يكون عصام؟

هز حسن رأسه نافيًا، وقال:

- أنا كنت شاكك في ده من أول ما عرفت إن حازم البدري يمتلك مجموعة المستشفيات دي وغيرها.. لكن معرفتي بعصام أكدت لي إن مش هوّ القاتل.. لو هوّ كنت هعرف.. لكن اكتشفت إن في حد تاني كان عارف كل تفاصيل قضايا السفاح.. وكمان تربطه علاقة مباشرة بحازم البدري.. اللي يملك المجموعة الإستثمارية اللي تملك المستشفيات اللي كانت بتشتغل فيها هبة وداليا.. وده لا يمكن يكون صدفة.

قالت غادة بنفاد صبر:

- ما تقول يا حسن مين؟ أنا واقفة بالعافية.

- شريف ناجي.

قالت بذهول:

- شريف؟!!!!

أومأ حسن برأسه إيجابًا، ولم يرُد. وبعد دقيقة كاملة من الصمت، تركها حسن لغادة حتى تستوعب الأمر، قال:

- مش عايز حاجة خالص تبان عليكي لما تقابليه.. أنا بس حبّيت أحذّرك منه لحد ما أتأكد.

قالت وهي تزفر بحرقة:

- هحاول يا حسن.. هحاول.. بس خليك جنبي أرجوك. قالتها وأمسكت كف يده وضغطت عليه كأنها طفلة خائفة أن تضيع وتتعلق بكف والدها وسط زحام السوق.

فقال حسن وهو يضغط كفّها لطمأنتها:

- لا يمكن أسمح إن حاجة تحصلّك وانا عايش.. لا يمكن.. ما تخافيش وانا جنبك.. أبدًا.

قالت بصوت مرتجف:

- حاضر.

فتح عصام باب شقته بلهفة بعد تأكده من "العين السحرية" أن الطارق هو صديقه حسن ومعه غادة، وقال بفرحة:

- أخيرًا؟ مصر كلها وصلت وانتوا لسه.

قال حسن بابتسامته المعتادة:

- أنا تحت من بدري.. مستني غادة.. ما حبيتش اطلع لوحدي.

عصام:

- ليه؟ هناكلك؟ أدخل أدخل.. وانتي يا غادة.. قالبة الدنيا بمقالاتك.. ومحدش هيعرف يكلمك بعد كده.

ابتسمت ابتسامة متوترة وعيناها تبحث خلف عصام رغمًا عنها:

- لأ ما تقلقش.. مش هستغنى عنك.. ما إنت مصدر أساسي برضو.

أغلق عصام باب الشقة وقال:

- على فكرة.. رضوى عايزة تتعرف عليكي.

ولكن غادة لم ترد، حيث كانت قد لمحت شريف وهو يتحدث منفعلًا مع ريم، ولكنه بمجرد أن لمحها هو حتى لمعت عيناه، وابتسم لها ابتسامة بدَت لها مختلفة عما تعرفه عنه من قبل، غالبًا بسبب ما قاله لها حسن، فحتى إذا كانت الابتسامة

عادية، ستراها هي مختلفة، بسبب ألاعيب العقل، حيث يجعلها تظن أن شريف يعرف ما تخفيه، فتوترت رغمًا عنها.

- غادة.. عصام بيكلمك.

أفاقت غادة على صوت حسن، الذي لاحظ توتُرها، فحاول أن يلهيها عنه، فقالت بابتسامة جاهدت لتجعلها طبيعية:

- ياريت يا عصام.. وفين مَلَك علشان تاخد هديّتها؟

ترك حسن هديّة مَلَك في يد عصام، وقال:

- وصّل دي لمَلَك.. وروح إنت وصّل غادة.. وانا هقعد مع أستاذ مجدي لحد ما تفضى.

- على فكرة يا حسن.. حسين قالي على اللي عملته مع والدته.. معقول يا حسن تعملها العملية كلها على حسابك؟

قال حسن بضيق:

- أنا كنت قايله ما يجيبش سيرة.

- عارف بس أنا اللي ضغطت عليه بسؤالي.. ربنا يجازيك خير يا حسن. قالها وابتسم لحسن ثم دار ليعطي مَلَك هديّتها.

عاد عصام لحسن بعد دقائق ليجده يخاطب شريف قائلًا:

- بس مش شايف إن الشرطة كانت مزوّداها شوية قبل 2011؟

- يا حسن بيه الشعب ده واطي ما ينفعش معاه غير العصاية.. سعادتك محتاج تقضّي وردية واحدة بس في قسم وانت تعرف إن الشعب ده يستاهل

ضرب الجزم.. ولا تعالى شرّفني في مكتبي يومين.. تلاقي اللي بيقولك أنا لا يمكن أسمح يتعمل برج اتصالات في المنطقة ده بيجيب سرطان.. ياخد قرشين.. وتلاقيه ساكت زي الكلب.. هو ده الشعب اللي عايزه يعيش في ديموقراطية؟

ابتسم حسن وقال:

- الموضوع ده يطول فيه الكلام.. ما هو قيادات الشرطة نفسها ياما تورطت في قضايا فساد مالي.. مالها دي ومال وعي الشعب؟ الشعب مهما كان وِحِش فهو ضعيف.. لكن لما يكون جهاز أمني صاحب سلطة ومفتري دي تبقى مصيبة.. ونتيجتها اللي شوفناه في يناير.

تدخّل عصام قائلًا:

- ما بلاش شريف يا حسن.. تقريبًا هو أكتر واحد في العالم بيكره ثورة يناير.. وشعب مصر كله تقريبًا.

قال شريف:

- مش كُلهم.. في ييجي خمسة ولا ستة بحبّهم. قالها وضحك بصوتٍ عال.

نظر شريف في اتجاه الشرفة بحثًا عن غادة، التي كان ومازال معجبًا بها، وكان ينتظر تلك الليلة ليقابلها ويحاول أن يصل لما فشل في الوصول له من قبل، ظَنًّا منه أن حالته المادية كانت السبب، فكان على يقين أنها ستنبهر بعد أن تراه في ثوبه الجديد، حرفيًّا ومجازيًّا، فقد اشترى حلة جديدة يفوق سعرها مرتبها في الجريدة عن شهرين على الأقل لهذه المناسبة.

لمّا لمحها، التقت عينه بعينها لثانية، ثم لاحظ ارتباكها الواضح، وتهرُبها من

سلامه الذي أحبطته مراوغتها. كان واثقًا مما رأى ولكنه لم يكن واثقًا من السبب، فأرجع غروره في نفسه ارتباكها لحالة الخجل التي تنتاب أي فتاة عند لقاء شاب وسيم مثله، فاستأذن من حسن وعصام، وتحرك في اتجاهها بثقة وابتسامة تبدو ساحرة مع حلته الجديدة. وقف أمامها، ومدّ يده قائلًا:

- أمال لو ما كانش بيننا عيش وملح.

ارتبكت بشكل واضح، وابتسمت ابتسامة كانت كفيلة بتأكيد شكوك شريف أنها ليست في حالتها الطبيعية، وقالت:

- ششششـ.. شريف.. مش واخدة بالي خالص.. إزيّك؟

- مالك يا غادة؟ إنتي زي ما تكوني شوفتي عفريت!!

ضحكت رضوى زوجة عصام التي كانت واقفة مع غادة وقالت مازحة:

- إنت فيك من العفريت بصراحة يا شريف بالتسريحة الجديدة دي.

فضحك شريف وجاهدت غادة عبثًا لتبدو ضحكتها طبيعية وقالت:

- فينك يا شريف؟ مش بتسأل يعني!!

- أنا كلمتك أكتر من مرة.. وبعتلك ع الواتساب.. بس شكل القضية واخداكي من الدنيا.. أنا متابع كل تحقيقاتك.. براڤو عليكي بجد.

- القضية؟ آه.. دا أنا ما بنامش.. والأرقام كلها ضاعت من عندي.. معلش يمكن معرفش إن إنت.. إبقى رنّلي وأنا هسجل نمرتك.. عن إذنك.

وسألت رضوى عن مكان الحمام، وتركته وسط شكوك لا ترحم. كان أسلوبها معه يترك انطباع أنها تخشاه، لا يمكن أن يخلط الخوف بالخجل، هي

تخشاه، ولكن لماذا؟

تلقى هاتف شريف رسالة، فأخرجه الأخير ليقرأها، وما أن ظهر فحواها على الشاشة حتى تغيّرت ملامحه من الحيرة من تصرف غادة معه، لغضب شديد وتوتر وانفعال، ودار برأسه في الشقة وكأنه يبحث عن شيءٍ ما، ولكنه وجد عصام أمامه يقول له:

- ما تيجي يا ابني تقعد معانا بدل ما إنت عامل زي التايه في المولد كده.

احتاج شريف لثانيتين حتى يدرك أن عصام يكلّمه، ومثلهم حتى يدرك ما قال له، ثم قال والتوتر يعصف به:

- معلش يا عصام.. مشكلة في الشغل.. لازم أنزل حالًا.. سامحني.. يللا سلام. قالها وغادر الشقة دون تأخير.

عاد عصام لحسن الذي لاحظ ما حدث، فقال:

- صاحبك ماله؟ شكله في حاجة مضايقاه.

- مش عارف يا حسن والله.. بس فجأة جت له رسالة واضطر ينزل.. ربنا يستر تكون حاجة بسيطة.

- ربنا يستر.

(40)

قبل منتصف ليل الخميس 26 ديسمبر سنة 2013

فتح حسن باب سيارة غادة لها لتركبها بعد مغادرتهم سويًّا عيد ميلاد مَلَك، نظرت هي له وقالت:

- أنا عايزة أتكلم معاك شوية يا حسن.. مش عارفة أتلم عليك بقالي أسبوع.

- بلاش اليومين دول.. هانت.. نخلص بس من القضية اللي في إيدينا وبعدها عندنا العمر كله.

ألقت حقيبتها بغضب على المقعد المجاور لمقعد السائق وقالت بضيق:

- أنا مش قادرة أفهَمك يا حسن.. شوية بتكون أحنّ حد في الدنيا.. وشوية بتكون غامض لدرجة بتحسسني كأني معرفش إنت مين.. خليك براحتك.. سلام.

قالتها وركبت السيارة وأغلقت بابها بعنف وأدارت المحرك، فانحنى حسن عند النافذة وابتسم ابتسامة من جرحه الكلام ولكنه لم يستاء من القائل، وقال بصوتٍ حنون:

- أنا ما طلبتش منك غير شوية وقت أقفل فيه صفحة لازم تتقفل.. ليه بتلوميني وكأن أنا اللي اخترت أفتحها؟ إنتي عارفة ظروفي من أول يوم.

صمت لثوانٍ ثم أكمل:

- أنا آسف لو ضايقتك بأي شكل.. حقيقي مش قصدي.. خلّي بالِك من نفسك. قالها وسار في اتجاه سيارته.

شعرت غادة بقدر كبير من الإشفاق على حسن بعد جملته الأخيرة، ولكنها لم تنطق، فهي امرأة أولًا وأخيرًا، يمكن أن تتفهّم انشغال حبيبها عنها نظرًا لظروفه، ولكن مستحيل أن تعترف بذلك، فهي قد تُخطئ بطلب بعض من الاهتمام الزائد في وقت غير مناسب، ولكنها تعتبر هذا الطلب يأتي بدافع الحب، إذن فهو مُبرر، وبالتالي فهو لا يعتبر خطأً في الحقيقة، بل اهتمام زائد يجب مراعاته وتستحق الشكر عليه أيضًا. زفرت بضيق وهي تُحدث نفسها قائلة:

- براحتك يا حسن.. لما تبقى تقلب الصفحة إبقى كلمني.

قطع أفكارها صوت حشرجة صدر من السيارة، تبعه عدم استجابة السيارة لدواسة البنزين التي ضغطت عليها أكثر من مرة بقوة، ثم تباطؤها تمهيدًا لتوقف إجباري وشيك. نظرت غادة لمؤشرات السيارة لتكتشف أن مؤشر البنزين يشير لنفادِه من السيارة، استغربت هذا بشدة لأنها توقفت في طريقها من منزلها لمنزل عصام لتملأ السيارة بالبنزين.

أوقفت السيارة بجوار السيارات المتراصة على جانب الطريق، وأخرجت هاتفها لتتصل بحسن، ولكنها امرأة، فألقت بالهاتف على المقعد المجاور لها بعنف وكأنه المسؤول عن تسرُّب البنزين أو المسؤول عن جفاء حسن المزعوم.

بعد دقيقة من الصمت الغاضب، قررت أن تترك السيارة وتوقف سيارة أجرة وتطلب من السائق أن يتولى إحضار القليل من البنزين لسيارتها. التقطت

حقيبتها وهاتفها، وغادرت السيارة وتأكّدت من إغلاقها، ووقفت وحيدة تنظُر للشارع انتظارًا لمرور سيارة أجرة في تلك الساعة المتأخرة.

مرّت الدقائق بطيئة عليها، ومع كل ثانية تمُر كانت تفقد جزءًا من قدرتها على مقاومة اتصالها بحسن لطلب المساعدة، وقبل أن تنهار مقاومتها وينتصر ضعفها وقِلة حيلتها على كبرياء المرأة العنيد الذي يسيطر عليها مؤقتًا، توقفت سيارة باهظة الثمن ذات زجاج أسود أمامها، فلم تتبيّن سائقها حتى فتح باب سيارته وغادرها بثقة وبملامح جامدة، لتكتشف أنه شريف ناجي، نزل من سيارته ودار حولها في اتجاه غادة قائلًا:

- البنزين خلص مش كده؟

توترت غادة كما لم تتوتر من قبل، فهي الآن تقف في شارع متوسط الإضاءة، في منتصف الليل، وحيدة، مع قاتل محتمل، بدون أي حماية على الإطلاق، وبدون أن يفحص السيارة أو أن تخبره بأي شيء علِم بنفاد البنزين من سيارتها، كيف حدث ذلك؟ فجأة نسيَت كبرياءها وأخرجت هاتفها لتتصل بحسن، ولكن شريف كان قد وصل لها بالفعل، نظرت له بخوفٍ واضح وقالت بصوتٍ مرتجف:

- إنت عرفت منين؟

ابتسم شريف وقال بهدوء:

- واضح إن تنك البنزين مخروم.. البنزين باين في الأرض.

التفتت بتلقائية لتتأكد من كلامه، ولكن قبل أن ترى ما أرادت شعرت بيد شريف اليسرى تحيط برقبتها من الخلف، وسمعت صوت أزيز عالي، تبعه ألم فوق احتمالها انطلق من جانبها الأيمن في شكل تيار كهربائي عنيف اجتاح جسدها كله، الذي انتفض لثانيتين ثم هَمد تمامًا. فقدت الوعي بين ذراعي شريف الذي ألقى الصاعق الكهربائي فوق سقف سيارته وفتح شنطتها الخلفية باستخدام "الريموت كنترول" وحمل غادة الفاقدة الوعي ووضعها بحذر داخلها حتى لا تصطدم بحواف السيارة الحديدية، وأغلق عليها باب الشنطة.

(41)

فجر الجمعة 27 ديسمبر سنة 2013

بدأت غادة تستعيد الوعي تدريجيًّا، ألم شديد يعتصر جانبها الأيمن يمنعها من التركيز فيما حولها، تسمع أصواتًا حولها، ولكنها لا تستطيع تمييزها، أو المكان حولها، وإن كانت شبه متأكدة أنها داخل سيارة تتحرك، صداع رهيب احتل رأسها يمنعها من التفكير، أي حركة تقوم بها تزيد من ألم جانبها الأيمن وصداعها الذي يفوق قدرتها على الاحتمال كما هو دون زيادة. بدأت في استعادة وعيها وتذكرت جدالها مع حسن، ثم تعطُل سيارتها، ثم تذكرت دفعة واحدة هجوم شريف عليها من الخلف، وما قاله لها حسن قبل عيد الميلاد، فأصابها ذعر أقوى من ألمها مما جعلها تنتفض وتفتح عيناها على اتساعهما، وتصرخ باسم حسن.

وجدت نفسها على المقعد المجاور لحسن داخل سيارته، وهو بجانبها. وقف بالسيارة ومال نحوها ليطمئنها أنها في أمان، لا تعلم كيف وصل لها ولا كيف وصلت هي لسيارته ولا أين ذهب شريف. ولكنها لم تستطع أن تتفوّه بأي شيء، بمجرد أن رأت حسن بجوارها أغمضت عيناها وبَكَت كما لم تبكي من قبل، لا تعلم إن كانت دموع الفرح بعد اطمئنانها على نفسها، أم هي دموع بسبب الألم الذي يعتصر جسدها في مواقع عِدة، ولكنها كانت تعلم أن البكاء بجوار من

تُحِب سيُريحها، فبَكَت.

نظر لها حسن بإشفاق شديد وشعور بالذنب، فهو الذي سمح لكل هذا أن يحدث، هي لا تعرف بَعد أن هو الذي استخدمها كطُعم يستدرج به شريف لمصيدته، ليتأكد من جريمته دون أن تعلم.

ربت على كتفها لتهدأ، ولم يحاول أن يتحدث معها قبل أن تتوقف عن البكاء ليعترف لها بكل شيء. أخرج هاتفه واتصل بعصام، وقال بمجرد أن سمع صوته:

- إسمعني كويس يا عصام عشان مفيش وقت.. شريف صاحبك هو اللي دبر أو قتل داليا وتذاكر وقبلهم واحدة اسمها هبة في المنصورة.. أنا إتأكدت...

قاطعه عصام:

- إنت بتقول إيه يا حسن؟ إنت فاهم إنت بتقول إيه؟

- أيوة فاهم للأسف.. بس هي دي الحقيقة.. إنزل دلوقت لصاحبك وواجهه بالحقيقة وهو هيعترف.. شريف خطف غادة في شنطة عربيته ولولا كنت وراها كانت راحت زيّهم.. وسايبه في الشارع الرئيسي عند بيتك جوا شنطة عربيته.. إنزل وانت تشوف.

- خطف غادة؟ هي فين؟

- ماتقلقش عليها.. هي معايا بخير.. بس عايزك تلحق شريف.. ولو اتحرك هقولك.. إنزل بس وأنا هفهمك بعدين.

- حاضر يا حسن.. سلام.

سمعت غادة مكالمة حسن لعصام، وتمكنت دهشتها من أن تُنسيها ما حدث معها وحتى الألم الذي يجتاح جسدها دون رحمة، واعتدلت لحسن وقالت بصوتٍ ضعيف:

- إنت إتأكدت إزاي إن شريف هو اللي قتل يا حسن؟

نظر لها حسن لثوانٍ، ثم نظر أمامه ليتابع الطريق وقال:

- أنا هحكيلك كل حاجة.

بدأ كل شيء عندما عَلِم حسن من عصام أن له صديق شاركه معظم أوقاته، وخاصة جلساته مع عمه للتحدث بخصوص قضية السفاح، فبدأ يبحث خلف الشخص الثاني الذي يعرف كل تفاصيل قضية السفاح القديمة ومن ثَم يستطيع تكرارها كما حدثت، ليقتل دون أن يثير الشكوك حوله، لأن كل الأنظار ستتجه حتمًا في اتجاه القاتل القديم. بعد يومين من البحث توصل حسن لمعلومات تؤكد أن حازم البدري يملُك المجموعة الاستثمارية التي تملُك المستشفيات التي عملت بها كُلٌّ من هبة وداليا. وبما أن حازم البدري هو رئيس شريف في العمل، بدأت تتضح العلاقة بين كل الأطراف لحسن، وإن كان لا يعلم سبب الجرائم، ولكنه كان يحتاج الحصول على دليل يؤكد له ولعصام أن شريف صديق عمره هو نفسه القاتل الذي يبحث عنه، وهي مُهمة ليست باليسيرة.

قرر أن يتعقب شريف لمدة خمسة أيام، فثبّت جهاز تعقُب في سيارة شريف ليعلم كل تحركاته، ولكنه لم يتوصل لما يثير الشكوك أو ينفيها، فقرر أن

يلجأ لحيلة تمكّنه من كشف شريف له هو شخصيًا على الأقل ثم بعدها يحاول إقناع عصام بأي طريقة. فاشترى حسن رقم محمول جديد، وحفظ هذا الرقم على هاتفه المحمول باسم غادة عثمان، وأبلغ غادة بشكوكه قبل عيد الميلاد مباشرة حتى تبدو لشريف مرتبكة، برغم تأكيده عليها ألا تُبدي أي توتر أو قلق من ناحية شريف، ولكنه كان يعلم أنها لن تستطيع وسيظهر عليها، وقد كان. ثم استخدم هذا الرقم أثناء عيد ميلاد مَلَك في الدقائق التي استأذنت فيها غادة لتذهب للحمام وأرسل منه رسالة لرقم شريف، قال فيها:

(هبة وداليا بيسلّموا عليك يا شريف بيه)

تعمد عدم ذِكر اسم تذاكر لأنه الاسم الوحيد الذي ظهر في الجرائد ولكن داليا كانت قد ذُكِرت بحروفها الأولى فقط، ولم تذكر هبة مطلقًا، وهذا حتى يتأكد من خلال رد فعل شريف من مدى معرفته بالقضية، حيث أنه إذا كان لا يعلم أي شيء عن القضية سوى ما قرأه في الجرائد لن تثيره الرسالة، ووارد أن يعتبرها كأن لم تكُن. ولكن جاء رد فعل شريف ليثبت لحسن أنه من دبّر أو نفذ الجرائم كلها، حين غادر شريف عيد الميلاد على عجل وكانت ملامحه تبدو وكأنه في أعلى درجات الغضب والتوتر. وبالطبع عندما بحث شريف عن رقم الهاتف في البرنامج الذي يعطيك اسم صاحب أي رقم تكتبه فيه وجد أن الهاتف مُسجل باسم غادة عثمان، فقام شريف عندما غادر عيد الميلاد بتخريب سيارة غادة حتى لا تبتعد بها، وحتى يتمكن من اصطيادها أثناء طريق عودتها بعد نزولها من عند عصام ليستجوبها ويتأكد أولًا من أن أحدًا سواها لا يعلم ما توصلت له من معلومات عن تورطه في الجريمة. ولكن

حسن كان متابعًا لموقع سيارة شريف من خلال جهاز التعقب الذي ثبّته في سيارته ويتابعه عبر هاتفه الذكي، فعلِم أن شريف مازال في الشارع الرئيسي بجوار بيت عصام منتظرًا نزول غادة، فتتبعها حسن ليبقى قريبًا.

وعندما وضعها شريف داخل شنطة سيارته، قام حسن بصعق شريف في رقبته من الخلف باستخدام الصاعق الذي تركه على سقف سيارته، ووضعه مكان غادة بعد فقدانه الوعي، دون أن يعرف شريف من هاجمه، ورحل وغادة معه داخل سيارته.

لم تستطع غادة أن تصدق أن يستخدمها حسن كطُعم يستدرج به قاتل لمصيدة أعدّها دون تحذيرها على الأقل من الخطر الذي هي بصدده، صمتت بعد أن فرغ من شرح خطته لدقيقتين ثم قالت بهدوء غريب:

- مبروك يا سيادة المُحقق حسن.. حلّيت القضية وقفلت الصفحة.. ممكن توصّلني البيت من فضلك؟

قال حسن دون أن ينظر لها:

- حاضر.

وبعد دقائق وقف حسن عند باب العمارة التي تسكنها غادة فغادرت هي السيارة وأغلقت الباب خلفها دون أن تقول أي شيء، اعتصر الألم قلبه، والندم أيضًا، هو يعلم أنه أخطأ، لم يحاول الدفاع عن نفسه لأنه يعلم إن الوقت غير مناسب، وربما تسامحه بعد أيام وربما لا، ولن يلومها وقتها، لأنه هو نفسه لا يعلم

إن كان سيسامح نفسه عما عرّضها له أم لا.

(42)

فجر الجمعة 27 ديسمبر سنة 2013

غادر عصام عمارته وهو يتصل بحسن، وقف بجوار سيارته ينتظر رد حسن عليه، وقال بمجرد أن سمع صوته:

- أنا تحت البيت عندي أتحرك إزاي؟

- إطلع على الشارع الرئيسي هتلاقي عربية غادة واقفة قاطعة بنزين.. ومش هتلاقي عربية شريف واضح إنه فاق وعرف يطلع من الشنطة وإتحرك على مصر الجديدة.. هو ساكن في مصر الجديدة؟

كان عصام قد تحرك بسيارته بالفعل تنفيذًا لتعليمات حسن، ومرّ بجوار سيارة غادة التي تقف على جانب الطريق كما قال حسن، وقال:

- آه ساكن هناك.. شقته الجديدة.. أنا عارفها هروح على هناك.. بس ممكن تفهمني إيه اللي بيحصل؟

شرح له حسن باختصار حيلته التي نجح من خلالها في إيقاع شريف والتأكد من أن له علاقة بجرائم القتل، وبعد أن فرغ من شرحه قال عصام بصوتٍ مصدوم:

- سلام إنت دلوقت يا حسن. وأنهى الاتصال.

تأكد عصام من وجود سيارة شريف في الشارع الذي انتقل ليسكن به حديثًا، استقل المصعد، وضغط الدور الذي يسكنه شريف، أخرج سلاحه الميري وتأكد من تلقيمه بخزينة الرصاص، ولكنه ترك رز الأمان في وضعه، يتمنى ألا يضطر لاستخدام السلاح، ولكن ما قاله حسن خطير جدًا، لا يمكن أن يصدّقه، ولكن في نفس الوقت لا يمكن أن يكذب حسن ويخترع قصة مثل هذه.

وقف عصام خارج باب شقة شريف صديق عمره، وشعر وكأن دقات قلبه كافية لإعلان وصوله بدون الحاجة لأن يدق الباب، كان يتنفس بصعوبة، يشعر بلهيب يخرج من جسده يكاد يحرق ملابسه، يتصبب عرقًا برغم البرودة، لا يذكر موقفًا مرّ عليه في حياته كلها أصعب من هذا. استجمع شجاعته أخيرًا وضغط الجرس معلنًا عن وصوله، بعد ثواني لمح من خلال العين السحرية ظِل شخص حجب عنها الضوء، فقال بصوتٍ جامد:

- أنا عصام يا شريف.. افتح يا ابني ما تقلقنيش عليك.

فتحت ميار الباب وسألت:

- في حاجة مهمة أقدر أبلغها لشريف علشان هو تعبان ونايم؟

قال عصام وهو يدفع الباب بخشونة:

- نايم إيه بس؟ ده كان لسة معايا من نص ساعة.. هو فين؟

دفع عصام جسده ودخل الشقة وأغلق بابها خلفه وقال بحزم من لن يقبل نقاش:

- إندهي لشريف وياريت تسيبينا لوحدنا كمان.. قوليله صاحبك عصام.

قبل أن تتمكن من الرد سمعت صوت شريف من خلفها:

- خلاص يا ميار.. إنزلي إنتي.. أنا كويس.. ده عصام صاحبي مش حد غريب.

قالت وهي تلتقط حقيبتها من خلف باب الشقة:

- حاضر. قالتها ونظرت لعصام بشكٍّ واضح وثم غادرت.

وقف كُلًّا منهما يحاول أن يخترق عقل الآخر ليعلم فيم يفكر وماذا يخفي، وبعد ثوانٍ قال شريف:

- ما تقعد يا عصام.. ولا أقولك يا عصام بيه؟

- من إمتى بتقولي كده؟

- مش جاي تقبض عليا؟ صحيح.. هو إنت اللي حبستني في شنطة العربية؟

قال عصام بنفاد صبر:

- أنا مش جاي أجاوب على أسئلة.. قولي إن اللي وصلني غلط وكدب يا شريف وأنا هصدّقك إنت.. إنت ليك علاقة بجرايم السفاح دي يا شريف؟

لم يُرد شريف، ولكن ملامحه نطقت بدلًا منه، نطقت بالغضب والذنب والندم. انهار عصام على أقرب مقعد له وأمسك رأسه بكفّيه كمن لا يعرف كيف يتصرف، كان يتمنى أن ينكر صديقه كل هذه الاتهامات، وأن يعنّفه بل ويسبّه

بأقذع الألفاظ لمجرد اتهامه بالقتل، كان يتمنى حتى أن يؤجل المواجهة لوقتٍ آخر حتى يستعد، وكأن الزمن كله كافيًا ليستعد للقبض على صديق عمره. بعد دقائق من الصمت جلس شريف على المقعد المواجه لمقعد عصام، وقال:

- الناس دي كانت ميّتة ميّتة يا عصام.. أنا كل اللي عملته إني إستفدت من الموقف.

لَم يراوغ شريف، فعلى حد علمه، عصام هو من أنقذ غادة منه.

تسارعت أنفاس عصام وخفق قلبه مع بداية اعتراف شريف بجريمته أمامه، مازال في حالة إنكار، مازال غير مُستعد، ولن يكون. أكمل شريف:

- أنا ما إتولدتش في عيلة متنغنغة زيّك يا عصام.. حاول ما تحكمش على ظروفي من وجهة نظرك.. فرصة وجت لحد عندي أكون زي ما طول عمري بحلم.. وعلى فكرة إنت كده كده مش هتعرف تلمس المجرم الحقيقي.. مش هتطول غيري.. غلبان بيجري ورا غلبان.. والغيلان بتتفرج وبتستفيد.

سلّط عصام نظرته على شريف غير مُصدِّق، ولكن شريف كان عنده المزيد:

- ومش هتستفيد حاجة لما تقبض عليا.. حتى لو اعترفت على حازم البدري.. تفتكر حد هيعرف يلمسه؟ إنت أكتر حد عارف إن اللي زي ده فوق القانون.. في البلد دي الفلوس هي القانون.. هي الحماية.. أنا مش هقولك تعمل إيه.. بس بحمّلك المسؤولية.. لو عايز تقبض على القاتل.. أنا قصادك أهو.. لو عايز تقبض على المجرم الحقيقي.. مش هتعرف.. يبقى من الظلم إنك تقبض عليا

لأنك هتعيش عمرك كله حاسس بالذنب.

لا يزال عصام غير قادر على التحدث، حازم البدري؟ هل قال حازم البدري؟ هل حازم البدري صديق حماه هو من دفع شريف للقتل؟ ولكن شريف يعرف ماذا يريد عصام أن يسأل وكأنه يستطيع أن يسمع صوت أفكاره، فأجاب:

- حازم البدري طلبها مني صراحة.. عايز يخلص من بنتين وهيدخلني جنته على الأرض.. وقالها لي زي ما بقولها لك كده.. البنتين دول ماتوا من اللحظة اللي قرروا يبتزّوا فيها حازم البدري.. السؤال يا شريف بيه.. عايز تطلع من الحكاية دي كسبان؟ ولا خسران؟ وافقت.. وطبعًا حازم البدري كان عارف إن واحد بخبرتي يقدر ينفذ الجرايم من غير ما يتمسك.

صمت لثوانٍ ليلتقط أنفاسه، وأكمل وكأنه كان ينتظر لحظة اعترافه ليستريح فهو يعترف حتى دون أن يسأل عصام:

- قتلت هبة في النيل بعد ما أخدت منها الأوراق اللي كانت معاها اللي هدّدت بيها حازم وبيّنت الحادثة إنها غرقت.. دي كانت الأصعب علشان أول مرة.. بس بعد كده الحكاية بقت أسهل.. خصوصًا بعد ما استلمت الشقة والعربية.. وبعدها فكّرت في السفاح اللي اختفى.. قتلت داليا وبعدين قتلت البلطجي ولبّستها له.. أخدت منه علبة سجايره وهو مش داري بعد ما وعدته بشُغلانة فيها قرشين حلوين ورميتها في شقتها.. الحكاية كانت سهلة ولا يمكن تتكشف.. معرفش إنت كشفتها إزاي!!

قال عصام بصوت مرتجف:

- وقناوي؟

قال شريف غاضبًا:

- ده كمان زعلان عليه؟ ده تاجر مخدرات يا عصام.. المفروض تشكرني إني خلّصتك منه.. مش تزعل عليه!!

- أنا مش زعلان على حد غيرك.. أنا كنت بسأل إنت اللي قتلته ولا مش إنت.. وقتلته ليه طالما مالوش دعوة بيك ولا بحازم؟

- قتلته عشان أكمّل التمثيلية بتاعة السفاح اللي رجع يقتل.. هو يعرفني من ساعة ما كان شغال معايا مرشد.. كان سهل إني ادخل بيته وأخلّص عليه.

- وطبعًا كل التواريخ اللي على راس اللي قتلتهم مالهاش أساس.

أومأ شريف برأسه، وقال:

- علشان الداخلية تتوه في متاهات وما توصلش لحاجة.. فتزهق.. بس إنت طلعت زي ما عمك الله يرحمه قال.. "بكرة الداخلية كلها تتكلم عنك" فاكر؟ وابتسم بمرارة.

أطبق عليهم الصمت، ثقيلًا مشحونًا مشوبًا بالترقب والتخبط، يكاد كل منهما أن يسمع دقات قلب الآخر معلنة عن طلب القلب للراحة، وقت مستقطع، ليهدأ قليلًا قبل مواصلة السباق.

قطع شريف الصمت وقال:

- ها يا عصام بيه؟ نويت على إيه؟

تنهّد عصام بحرقة، وحاول جاهدًا أن يخرج صوته حازمًا قاطعًا، وقال:

- إنت قاتل يا شريف.. لازم أقبض عليك.. مش هسامح نفسي أبدًا لو ما عملتش ده.

نظر شريف للأرض خجلًا ولم يعترض، وكأنه استراح عندما عَلِم بقُرب نهايته، ولكن عصام أكمل:

- بس في نفس الوقت.. زي ما إنت قلت.. مش هسامح نفسي لو قبضت عليك وسيبت المجرم الحقيقي.. إنت قُلت إنك أخدت الورق اللي هبة كانت بتهدد بيه حازم البدري.. فين الورق ده؟

أدرك شريف ما يسعى خلفه عصام فقال بصوتٍ خائف:

- بلاش يا عصام.. الراجل ده مش هيغلب فيك.. اإنت حشرة في نظره.. أنا إتعاملت معاه وعارف.

- أنا مش هعمل حاجة.. إنت اللي هتعمل.. هتاخد كل الأدلة وتروح للنائب العام.. وتعترف مقابل صفقة تخفف عنك الحكم.. وربنا أكيد هيسامحك لو تُبت بجد.. وكلنا في الداخلية هنكون في ضهرك.. لسة في فرصة يا شريف.. وحتى لو مفيش فرصة وهتتعدم.. إعمل لآخرتك يا أخي.

بكى شريف ونزلت دموعه لتغرق وجهه، بكى لأنه فقد احترام أكثر شخص أحبّه في الدنيا، أخوه الذي عاش عمره كله يحترمه. بكى لأنه برغم اعترافه بجرائم قتل متعددة، إلا أن عصام لم يتخلّى عنه، لأنه صديق بحق، رجل بحق. بكى لأنه

ضعف أمام وعد بالجنة من الشيطان، الذي لا يملك إلا النار. بكى لأنه رأى نفسه بعيون صديقه في تلك اللحظة، ولم تفلح الحلة الجديدة في تغطيته، بل رأى نفسه عاريًا أمام نفسه.

لم يتمكن عصام من التحكم في نفسه أكثر من ذلك، فبكى هو الآخر، بكى على صديق خطفه منه الشيطان في لحظة ضعف. بكى ندمًا لأنه من سلّم صديق عمره للشيطان. بكى لاضطراره القبض على شريف، ولأنه لن يستطيع أن يحتفل معه بحلّ القضية، فهو لم يحقق أي نجاح في حياته إلا واحتفل به مع صديقه، الآن هو مُطالب بتحقيق النجاح على حساب صديقه.

قام عصام من مكانه ووضع يده على كتف صديقه، فقام شريف واحتضن عصام وكأنه يودّعه، وكأنها المرة الأخيرة التي سيراه بها، ثم قال عصام:

- يللا بينا يا شريف نجيب الورق.. ومش هتبات هنا النهاردة.. هنطبق سوا.. والصبح بدري هنروح للنائب العام.. وانا معاك مش هسيبك ثانية.

نظر شريف بكل ضعف الدنيا في عيني عصام وقال بصوتٍ خافت يغلبه البكاء:

- توعدني يا عصام تنتقم من حازم البدري واللي زيّه؟

سقطت دموع عصام من جديد بعد أن كانت قد توقفت، وقال وقلبه يخفِق:

- أوعدك يا صاحبي.

بعد دقائق غادر عصام وشريف العمارة، كان شريف في المقدمة، نظر خلفه لعصام وقال:

- هجيب سجايري من العر...

ولكن في تلك اللحظات توقفت دراجة بخارية تحمل شخصان مُلثّمان أمام العمارة مباشرة، يحمل أحدهم بندقية آلية، رفع فوّهتها في اتجاه الصديقين وأطلق الرصاص بكل سخاء، لمح عصام البندقية قبل الضرب بثانية واحدة، ولكنه لم يتمكن من دفع صديقه بعيدًا عن مرمي النيران التي سبقت كل شيء، اندفع جسد شريف في اتجاه عصام، ودماؤه في الاتجاه المقابل، سقط عصام على ظهره وفوقه جسد شريف دون روحه، تأكد عصام من هذا عندما لمح بريق الحياة يغادر عيناه، ونظرته متعلقة بعصام تُحمله مسؤولية الانتقام لدمائه.

نزل حامل السلاح من على الدراجة ومر بين السيارات المتراصة على جانب الطريق ليتأكد من مقتل كُلٍّ من عصام وشريف. تمكن عصام في تلك اللحظة من استعادة توازنه، سحب سلاحه الميري، ودفع جسد شريف جانبًا، وفي اللحظة التي رفع فيها القاتل سلاحه ليقتله ضغط عصام الزناد ليكتشف أن زر الأمان يمنع انطلاق رصاصته التي تمنى ألا تكون رصاصته الأخيرة، ولكنه أدرك متأخرًا أن وقته في هذه الحياة انتهى، تذكر ابنته مَلَك وفرحتها بحفلة عيد ميلادها، وتذكرها وهي تقفز فرحًا عندما رأت هديّتها التي فاجأها بها، وتذكر قلق رضوى وهي تودّعه قبل أن ينزل من البيت عندما لمحت توتره بعد مكالمة حسن، تذكر عمه الشهيد، وتذكر عندما تمنى أن يموت شهيدًا مثله، فابتسم عندما أدرك أن الله عز وجل قد منّ عليه بنعمة الشهادة.

ولكنه في تلك اللحظة وقبل انطلاق رصاصات الغدر، رأى مشهدًا لن

ينساه طوال حياته؛ رأى سيارة حسن تندفع بكل قوة لتصطدم بالدراجة البخارية وتقتل سائقها بينها وبين السيارة التي تقف أمام العمارة، ثم تدفع تلك السيارة لتصدم جسد حامل السلاح، الذي فقد توازنه وسقط أرضًا لثانيتين، كانتا كافيتان لعصام لأن يعدل وضع زر الأمان ويطلق الرصاص على قاتل صديق عمره ليقتله قبل أن يستعيد توازنه.

(43)

السبت 28 ديسمبر سنة 2013

يجلس حسن في النادي في مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه، يشرب قهوته في صمتٍ حزين، لم يكن توقع أن يشعر بكل هذا الحزن بعد القبض على القاتل الذي انتحل شخصية قاتل زوجته ليفلت من العقاب، ولكن بعد أن رأى كيف أن مقتل شريف صديق عصام أثّر في الأخير، وبعد أن رأى الألم والحزن والقهر في عين صديقه عصام، شعر بالألم لصديقه، وتمنى لو كان تغاضى عن القضية ولم يحاول من البداية أن يطارد القاتل.

غريبة هي الدنيا، كان حسن منذ مقتل زوجته يعيش دون أن يملك أي شيء ليخسره، وتعمد أن يبتعد عن الناس وألا يكوّن أي صداقات حتى لا يشعر بألم الفراق مرة أخرى، ولكن الدنيا لم ترضى، واستدرجته مرة أخرى، وكأنها ساحرة أعادت الحياة قسرًا لجثة همدت وذهبت روحها للجنة، فلا الروح طلبت العودة، ولا تستطيع الرفض. عاد حسن ليشعر نحو عصام بحب الصديق، عاد ليشعر نحو غادة بمشاعر ظنّها تركته بلا طريقٍ للعودة، عاد يقلق، ويخاف، ويسهر، ويضحك، عادت روحه، وها هو الآن يشعر بألم الفراق مجددًا.

لا يعلم إن كانت غادة على استعداد أن تقبل اعتذاره الذي لم يقدمه بعد أم

لا، ولا يعلم إن كان عصام سيعود كما كان قبل مقتل صديق عمره أم لا، لا يعلم متى ينتهي هذا الألم الناتج عن حالة انتظار البلاء. يا ليتهم يجيبوه على أسئلته، حتى يرتاح ولو قليلًا، ياليته يستطيع أن يعجل بالعذاب بدلًا من انتظاره.

لم يصدق نفسه في بداية الأمر عندما جلست بجواره غادة وهي تنظر له بلومٍ واضح وبقايا الغضب لا تزال تظهر على ملامحها، ولكنها هنا. نظر لها في صمتٍ لثوانٍ، حتى تأكد من وجودها بجواره، وقبل أن يتحدث سبقته قائلة:

- يعني عامل مصيبة.. وبقالك يومين مختفي.. وحصل اللي حصل مع عصام.. وكمان قافل تليفونك؟

ابتسم لها ابتسامة عذبة أجبرتها على الابتسام، ولكنها أشاحت بوجهها بعيدًا حتى لا تعطيه ما يريد كاملًا، ليس بعد، لابد من أن يعتذر أولًا، ثم ترفض الاعتذار ثانيًا، ثم يعتذر مجددًا، ثم تقبل اعتذاره على مضض. كان يكفيه وجودها، فها هو أول أسئلته يُجاب بالإجابة التي يتمناها، حتى لو اضطر للاعتذار ألف مرة فلن يَمل، قال بصوتٍ غلبه الارتياح لعودتها:

- تليفوني من ساعة الحادثة وهو ساعات بيقفل لوحده أو الشبكة بتقع.

تذكرت الحادثة بعد أن كانت قد نسيتها عندما رأته، فقالت بلهفة:

- صحيح إيه حكاية الحادثة دي؟ ما فهمتش من رضوى غير إنك أنقذت عصام.. ما قالهاش غير كده.. ومش عارفة أتلمّ عليه من ساعتها.

- أنا بلّغت عصام بموضوع شريف.. وكان معايا على التليفون جهاز تتبع

عربية شريف.. روحت وراه علشان أكون مع عصام بس ما كنتش أعرف البيت.. سمعت ضرب نار.. ولما قرّبت شفت إتنين هيقتلوا عصام.. دخلت فيهم بالعربية.. قتلت واحد والتاني عصام قتله.. بس كانوا قتلوا شريف.

قالت بحزنٍ شديد:

- تفتكر مين اللي عمل كده؟

- أكيد حازم البدري.. شريف اعترف لعصام إن البنات اللي اتقتلوا كان معاهم ورق عليه.. وشريف كان معاه نسخة من الورق ده.. ولما شريف اتكشف كان لازم يخلص منه قبل ما يعترف.

- بس حازم عرف منين إن شريف اتكشف؟

- سألت عصام إمبارح.. قال أكيد البنت اللي كانت عند شريف في البيت سمعتهم من ورا الباب وبلّغت عنه.. أتاريها كانت بتراقب شريف مش بس مصاحباه.

جاء عم عِفت بقهوة غادة، كعادته دون أن تطلبها، شكرته وقالت لحسن بعد أن غادر:

- تعرف حاجة عن عصام؟ رضوى كلمتني وقلقانة عليه.

عقد حاجبيه وسأل:

- ماله؟ كنت معاه إمبارح في الدفن.

-كلمتني الصبح قالت إنه قرأ مقالة في جرنان "حكاية اليوم" الصبح.. نزل

بعدها وقالها ما تقلقيش عليا.. تليفونه مقفول.. وفي القسم قالولها جه دقايق وخرج.

انتقلت عدوى القلق لملامح حسن، قال:

- وإيه اللي في المقال يضايق؟

زفرت غادة بضيق وقالت:

- الجرنان ده بتاع حازم البدري.. الصحفي كاتب تحقيق نص صفحة عن الحادثة.. وبيقول إنها عملية إرهابية.. استهداف ضابطين شرطة.. ومطلّع شريف البطل الشهيد.. وعصام هكذا بس مش شهيد.. وكمان حد من القناة الفضائية بتاعة حازم البدري اتصل بعصام علشان يطلع معاهم على الهواء يحكي عن بطولة شريف.. لعبة قذرة بيلعبها علشان يبعد الشك عنه.. ويتأكد لو كان عصام عارف حاجة.

تملّك الغضب من حسن، وشعر بما شعر به عصام عندما قرأ هذا الكذب في التحقيق. ألهذه الدرجة تمكّن الفساد في الدولة، لدرجة تسمح للمجرم الحقيقي أن يجعل من القاتل بطلًا؟ موقف عصام لا يُحسد عليه، حيث أنه حتى يقول الحقيقة لابد من أن يشوّه صورة صديق عمره الذي تحوّل لبطل بفعل الإعلام الموجه.

سأل حسن نفسه، ماذا سيفعل لو كان في موقف عصام؟ ولكنه عجز عن الوصول لإجابة تريحه. من الممكن أن يسعى خلف حازم البدري ويبحث عن الأوراق التي تدينه والتي كانت بحوزة شريف، ولكنه لا يأمن على حياته، فقد

أعلن حازم صراحة الحرب على كل من يُفكر في أن يمثل أي تهديد على بقاءه. وفي نفس الوقت لا يريد عصام أن يشوّه الصورة الجميلة التي رسمها الإعلام لصديقه، مراعاة لمشاعر أهله على الأقل. موقف أصعب من أن يوصف بكلام.

قام حسن بعد دقيقتين من التفكير وترك حساب القهوة على المائدة وغادر مع غادة مسرعًا.

بعد عِدة ساعات كان حسن يقف بسيارته في ساحة انتظار عبد المنعم رياض، حيث اعتاد عصام أن يترك سيارته عندما يأتي لتقضية وقته على كوبري قصر النيل، ارتاح قليلًا عندما وجد سيارة عصام، فتأكد أن توقعه كان في محله. اتصل بغادة وهو في طريقه سيرًا للكوبري حيث سيجد عصام:

- أنا لقيت عصام يا غادة.. لسة ما قابلتوش بس لقيته.. طمّني رضوى.. وأنا هوصّله البيت بنفسي.

- طب خلي بالك من نفسك ومنه يا حسن.. محدش ضامن ممكن يحصل إيه.

- ما تخافيش.. سلام.

وصل حسن للمكان الذي اعتاد أن يجد فيه عصام، ليجده واقفًا في مواجهة النيل لا يتحرك، وكأنه قُدَّ من حجر، اقترب منه حسن دون أن يتكلم احترامًا لصمته، لاحظ عصام وقوف حسن بجانبه دون أن يحتاج أن ينظر إليه، شعر به، وكأنه توأمه الذي وُلِد متصلًا به اتصالًا خفيًّا. لم يتحدث أيًّا منهم لدقائق، ولكن

كان كُلًّا منهم يشعر بالآخر وبمعاناته.

عِلِم حسن من حسين في قسم الحدائق عندما ذهب إلى هناك ليسأل عن صديقه أنه ذهب لمكتبه وجمع أشياءه وغادر دون أن يتحدث مع أحد، فأدرك حسن أن عصام قرر أن يستقيل من الداخلية، برغم تمسّكه بعمله بها في أصعب الأوقات التي مرّت على البلد والوزارة، ولكنه يتخلى اليوم عنها. لذلك كان يشعر حسن بمدى معاناة وألم صديقه، فَقَدْ فَقَدَ عزيزين في وقتٍ قصيرٍ للغاية، أحدهما فقده قصرًا للشيطان، والآخر طواعية وهو عمله، ويعلم جيدًا أن قرار عصام يمتد لما هو أكثر من مجرد استقالته، ولكنه لن يسأل، فهذا وقت الدعم، وليس المراجعة والتصحيح، فها هو يقف بجوار صديقه ليعلن دون كلام عن دعمه المطلق له.

مرّ خلفهم الحكيم الذي لا يصمت، ولأول مرة يقف ويعتدل ويرفع رأسه قليلًا لينظر لعصام، الذي دار عندما سمع صوته وكأنه كان ينتظره، قال الحكيم بصوت حزين:

الهَم لابس وِش.. ومداري بيه وِشك..

حملك تقيل معلش.. وجرحك غويط مفتوح..

لو حد قال الحق.. والعدل هنا مسموح..

صدقني يا ابني لأ.. كداب وبيغشّك.

صمت لثوانٍ مدّ يده فيها وربّت على كتف عصام الذي ابتسم في مرارة،

وكأنه يشكر الحكيم دون كلام على مواساته. أكمل الحكيم طريقه، وكعادته استمر في كلامه الذي لا يسمعه أحد في الغالب:

للعدل ألف طريق.. إحنا اللي بنكسّل..

وولا وجعنا غريق.. بس احنا بنمثّل..

نشوف الظلم ونسيبه.. طالما ع الغلبان..

ونزعل لما يركبنا.. ورجله تتدلدل..

وكأن كلامه قد مَس جرح عصام فأطلق تنهيدة ألم طويلة مصحوبة بكلمة آه واهنة بالكاد سمعها حسن، الذي اعتدل ليواجه عصام، ونظر له بكل حزن الدنيا. قال عصام وهو لا يزال ينظر للحكيم الذي يبتعد:

- للعدل ألف طريق.. إحنا اللي بنكسّل.

ثم نظر لحسن وقال بصوتٍ ضعيف:

- إنت عرفت منين إنه شريف يا حسن؟

- يوم ما إتكلمنا عن غادة عرفت منك إن شريف كان معاك خطوة بخطوة مع عمك.. وده يخليه عارف كل تفاصيل قضايا القاتل.. ولما قربت منه اكتشفت إن حازم البدري رئيسه هو صاحب المستشفيات اللي بتشتغل فيها هبة وداليا.. ودي لا يمكن تكون صدفة.. المعلومة الوحيدة اللي كانت ناقصاني هي ليه عمل كده ولصالح مين.. لحد ما إعترف لك بكل شيء.

- وليه ما تصورتش إنه يكون سفاح الأرقام الحقيقي؟

فكر حسن لثوانٍ وكأنه متردد ثم قال:

- من لحظة ما سمعت عن عودة القاتل وانا مش مقتنع.. سفاح مين اللي يعتزل سنين ويرجع يقتل تاني فجأة؟

اعتدل عصام ليواجه حسن وقال بصوتٍ كله تصميم:

- أنا استقلت يا حسن.. ومش هسكت.. بس مش هينفع اشتغل في البلد دي بالقانون طالما المجرمين فوق القانون.. اللي عايز يخلص من المجرمين لازم يشتغل بره حدود القانون.

- مش شايف إنك استعجلت شوية؟ خد وقتك وفكّر قبل...

قاطعه عصام وقال:

- أنا مش طفل بسعى ورا انتقام ساذج.. أنا وعدت شريف إني آخد حقه من اللي غواه.. شريف غلط وهو بين إيدين ربنا.. هيحاسبه على كل حاجة عملها.. بس أنا عليّ وعد وهنفذه.. ومش هقدر أنفذه بالقانون.. يبقى لازمتها إيه الشغلانة؟

- يعني هتقتله يا عصام وتبقى قاتل إنت كمان؟

- بالرغم من إنه يستحق القتل.. لكن أنا مش قاتل ومش هكون.. بس مش هسيبه.

قال حسن وهو يستند بجانبه على سور الكوبري:

- بتفكر في إيه؟

- لأ يا حسن.. مش عايزك معايا.. المواجهة دي خطيرة وانا متحمل

مسؤوليتها لوحدي.. كفاية اللي عملته عشاني لحد كده.. أنا مفيش في عمري وقت كفاية علشان أردلك جمايلك.. مش عايز أعرضك للخطر.

ابتسم حسن بسخرية:

- تبقى عبيط لو فاكر إني هسيبك لوحدك.. ما تضيّعش وقت.. بتفكر في إيه؟

ابتسم عصام لصديقه ابتسامة حملت كل شكر الدنيا. ثم نظر للأُفق وقال وكأنه يُشهِد على نفسه النيل والسماء:

- مش هرتاح إلا لما أشوف حازم البدري في السجن واعمل منه عبرة لكل شيطان فاكر إن الدنيا مفيهاش حد يقدر عليه.

- يبقى نوصل للورق اللي كان مع شريف وساعتها هنشوف نعمل بيه إيه.. طالما مستعد يقتل مرة واتنين وتلاتة علشان الورق ده ما يطلعش.. يبقى اللي في الورق ده بيهدد بقاؤه هو شخصيًا.

هزّ عصام رأسه بمرارة وقال:

- للأسف شريف ما قاليش فين الورق ده.

- يبقى تدوّر إنت على الورق اللي كان مع شريف.. وانا أدوّر ورا حازم البدري نفسه يمكن أوصل للسر.. بس حاليًا لازم ننيّم حازم البدري علشان نتقّي شرّه مؤقتًا.

- إزاي؟

- إنك تطلع في البرنامج وتحكي بطولات صاحبك وتقنع حازم إن شريف ما إعترفش بحاجة وانت بتقبض عليه وإن زيارتك كانت مجرد اشتباه.. وبكده يبقى اشترينا شوية وقت.

(44)

الخميس 2 يناير سنة 2014

يخرج حازم البدري من ڤيلته في التجمع الخامس الساعة الثامنة صباحًا كعادته، يركب سيارته ويغلق بابها خلفه، يلقي الصباح على سائقه الشخصي، الذي يرُد التحيه بأدب ووجه بشوش، ويتحرك بالسيارة في اتجاه مكتبه، قاطعًا ذات الطريق الذي يقطعه يوميًّا.

عند الدوران الذي يدور حوله السائق يوميًّا تصطدم شاحنة نقل كبيرة بسيارة حازم البدري بقوة من الخلف، وقبل أن يستوعب السائق أو حازم البدري ما حدث، ينزل ملثّمان من الشاحنة وهما سائق النقل ورفيقه - الذي لم يكن سوى كربونة - وفي يد كُلٍّ منهما سيف طويل، يتجه كربونة كما هو محدد مسبقًا ناحية حازم البدري، ويتجه سائق النقل - الذي لم يكن سوى عصام ناجي شخصيًا - في اتجاه سائق حازم الشخصي. يفتح كربونة الباب المجاور لحازم، وينتشله من السيارة بكل قوة ويخنقه بقوة ويصرخ:

- العربية دي عليها أقساط يا ابن الجزمة.. هتدفع ولا نخلّص عليك؟ قالها وخبّط بسيفه بقوة على سقف السيارة ليثير هلع حازم البدري، وقد نجح تمامًا، حيث فقد حازم البدري السيطرة على أعصابه في تلك اللحظة وصرخ كالطفل:

- هديلك اللي إنت عايزه يا مجنون.. اللي إنت عايزه.

كان في تلك اللحظات عصام قد صعق السائق الشخصي لحازم ففقد الوعي مؤقتًا، وفتح الباب الخلفي للسيارة.

نظر كربونة لعصام فأشار له بانتهاء المهمة بنجاح، فدفع حازم البدري بكل قوة داخل السيارة، وأشار لعصام الذي ألقى له الصاعق، ثم صعق به حازم البدري في جانبه لثوانٍ حتى تأكد من فقدانه الوعي تمامًا، ولحق بعصام الذي أخذ حقيبة حازم البدري الشخصية وركب الشاحنة وغادروا المكان وسط ذهول المارة، الذين لم يفهموا شيئًا مما حدث.

(45)

ليل الخميس 2 يناير سنة 2014

يفتح عصام باب شقته لحسن الذي يُسلّم عليه بفخر وسعادة، وكأنه جندي عائد لتوه من تنفيذ مهمة خَطِرَة خلف خطوط العدو. ناول حسن اسطوانة مدمجة لعصام وقال:

- ال CD دي تودّي حازم البدري وكام راجل معاه في ستين داهية.. براڤو عليك.

قال عصام وهو يغلق الباب خلف حسن:

- براڤو علىا إيه بس؟ دا إنت طلعت كارثة يا حسن.

دخل حسن وسلّم على غادة التي كانت بانتظاره بناءًا على طلبه، وسلّم على رضوى، وجلس.

قال عصام وهو يضع جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به على الطاولة أمامه:

- التليفون أخد وقت طويل؟

رد حسن:

- 7 دقايق تقريبًا.. والمحضر عرفت عنه حاجة؟

- إتقيّد ضد مجهول.. سرقة بالإكراه.

قالت غادة بلهفة:

- مش ناويين تفهّموني إيه اللي بيحصل؟ بدل ما أنا قاعدة زي الأطرش في الزفة كده؟

قال حسن بسعادة:

- حازم البدري.. قدرنا نوصل لكل اللي يوديه في داهية مدى الحياة على الأقل.. تجارة في الأعضاء واختبارات لعقاقير أجنبية على أبرياء مُعدمين.. ومخدرات.. وبلطجة.. ما سابش مصيبة ما عملهاش.

اتسعت عيناها بلهفة وقالت:

- معقول؟ إوعى تقولوا إن إنتوا اللي سرقتوا شنطته الصبح؟ دي حكايته مغرقة المواقع والصُحُف.

ضحك عصام وقال:

- أحلى حاجة إن كل الأخبار بتتكلم عن الشنطة.. ومحدش عارف الخطة العبقرية اللي حطّها الداهية اللي قصادك ده. وأشار على حسن.

نظرت غادة لحسن وسألت:

- خطة إيه؟ يعني مش إنتوا اللي سرقتوا الشنطة؟

حسن:

- إحنا اللي سرقنا الشنطة.. بس كنا متأكدين إن الشنطة مش هيكون فيها حاجة تدينه.. محدش بيشيل ورق يسجنه معاه اليومين دول.. سرقة الشنطة كانت بهدف تحويل نظر كل الناس عن الهدف الحقيقي.

عقدت حاجبيها وهي تنصت له، فأكمل:

- الهدف الحقيقي كان تليفون حازم البدري.. ال Smart Phones دلوقتي بقت عاملة زي الصندوق الإسود.. فيها كل حاجة.. لأنها سهلة الاستخدام وفي نفس الوقت لو حصلت مشكلة سهل جدًا تمسحي كل بياناتها في ثواني.

- يعني سرقتوا تليفونه؟ سألت رضوى.

فأكمل:

- لأ طبعًا.. إحنا ما كناش عايزينه يشُك في إن العملية ليها علاقة بغير سرقة الشنطة.. كل اللي عملنا إننا لقينا Hacker عنده برنامج يقدر ينقل كل البيانات والإيميلات وسجل المكالمات والرسايل والصور وكروت الائتمان من تليفون لأي تليفون تاني زيّه بالظبط.. بس العملية دي تحتم قبول التليفون المنسوخ للربط بالتليفون التاني اللي عليه الڤيروس.. وده كان الهدف.. في الوقت اللي كان كربونة بيهدد فيه حازم.. عصام صعق السواق وفتح الباب الخلفي وأخد تليفون حازم اللي وقع منه لحظة الحادثة سمح بقبول الاتصال.. والربط تم بين تليفون حازم وتليفون زيّه بالظبط مع حسن.. اللي كان واقف في الشارع عند الدوران من قبل الحادثة ووسط الناس بيتفرج على الحادثة بعد ما حصلت والتليفون في جيبه.. وبعد ما عصام وكربونة مشيوا.. حسن فضل واقف كمشاهد زيّه زي كل الناس لحد ما إتأكد من نقل كل بيانات التليفون الأول للتاني.

الانبهار كان سيد الموقف، لم تستطع رضوى الكلام أو التعليق، وقالت

غادة وملامح السعادة والفخر والإعجاب والحب تملأ ملامحها لحسن:

- إنت المفروض تشتغل حاجة تقدر تطلّع فيها إمكانياتك دي.. بجد إنت خسارة تكون مش بتشتغل.

قال عصام:

- هوّ ده اللي أنا طلبتكم عشانه النهاردة.. إعمليلنا حاجة نشربها يا رضوى من فضلك.

أكمل عصام كلامه وهو يغلق جهازه المحمول بعد التأكد من سلامة الاسطوانة وخطورة المعلومات التي تحويها، وبعد ذهاب رضوى للمطبخ:

- أنا عرضت على حسن إننا نشتغل كده فعلًا.. وهو طلب وقت يفكر.. والنهاردة يا غادة هو قالي إنه هيبلّغنا بقراره النهائي بس طلب إنك تكوني موجودة معانا.. وانا كمان كنت عايزكم في موضوع مهم.. بس نسمع حسن الأول.

أنهى جملته وحوّل نظره صوب حسن، وكذا فعلت غادة.

اعتدل حسن في جلسته وقال:

- شوفي يا غادة.. عصام بيفكر يفتح مكتب محاماه يكون واجهة لتحقيق العدالة الغايبة.. باختصار هنحارب كل ظالم استغل ماله أو ثغرة في القانون علشان يهرب من العدالة.

سألت غادة بتوجُس:

- هتحاربوه إزاي يعني؟ مش فاهمة!

- زي ما عملنا مع حازم البدري كده.. هنلعب معاه خارج نطاق القانون ونفضحه.. ما تخافيش مش هنقتل ولا هنرتكب جرايم.. كل الحكاية إننا هنستغل إمكانياتنا ضد الفاسدين.. ونستغل ميزة إن محدش يعرف إحنا مين ولا هيشُك فينا.

- وانتوا الإتنين هتقدروا تعملوا ده لوحدكم؟

قال عصام:

- لأ طبعًا.. علشان كده بنسألك.. هتكون زي جماعة سريّة ومش هنضم غير اللي واثقين فيه جدًا.. ممكن نستعين بحد يعمل لنا خدمة وياخذ مقابل زي كربونة النهاردة مثلًا.. إيه رأيك؟

قالت غادة دون تردد:

- ودي فيها رأي؟ معاكم طبعًا.. بس لازم نخلّي بالنا كويس من اللي بنعمله.

قال حسن باسمًا:

- علشان كده إنتي موجودة.. علشان تلحقي اللي يتهوّر مننا.

ضحكت غادة وقالت:

- يعني أنا شغلتي الـ Safety Manager

قال عصام باسمًا:

- حاجة زي كده.

قال حسن بصوت متوتر:

- أنا موافق.. ومفيش حاجة في الدنيا ممكن أكون عايزها أكتر من إني أكون جزء من المشروع ده.

صمت لثوانٍ وكأنه يزِن كلامه الذي سيقوله لآخر مرة ثم قال بعد أن حسم أمره بصوتٍ مرتعش:

- أنا مخبي عليكم سِر كبير.. ومش هقدر بعد النهاردة أفضل مخبيه.. ومش عارف رد فِعلكم ممكن يكون إيه بعد ما تعرفوه.. لكن مش هقدر أشوفك يا عصام بتأتمني على حياتك.. وانتي يا غادة بتسلميني قلبك وانا مخبي عنكم حاجة زي كده.

قالت غادة بصوت مرتعش بعد انتقال عدوى التوتر لها من حسن:

- في إيه يا حسن؟ ما تقول في إيه؟ قلقتني.

نظر لها حسن لثوانٍ وابتلع ريقه الجاف، ثم نظر لعصام وكأنه يحاول أن يتنبأ برد فِعلِ كُلٍّ منهم قبل أن يقول، ثم قال:

- أنا عدِت عليا في حياتي فترة صعبة جدًا.. كان اللي بيحركني فيها مشاعر الكُره والغضب والانتقام.. مش فخور بأي شيء عملته.. بالعكس أنا ندمان عليه.. لكن دي حاجة أنا ارتكبتها ومش هقدر أمسحها.. ياريت أقدر أمسحها وكأني ما إرتكبتهاش.. بس مش هقدر.

صمت مُجددًا وكأن الكلام يأبى أن يعينه على اعترافه، نظر لغادة فكانت صامتة تراقبه بعيون يملؤها الخوف، نظراتها لم تساعده على الكلام بل العكس، فإن كانت خائفة

كل هذا الخوف قبل أن تعرف ما يريد أن يقول، فكيف ستكون بعد أن تعرف.

اعتدل عصام وقال:

- هو ده الموضوع اللي أنا كنت عايزكم فيه.. لو تفتكر يا حسن أول يوم إتقابلنا كان ليا في ذمتك سؤال تجاوبني عليه بصراحة أيًّا كان.. كنت ناوي أسأله النهاردة.. بس إنت سبقتني وجاوبت قبل ما أسأله.. أو بمعنى أدق حاولت تجاوب.

نقلت غادة نظرها بين عصام وحسن دون فهم، وثبّت حسن نظره على عصام، هل حقًّا يعلم ماذا أريد أن أقول؟

أكمل عصام بثقة أكدتها نظرة حسن المتوجسة:

- الموضوع أخد مني وقت على ما ربطت كل الخيوط ببعض.. بس كنت مستني إنت اللي تقول.. كنت عايز أتأكد من ثقتك فيا واثبت لنفسي إنك جدير بالثقة.

غادة بحِدة:

- ممكن حد فيكم يفهمني في إيه؟

ونقلت نظرها بين حسن الذي راوغه بالنظر للأرض، وعصام الذي أكمل:

- أول حاجة إنك مرة يا حسن حاولت تقنعني أتعامل مع قضية داليا وتذاكر كأنها أي قضية تانية.. كنت بتحاول توجّهني للطريق الصح برغم إني طلبت منك عدم المساعدة في القضية.. كنت بتحاول تخليني أشوف القضية بعيد عن قصة

عودة سفاح الأرقام.. بس أنا ما فهمتش ده منك.

التقط نفسه ثم أكمل:

- تاني حاجة إنك مشيت في القضية من أول يوم وكأنك متأكد من عدم عودة سفاح الأرقام.. وده اللي خلاك تحقق في قضية داليا.. على عكس الداخلية اللي افترضت إن قضية داليا مقفولة وفضلت تدوّر على شبح القاتل اللي في الحقيقة مش موجود.. وده اللي خلاك تحِل القضية قبل الداخلية.. وده لأنك عارف ومتأكد إن سفاح الأرقام مش هو اللي قتل تذاكر من أول يوم.

توقف عن الكلام لثوانٍ نظر فيها لحسن ليتأكد من صِدق تحليله، وقد كان له ما أراد.

قالت غادة:

- أنا مش فاهمة حاجة.

أكمل عصام وكأنه لم يسمعها:

- أخر ضحايا القاتل كانت نادية يا غادة.. اجمعي كل اللي قلته ده مع بعض هتوصلي لحقيقة واحدة لا تقبل التشكيك.. وأعتقد إن ده السِر اللي حسن كان هيقوله وما قدرش.

قالت غادة والخوف يملأ كيانها:

- حقيقة إيه؟

هَمّ حسن أن يُجيب ولكن عصام سبقه قائلًا:

- إن حسن دَوّر على اللي قتل مراته بعد ما عمي أفرج عنه.. ووصل لمعلومات ما إتوفرتش لعمّي.. وعِرف مين القاتل...

صمت لثوانٍ ثم أكمل:

- وقتله.

هنا رفع حسن رأسه في دهشة في اتجاه عصام، الذي كان وجهه يحمل ابتسامة المُنتصر. نقل حسن نظره لغادة التي كانت تبادله نظرة تساؤل واضحة، وقالت بصوتٍ مبحوح:

- إنت قتلت يا حسن.

نظر حسن للأرض هربًا من نظرات حبيبته، وقال بصوتٍ يملؤه الشعور بالذنب:

- مش فخور باللي عملته.. ومش بقول مُبررات.. لكن دفاعي الوحيد هو إني لم أقتل إلا اللي يستحق القتل لكن القانون كان أضعف من إنه يقتص منه.

صمت لثوانٍ ثم رفع رأسه وتنهّد بقوة وقال:

- النهاردة إنتوا عرفتوا عنّي أخطر سِرّ كنت مخبيه.. اللي منكم مستعد يقبل حسن في حياته وهو عارف إنه ارتكب الغلط ده وندم عليه يكلمني.. واللي مش هيقدر يسامحني مش هلومه على أي شيء.. بعتذر له على كل دقيقة خبيت فيها عليه حقيقتي.

قالها حسن وقام ليغادر المكان، فقام عصام واعترض طريقه وابتسم قائلًا:

- أنا عارف الحكاية دي بقالي أسبوع.. وكنت عايزك إنت اللي تصارحني عشان نفتح صفحة جديدة.. كان ممكن أسيبك تمشي له أنا اللي واجهتك.. لكن بمصارحتك ليا أثبت إنك فعلًا صادق معايا.. وده يكفيني.. ده غير إن أنا مديون لك بحياتي بالفعل.

ملأت الدموع مُقلتي حسن ولم يستطع الرَد، ولكنه أومأ برأسه لعصام شاكِرًا، الذي أكمل:

- السؤال اللي ليا عندك محتاج إجابته حالًا.. إنت متأكد إن اللي قتلته هو القاتل؟

صمت حسن لثوانٍ ثم قال موجِهًا كلامه لِكُلٍّ من عصام وغادة:

- زي ما قلتلك يا عصام.. اللي قتلته قاتل بدم بارد هِرب من العدالة.. وربنا يشهد على كلامي.

- يبقى أنا مسامحك يا حسن بس ليا شرط واحد.

قال حسن:

- من غير ما تقول يا عصام.. أوعدك إن ده لا يمكن يتكرر.. أنا ندمت على تصرفي ده وفعلًا اتغيّرت حتى قبل ما يبقى في حياتي صديق يخاف عليا.. وحبي...

قطع كلامه في تلك اللحظة عندما نظر لغادة، التي راوغت نظرته لها وأشاحت بوجهها إلي الجهة الأخرى، فلم يكمل كلمة "حبيبة" لأنه في تلك

اللحظة شعر أنه خسرها، فهي لا تبدو على استعداد لمسامحته، أو لتبدأ علاقة مع قاتل، حتى لو كانت تحبه.

نظر حسن لعصام الذي كان صامتًا، فسلّم عليه وغادر الشقة تاركًا وراءه صمت لا يتخلله سوى صوت بكاء غادة.

(46)

ليل الخميس 31 ديسمبر سنة 2003

تعبر رؤى الشريف الطريق وهي تضحك بعد عودتها من الكوافير استعدادًا لليلة رأس السنة الميلادية. يراها شقيقها الأكبر حسن وهي تسير على الرصيف؛ جميلة، بريئة، تتحرك كالفراشة. الليلة كلها تبدو كأُمنية جميلة تتحقق. يقف خلف النافذة يشاهدها، مبتسمًا. وفجأة بدأت السماء تمطر بغزارة، وكأن السماء كان لها سدًّا وانكسر لتوّه. انقبض قلبه، شعر وكأنه دون قصد، حسَد الليلة فأفسدها.

خافت رؤى أن تُفسِد الأمطار شعرها، فقررت أن تعبر الطريق بسرعة. نزلت من على الرصيف مُسرعة، أسرعت الخُطى لتعبر الطريق قبل السيارة القادمة، ولكنها أدركت خطورة ما تفعله، فتملّكها الرعب، وقررت العودة للرصيف.

ولكن تصرُفها كان كفيلًا بخروج سائق السيارة غير الواعي - بسبب ما تجرعه من خَمر احتفالًا بالسنة الجديدة - عن ثباته، فحاول أن يتفاداها، ولكن استجابته البطيئة، والأسفلت المُبتل، لم يساعِداه، فلم يستطع السيطرة على نفسه أو السيارة، فاتجه مباشرة لرؤى قبل أن تصل للرصيف، اصطدم بها وطار جسدها في الهواء، تحت سمع وبصر حسن الذي شعر وكأن روحها تغادر جسده هو. وقفت السيارة وخيّم الصمت على الموقف كله، ثوانٍ كانت ثقيلة كالكابوس. نزل شابين في قمة

الشحوب، من أثر المخدرات والخمر، وأخيرًا الحادثة.

تحرك الأخ أخيرًا في محاولة إنقاذ أخته الوحيدة والتي لم يتبق له من أهله سواها من الموت، ولكن ما رآه كان أكثر مما يمكن لأعصابه أن تحتمل، فانهار في مكانه، بجوار النافذة، غيبوبة مؤقتة أصابته ولم يُفِق منها إلا بعد دفن أخته. فلم تحرمه الحادثة من أخته فحسب، ولكنها حرمته أيضًا من الوداع الأخير.

(47)

ليل الخميس 2 يناير سنة 2014

يدخل حسن مكتب مجدي كارم بعدما سمح له مجدي بالدخول، يدور مجدي حول مكتبه ويُسلّم على حسن بودّ، ويطلب منه الجلوس. يدور حسن ببصره في المكتب، وتتوقف عينه عند المقالة التي كادت أن تتسبب في دخول مجدي السجن، وقف حسن أمامها لثوانٍ يتأملها وكأنه يسترجع ذكريات بعيدة، حتى قال مجدي:

- تشرب إيه يا حسن بيه؟

- كتّر خيرك.. ولا حاجة.

جلس حسن أمام مكتب مجدي الذي جلس أمامه، ولم يجلس خلف مكتبه، قال حسن:

- حضرتك كنت طول عمرك الصحفي المفضل بالنسبة لي.. ومازلت.

- الله يخليك.. يارب أفضل عن حُسن ظنّك.

- أكيد إن شاء الله.

صمت حسن لثوانٍ، كان التساؤل خلالها باديًا على ملامح مجدي عن سبب الزيارة المُتأخرة، فقال حسن:

- أنا جاي النهاردة علشان أريّح بالك وضميرك من هَمّ إنت شايله بالغلط.. ومالكش ذنب فيه.

- خير؟ وعقد حاجبيه.

- يوم ما كنّا عندك في البيت قلت إنك شايل ذنب مقتل نادية وحاسس إنك ممكن تكون ساعدت القاتل على جريمته.. ده مش صحيح.

ظهر الاهتمام على ملامح مجدي، وقال:

- وإيه اللي مخليك متأكد كده؟

لم يجِبه حسن وكأنه لا يريد أن يقاطع استرساله أي شيء، وأكمل:

- ده غير إن وقوفك في صف السفاح من أول ظهوره مُبرر ومنطقي.

صمت لثوانٍ لم يُعلِق فيها مجدي، فأكمل حسن:

- فاطمة.. فاطمة كارم أخت سعادتك كانت واحدة من ضحايا انهيار عقار في إمبابة يوم 17 فبراير 2005.. وصاحب المعرض في الدور الأرضي هو كان الضحية التانية للسفاح.. طبيعي تميل ناحية تأييده بعد ما حقق عدالة غايبة.

ظهر التأثُر على ملامح مجدي وعقد حاجبيه وقال:

- وانت عرفت منين كل ده؟

- أنا عارف كل حاجة تخص السفاح.. سيبني أحكيلك من الأول.. الحكاية بدأت من يوم 31 ديسمبر سنة 2003.

تسارعت أنفاس حسن وهو يتذكر ليلة مقتل أخته الوحيدة، وأكمل:

- الليلة دي إتقتلت فيها أختي في حادثة سير.. والقاتل هرب.. بعدها فقدت كل هدف في الحياة.. خاصة إن نادية كانت مش بتخلّف.. وكانت رؤى تعتبر بنتنا اللي كنا عايشين عشانها.. بعدها بفترة قصيرة نادية اكتشفت إن عندها سرطان في الرئة.. حاولت الانتحار مرتين ولكنها فشلت لأني كنت دايمًا جنبها.. ولكن بعد ما إتقبض عليا نادية انتحرت علشان تحميني من السجن.. وزوّرت مسرح الجريمة ليبدو إنه من فعل السفاح.. بس محدش أخد باله من التفاصيل الصغيرة اللي كانت مختلفة عن السفاح.. وده معناه إن السفاح زي ما حضرتك كنت فاكره.. ما قتلش أبرياء.

صمت حسن في محاولة منه لمنع دموعه التي كانت تجاهد لتسقط، فاستغل مجدي صمته وسأله بصوتٍ متأثر:

- وانت ليه مش شاكك إن السفاح اللي قتلها؟

نظر له حسن نظرة طويلة وكأنه يعيد التفكير للآخر مرة في قرارٍ اتخذه، ثم نطق بلهجة حاسمة:

- لأن نادية ليها محاولتين انتحار بعد معرفتها بمرضها.. ولأن التاريخ اللي كان على راسها كان تاريخ أول يوم قابلتها فيه وده محدش غيرنا يعرفه.. وأخيرًا لأن السفاح...

صمت لثوانٍ ليمنع ارتجاف صوته بسبب التوتر، وأكمل بنفس الصوت بعدما فشلت محاولات السيطرة على توتره:

- لأن السفاح يومها كان مقبوض عليه في الحجز.. وأُطلق سراحه بعد انتحارها.

نظر له مجدي دون فهم لثوانٍ، ثم استوعب فجأة ما يعنيه حسن، فتسارعت أنفاسه وتضاربت المشاعر بداخله. ها هو يجلس وجهًا لوجه مع سفاح الأرقام الذي تمنى كثيرًا أن يقابله، لم يتوقع أبدًا أن تتحقق أمنية لقاءه به، ولهذا لم يستعد لها. لا يعرف ماذا يقول، المعلومات التي تحصّل عليها لتوّه أكبر من قدرته على الاستيعاب.

قال مجدي بصوتٍ مرتجف:

- إنت يا حسن؟

أومأ حسن برأسه إيجابًا وقال بصوتٍ هادئ، وكأن اعترافه لأحد بحقيقة ما قام به قد أراحه من هَمٍّ ثقيل كان يحمله وحده لمدة طويلة:

- كنت راكن عربيتي في ليلة شتاء مستني نادية تنزل من عند صاحبتها.. يوم 11 يناير سنة 2005 من البرد والمطر ما كانش ممكن حد يلاحظ إني جوّا العربية.. حصلت قصادي حادثة ماتت فيها بنت أكبر من رؤى بحاجة بسيطة.. كان بقالي سنتين فاقد الأمل في الحياة وبدّعي قبولي للأمر الواقع.. والحقيقة إن غضبي كان فوق حد الاحتمال.. كل اللي شفته لحظتها هو رؤي بتتقتل قصادي تاني.. قررت يومها إني هنتقم من قاتل البنت بنفسي.. مش هقدمه للعدالة وابقى تحت رحمة محامي يشكك في نظري وظروف الرؤية.. تتبعته وراقبته وقتلته

وكتبت على راسه يومها تاريخ جريمته علشان سألني بعمل كده ليه.. بس الغضب والكره جوايا كانوا أقوى مني.. كنت بكره الدنيا كلها.. بعد فترة حصل انهيار العقار في إمبابة ولقيتها فرصة أطلّع فيها غضبي.

كان حسن يتحدث بصوت وملامح يتملكهما الغضب، صوت أنفاسه يكاد يطغى على صوته المبحوح من فرط التأثُّر، لا يعلو صوته ولكنه كان غاضب بشدّة، وكأنه كان يستحضر مشاعره في تلك الفترة وليست مجرد الذكريات، ومجدي كان مذهولًا مما يسمع.

- الحقيقة إن بعد الجريمة التانية الموضوع بقى أسهل كتير.. ما بقيتش خايف ولا إيدي بتترعش.. وكأن كان بيموت فيا جزء مع كل شخص بقتله.. مش هدّعي الفضيلة ولا البراءة.. أنا قاتل.. هقف بين إيدين ربنا وهيحاسبني.. وكان جزء مني بيستمتع بقتل الخونة دول.. لكن دفاعي الوحيد إني ما قتلتش إلا اللي يستحق القتل.. ولكن بعد غلطتي الوحيدة وهي قتل شخص قريب من بيتي وبعد خناقة بيني وبينه بكام يوم.. برغم إني قتلته علشان سبب تاني خالص غير الخناقة لكن إتقبض علىا.. خذلت نادية.. ما كنتش موجود جنبها وقت ضعفها فانتحرت علشان تنقذني من تهمة هي نفسها ما تعرفش إنها حقيقية.

صمت لثوانٍ وظهر شبح ابتسامة ساخرة على فمه:

- غريبة الدنيا صحيح.

صمت حسن وتنهّد وكأنه يستريح بعد اعترافه، ثم قال:

- حاولت اعترف لعصام وغادة لكن عصام توقع إني قتلت السفاح وانا سكتت كأن كلامه صح.. وسامحني.. لسة معرفش غادة هتسامحني ولا مش هتقدر.. كنت محتاج أعترف لها عشان تبقى عارفة هي بتتعامل مع مين.. أو كنت مين.. لكن ضعفت.. عشان كده جيت هنا.. طالما مش قادر أعترف لها غير بنُص الحقيقة بس.. جيت لك لأنك زي والدها.. لو غادة بنتك هترضى إنها تكون معايا بعد اللي سمعته مني؟ أنا معترف بجرائمي.. وبالفعل عاقبت نفسي سنين عليها.. لكن كل اللي بطلبه إطلاق سراح بشهادة حُسن سير لأني شايف نفسي أستحقّها.

لم يتوقع مجدي السؤال، فأجفل عند سماعه، ولكن جديّة حسن وملامحه المُصِرة على الحصول على إجابة أجبرته على الرد، فقال:

- ليه أنا يا حسن؟

- أولًا إنت الشخص الوحيد اللي عارف عني كل شيء في الحقيقة من زمان وده سهّل مهمة الاعتراف.. ثانيًا إنت الشخص الوحيد اللي بيخاف على غادة ومش هيجاملني على حسابها.

- محتاج الأول أعرف.. ليه بطّلت تقتل؟ برغم إن الفساد والظلم بيزيد؟

قال حسن بصوت مُتعب ومُثقل بالهَمّ:

- موت نادية كسرني يا أستاذ مجدي.. أنا بعد رؤى ما كانش في حياتي غير نادية.. بعد انتحارها وعجزي عن حمايتها من نفسها فقدت كل رغبة في الحياة..

وسألت نفسي إيه فايدة تحقيق عدالة لغيري وانا مش قادر أحمي بيتي من الظلم ومن نفسي؟ انتحار نادية فتّح عيني على حقيقة إن كل شخص اتخلق في الدنيا مسؤول عن نفسه.. ومش مُهِمته إنه يغيّر الناس.. ولو حاولت تشغل نفسك بغيرك هينتهي بيك المطاف بإنك مش هتعدل حال غيرك.. ومش هتلاقي نفسك.. لأنك شغلت نفسك عن دورك الحقيقي في الدنيا وهو نفسك.. لو تقدر تعمل الإتنين سوا يبقى كويس.. بس ده مستحيل حد يقدر يعمله لوحده.. ده اللي وصلتله بعد التجربة الصعبة اللي مريت بيها.. لو فعلًا عايز تحسّن الوضع السيء.. ما تعملش إنت الغلط.. ولو حاولت تمنع غيرك عن الغلط ما ينفعش تمنعه بغلط أكبر منه.. غلط الغير عمره ما كان مُبرر لغلطك.

صمت حسن لثوانٍ ثم أكمل:

- كل جزء مات فيا مع حد قتلته رجع يشعر بالحياة من جديد بعد ظهور عصام وغادة في حياتي.. ويومها إتأكدت إني ظلمت نفسي مرة يوم ما سمحت لمشاعر الانتقام والكُره والغضب تتحكم فيا.. وتاني لما حبست نفسي في شرنقة عذاب مغلقة وكأني رجل اتدفن وهو عايش.. ولا عارف يموت ولا قادر يخرج من قبره.. وأخدت عهد على نفسي إني لا يمكن أعمل كده في نفسي ولا في اللي يهمني أمرهم تاني أبدًا.. وبدعي كل يوم ربنا يسامحني على اللي عملته.. ويسامح نادية.

سقطت دموع حسن في صمتٍ مؤلم، ولم يحاول أن يداريها، في الحقيقة؛ حسن كان يشعر بدموعه تقوم بعمل المُطهِر للجرح، مؤلمة ولكنها ضرورية، كان

يشعر بروحه تغتسل بدموع ندمه، بعد اعترافه شعر أخيرًا ولأول مرة منذ سنوات عديدة بالحرية، بخروجه من قبر اختاره ولكن لم يعد يحتمل البقاء فيه بعد اليوم، هل هذا يعني شفاؤه من تلك المشاعر السيئة؟ هو لا يعلم يقينًا، ولكنه يعلم أنه لن يعود له أبدًا، فقد تعلم من تجربته.

صمت مجدي لدقيقة كاملة كان ينظر خلالها لحسن، وكأنه يتخلله بنظراته، الصحفي داخله كان يجيد التفريق بين الحقيقة والكذب، بين الصِدق والادعاء، فكان يُسخِر كل خبراته لكشف ستر حسن في تلك اللحظة، لأن إجابته سيتحدد عليها مصير غادة التي يعتبرها ابنته، قال بعدها:

- ربنا وحده اللي بيحاسب ويغفر.. بس أنا مصدّقك يا حسن.. والسبب إنك كان ممكن تداري.. بس جيت النهاردة عشان خايف على غادة من نفسك وطلبت شهادة حد من طرفها.. وده حب مش سهل يتكرر.. أنا شخصيًا موافق.. لكن موضوع غادة ده محتاج مني شوية تفكير.

شعر حسن بالسعادة لأنه أخيرًا وبعد سنوات من الوِحدة استطاع أن يخرج من شرنقة القتل، وأن يستعيد احترامه لنفسه من خلال قبول الآخرين له. ها هو يعترف بكل ما اقترفه من جرائم لشخص هو يحترمه منذ سنوات، ويقبل توبته بل ويقبل أن يكون طرفًا في علاقة مع شخصية عزيزة عليه، وهذا لا يعني سوى أنه أصبح رجلًا شريفًا على الأقل في نظر رجل يثق في نزاهته وحكمه ولن يجامله. استعاد حسن في تلك اللحظة بالتحديد شعوره بالدنيا بشكل كامل، بدون أقنعة تحجب عن الآخرين جزءًا منه وتؤرقه، شعر وكأن مجدي في تلك

اللحظة وقّع شهادة حياة عليها اسمه، لتلغي تأثير شهادة الوفاة التي استخرجها لنفسه يوم دفن زوجته.

قال مجدي بعد احترامه لصمت حسن لثوانٍ:

- واسمح لي أنتهز الفرصة وأشكرك على انتقامك من قاتل فاطمة.. اللي إنت عملته كان غلط ولا يمكن أشجعك عليه.. ولكن يوم قراءتي لخبر مقتل المهدي بردت نار كانت ممكن تحوّلني لأكون قاتل.. إنت ممكن تكون ارتكبت جرائم.. لكنك في نفس الوقت أنقذت ناس كتير من طاقة كره وانتقام وغضب كانت ممكن تحرقهم.. شكرًا يا حسن.. بس ده لا يمكن يتكرر تاني.. توعدني؟

هز حسن رأسه شاكرًا لمجدي وقال:

- أوعدك.. وبكرة هتسمع أخبار جديدة عن المجرم الحقيقي ورا مقتل هبة وداليا وتذاكر وقناوي.. أول عملية نشتغل عليها أنا وعصام في الانتقام من الفاسدين والمجرمين بس من غير قتل.

- شوّقتني.. مين؟

ابتسم حسن وقام ومدّ يده ليُسلّم على مجدي وقال:

- خلّيها مفاجأة.

دار حسن واتجه ناحية الباب ولكن مجدي سأله:

- عندي كام سؤال محتاج عنهم إجابة.

اعتدل حسن ليواجهه وقال:

- إتفضل.. دي آخر مرة هكون فيها القاتل بتاع زمان.. بعد ما أخرج من الباب ده مش هيبقى في فرصة تسأل عن أي شيء يخصه.

- اتفقنا.. إنت إزاي فتحت الخزنة وصوّرت الورق اللي في الظرف؟

ابتسم حسن وقال:

- والسؤال التاني؟

- ليه لما إنت عارف إني بريء.. جيت مع عصام وغادة يقبضوا عليا؟

قال حسن:

- غادة كانت مصدومة بعد الـ Interview.. وحاولت أبعد تفكيرها عنك.. ولكن بعد حكاية الظرف كانت شِبه متأكدة إن إنت القاتل أو على الأقل على علاقة به.. وخصوصًا إنك إتحاكمت بسبب نفس القضية قبل كده.. وطبعًا كانت ناوية تبلّغ عنك.. ووقتها موقفك كان هيكون وحش لما يلاقوا الظرف ده في الخزنة.. كنت هتطلع منها لكن دي كانت هتكون تاني مرة يتقبض عليك بتهمة مساعدة أو بتهمة القاتل.. وطبعًا الموقف كان هيكون صعب جدًا لشخصية عامة زيّك.. ففكرت إزاي أمنع الفضيحة وفي نفس الوقت أريّح غادة.. فأقنعتها نسمع منك الأول وعلشان تطمّن عرضت عصام ييجي معانا.

ابتسم مجدي وقال:

- فتحت الخزنة إزاي بقى؟

ضحك حسن وقال:

- السؤال التالت؟

- ليه بعتلي الظرف زمان؟

تنهد حسن وقال:

- لو سألتني السؤال ده قبل النهاردة كنت هقول عشان عايز الناس تعرف إني مش مجرد قاتل زي ما هما فاكرين.. لكن بعد لقاءنا النهاردة عرفت السبب الحقيقي؛ هو إني كنت محتاج أعترف بشكل أو بآخر.. كنت محتاج أتكلم مع حد يعرف عني كل شيء.. ودي كانت طريقتي في الاعتراف.. وإنت كنت أنسب شخص أحكيله عن نفسي.

ابتسم مجدي وهمّ بقول شيءٍ ما، ولكن أكمل حسن:

- بخصوص الخزنة بقى؛ أنا ولا فتحت خزنة ولا دخلت مكتبك من أساسه يومها.. إنت نسيت إن أنا اللي باعتلك الظرف ده؟ وعندي نسخة من كل اللي عندك؟ كل اللي عملته إني صوّرت منهم نسخ قبل ما آجي مع غادة واتمشيت شوية في الدور ورجعت قلتلها إني خلّصت.

ابتسم مجدي وهَزّ رأسه متفهمًا، ثم مدّ يده وصافح حسن بوِد وقال له:

- متشكر على صراحتك.. وإستنى مني تليفون بخصوص موضوع غادة.. سامحني بس ده مستقبل بنتي.

يغادر حسن المكتب بعد أن يُسلم على مجدي الذي لم يستطع منع نفسه من الضحك على خدعة حسن البسيطة والعبقرية. جلس مجدي كارم أمام مكتبه

في مواجهة المقالة المُعلقة على الحائط يُفكِر، وكأنه يتحدث معها حديثًا صامتًا. لقد تأكد أنه بريء مما كان يتصوّر أنه فعل، تأكد أنه لم يساعد أو يُشجِع قاتل على قتل أبرياء، بل تأكد أن القاتل لم يقتل أبرياء من الأساس. شَعر وكأن وقت رفع المقالة عن الحائط قد حان؛ تلك المقالة كانت هنا لتذكيره بخطأ تأكد اليوم أنه لم يرتكبه، فلا معنى لوجودها أمامه بعد اليوم.

قام من مكانه وتوجه للحائط، مدّ يده والتقط الإطار الذي يُحيط بمقالته بكل حذر، وكأنه يحمل طفل رضيع، نظر للمقالة وملامحه تحمل ابتسامة حزينة تليق بلحظات الوداع، ودار ليضعها داخل الخزانة، ولكن قبل أن يخطو خطوة واحدة في اتجاه الخزانة، دار وأعادها لمكانها.

نظر لها مجدي وكأنها صديق عائد بعد غيبة، وظهرت علامات السعادة على ملامحه من جديد. في الحقيقة تلك المقالة لم تكُن هنا لمُجرد تذكيره بخطأ، ولكنها جزء منه، جزء كان يخجل منه قبل الليلة، وأصبح فخورًا به، بعدما تأكد من أنه كان على حق عندما ظَنّ أن القاتل، لم يكُن مُجرد قاتل.

عاد إلي مكتبه وهو يفكر فيما حدث، لماذا لم يُبقي حسن ليتحدث معه أكثر، فهو طالما كان يعتبر القاتل صديقه الذي لم يقابله، تلك العلاقة التي نشأت بينهما في مقالات مجدي وعلى جِباه ضحايا حسن لم تكُن مُجرد علاقة مُحقِق وقاتل بالنسبة لمجدي، وزيارة حسن اليوم لمجدي تُشير إلى إنها على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لحسن أيضًا. ولهذا السبب وافق مجدي على التفكير في ارتباط حسن بغادة لو قبلت أن تسامحه، مجدي أراد أن يكون حسن قريبًا منه

لأنه يعتبره صديق غائب وعاد لتوّه، ويعتبر نفسه مدينًا له لأنه انتقم لأخته، ولأنه صادق في توبته. ابتسم مجدي في تلك اللحظة وتمنى أن تسامح غادة هذا الرجل الذي تحمّل الكثير ومازال يحمل الخير بداخله.

(48)

فجر الجمعة 3 يناير سنة 2014

يسير حسن بمفرده على كوبري قصر النيل، يكاد لا يرى سوى النيل، غارقًا في أفكاره المتخبطة، وكأنه على وشك الموت حيث مرّ شريط حياته كله تقريبًا أمام عينه. تذكر رؤى أخته الوحيدة، ونادية، حتى تذكر بعض ذكريات الطفولة. وقف حيث اعتاد أن يقف مع صديقه عصام الذي يشعر وكأن النيل حزين على غيابه الليلة، ولكنه في تلك الليلة كان يريد أن يختلي بالنيل، وكأنه لا يريد أن يعترف بحبه لغادة أمام صديقه.

نظر حسن للنيل وملامحه تستنطقه، هل ستسامحه غادة وتقبله؟ وهل إذا قبلته يستطيع هو الحفاظ عليها؟ أم سينتهي بها الأمر مثل نادية؟ مازال يعتبر نفسه مسؤولًا عن سوء تصرُفها - نادية - بشكلٍ أو بآخر. يخشى ألا تسامحه غادة، فهو لا يستطيع تحمل ألم الفراق للمرة الثانية، وفي نفس الوقت يخشى عليها من نفسه.

قال له صديقه عصام في نفس المكان يومًا أن الحياة مؤلمة ولكن لحظاتها الجميلة تستحق المجازفة، وقد جازف حسن ووقع في الحب، برغم أنه أراد ألا يعشق وحدث هذا رُغمًا عنه ولكنه حدث في النهاية، فلماذا إذن بدأت العلاقة بالألم؟ أين تلك اللحظات السعيدة التي نتحمل من أجلها ألم الفراق المتوقع لاحقًا؟ لا أحد يعيش أبدًا، هذا يعلمه حسن يقينًا، ولكنه أراد أن يشعر بعودة

الروح لجسده ولو للحظات قبل أن تغادره مرة ثانية، ولكن أن يشعر بألم خروج الروح منه دون أن يعيش لذة عوّدتها أولًا، فهذا هو الظلم بعينه.

آن الأوان ترتاح يا ضهري يا مَحني..

وطالما ديني اندفع واجب تسامحني..

حُسن سيري شفيع.. والحق مش هيضيع..

كل اللي طالبه أنا مِنك تريَّحني.

أراد حسن عند سماعه صوت عم حكيم أن يدور ليُسلّم عليه، ولكن كلماته اخترقت كل خطوط الدفاع التي يحيط بها مشاعره منذ زمن، فسقطت دموعه في خيانة مُشِينَة لكل محاولات التماسك. شعر حسن في تلك اللحظات أن عم حكيم كان يخاطبه هو وحده.

للدنيا لعبة مُحكمة.. واحنا قواشيطها..

الخطة دي بقى مُلزِمة.. وِوَلَا مين يلخبطها..

ومهما حاولت تحيد بعيد عنها..

هتفوق تلاقي نفسك.. ماشي في سِكّتها.

صدق عم حكيم في كلامه، فبرغم كل محاولات حسن ألا يشعر بالألم مُجددًا، وحالة العُزلة التي أجبر نفسه عليها، استطاعت الدنيا رغم أنفه أن تنتزعه انتزاعًا من شرنقته وتُلقي به في طريق عصام وغادة حتى يتذكر كيف تبدو الحياة وكيف تؤلم تجربتها.

دار حسن في تلك اللحظة متجاهلًا دموعه التي كانت لا تزال تبلل وجهه،

نظر حوله بحثًا عن عم حكيم، فلم يجده. شَك حسن في نفسه لثوانٍ، هل سمع صوت عم حكيم منذ ثوانٍ حقًا؟ أم لا؟ أم أنه مَرّ منذ دقائق عديدة ولكن حسن لم يشعر بالوقت الذي قضاه يبكي رغمًا عنه حتى ابتعد؟ نظر حسن في كل الاتجاهات ولكنه لم يلمح أي أثر لعم حكيم.

خطى خطوات قصيرة في اتجاه دار الأوبرا وسأل بائع جالس هناك يدخن في استمتاع واضح على أنغام أغنية مليئة بالإسفاف، ولكنه أنكر رؤيته لرجل بتلك المواصفات الليلة، ولما استوضح حسن منه أكد الرجل عدم رؤيته لعم حكيم أبدًا بالرغم من وجوده كل ليلة في نفس المكان منذ أكثر من عام ونصف.

(49)

صباح السبت 4 يناير سنة 2014

استيقظ حسن مبكرًا وفتح مواقع الإنترنت والأخبار ليجد فضائح حازم البدري "على كل لسان"، بداية من بلاغات عديدة للنائب العام، وحتى صفحات مستخدمي الإنترنت العاديين على مواقع التواصل الاجتماعي. كانت ضربة قاضية لفاسد ظَنّ أن ملياراته كفيلة بتحويله لإله يقول للشيء كُن فيكون.

كانت نهاية حازم البدري هي الخطوة الأولى لمشروع لا يهدف للربح بقدر ما يهدف للعدالة، سيجمع حسن وعصام، تمنى حسن في تلك اللحظات أن يقابل غادة ليحتفل معها بنجاح أول عملية انتقامية - لا تتضمن قتل المجرم - يقوم بها مع عصام. لم تستطيع الأخبار والصور، بل وصورة القبض على حازم البدري شخصيًا التي انتشرت لتوّها على مواقع الإنترنت في أن تدخل البهجة لقلب حسن الذي فقد حبيبه.

دخل حسن الغرفة الصغيرة التي لا يدخلها سواه، وقف أمام اللوحة التي بقيت على حالها لثمانِ سنوات حتى أضاف لها جريمة داليا وتذاكر، بقى صامتًا ينظر لها وكأنه يودع صديق عزيز قبل هِجرة لن يعود منها، ثم دار ليلتقط قطعة قماش من على المكتب الصغير واتجه للوحة وبدأ يمحي كل ما تحمله، انتزع الصور الباهتة بفعل الزمن، ولم

يتوقف حتى عادت اللوحة بيضاء وكأنها جديدة، وقف يشاهد اللوحة، تبدو تمامًا مثل الصفحة التي انتوى أن يفتحها في حياته بداية من اليوم، تمنى لو كان يستطيع مسح أفعاله السيئة كما فعل لتوّه مع اللوحة، ولكنه كان يدرك أن مسح أفعاله ليس ببساطة مسح اللوحة، فالأفعال التي ارتكبها لا يمحيها سوى أفعال أقوى منها على الطريق الصحيح، وقد عقد العزم على أن يفعل. شعر حسن براحة وهدوء وسكينة وكأنه بالفعل تمكن من مسح أخطاءه مع الكلمات التي مسحها من على اللوحة، وأدرك أن اليوم هو بالفعل أول يوم في حياته الجديدة، ولكن لم ينقصه سوى وجود غادة إلى جواره لتعينه على رحلته التي لا يريد أن يكملها بدونها، وليكتمل بها؛ فمهما شعر بالسعادة أو الفخر أو النجاح فلن يكتمل حسن بدونها أبدًا.

كان حسن غارقًا في أفكاره، عندما قطعها صوت رنين هاتفه ليعلن عن اتصال مجدي به، رد بصوتٍ غلبه الحزن:

- أيوة يا أستاذ مجدي.. مبروك.

- تسلم إيديكم بجد.. مالك صوتك متضايق ليه؟

- لأ أبدًا مفيش.. أنا مبسوط والله.

- مش باين إنك مبسوط.. عمومًا أنا فكرت في موضوع غادة.. سامحني يا حسن الوحيد اللي من حقه ياخد القرار ده؛ هو غادة شخصيًا.. لازم تصارحها بكل حاجة عشان هي اللي تقرر.. دي حياتها.

هزّ حسن رأسه بأسى، فهو كان يحاول تجنُب مصارحة غادة، ولكنه الآن

مُضطر أن يصارحها.

دق جرس الباب مقاطعًا المكالمة، فاعتذر لمجدي - الذي كان يتحرك بسيارته في تلك الثانية من أمام منزل حسن بعد أن أوصل غادة بنفسه - قائلًا:

- طب ثواني أفتح الباب وهجيلك.

ترك الهاتف على الطاولة وذهب ليفتح الباب، فقال مجدي:

- لأ مش هتيجي. قالها وابتسم وأنهى الاتصال لثقته أن حسن لن يتذكر أن يعود لهاتفه بعد أن يفتح الباب.

فتح حسن الباب ليجد غادة في انتظاره، برغم دموعها والإجهاد الواضح بسبب السهر، ابتسمت عندما رأته.

تمت بحمد الله

للتواصل مع الكاتب:

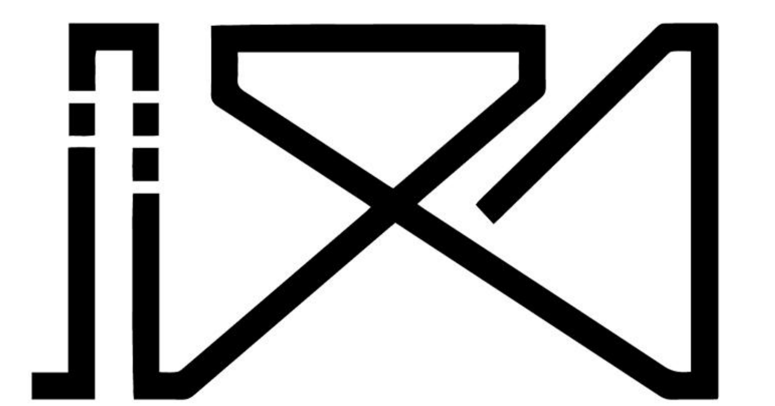
Mobile: 01110015866

email: msharabash@gmail.com

facebook: @msharabash

facebook page: @moatazsharabash

Twitter: @MoatazSharabash



Writer
Moataz
Sharabash

مقالة بتاريخ 6 ديسمبر سنة 2005

هل سفاح الأرقام مُجرد قاتل؟

بقلم: مجدي كارم

نعم، هو ذلك الخيط الرفيع بين ماهو صواب وما هو خطأ. تلك المنطقة الرمادية، التي لن تتمكن مهما كنت واثقاً من نفسك، أن تضُمها بضمير مرتاح للمنطقة البيضاء، أو السوداء سيكرهه البعض، ويحبه أخرون. سيكون بطلًا في نظر البعض، وخارج عن القانون في نظر غيرهم. سيوافق أحدهم على ما يفعله ويختلف على طريقة التنفيذ. سيوافق غيره على كل شئ، وسيرفض غيرهم كل شئ

ولهذا سيبقى في المنطقة الرمادية، شئتم أم أبيتم

فهو مُجرد عَرض من أعراض مرض تفشى في جسد الدولة. ومحاربة أعراض المرض، لا تُشفي الجسد، أنما تُزيد من آلامه، وتطيل أمد مُعاناته. حاربوا المرض، لتختفي الأعراض

أرجوكم لا تُحمّلوا فشلكُم لمن يرفض أن يتحمّل الضعفاء وحدهم نتيجته

تصميم الغلاف: محمد عبد السلام





